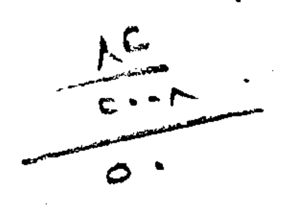


الجمهورية العربية السورية
وزارة التعليم العالي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة دمشق
قسم التاريخ

قضية ولاية العهد منذ تأسيس الدولة العباسية حتى وفاة الخليفة المتوكل

(١٣٢-٢٤٧هـ /٧٥٠-٨٦١م)

رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في تارخ العرب والإسلام

إعداد الطالبة :

هدى أحمد العبسي

إشراف :

الأستاذ الدكتور

سـهـيـل زكـار

دمشق ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

تقديم

تُعد قضية ولاية العهد من القضايا الكبرى التي أحدثت الشقاق في البيت العباسي حـيث كان العباسيون كغيرهم لم يضعوا نظاماً محدداً لوراثة العرش ،فبعد وفاة محمد بن علي الإمام الأول للدعوة العباسية جاء ابنه إبراهيم الإمام خلفاً له ، وبعد معرفة مروان بن محمد بأمره وملاحقته له ،ثم سجنه وقتله ،انتقلت الإمامة إلى أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد.

وبالتالي يمكن القول إن الإمامة أولاً ثم الخلافة بعد ذلك لم تكن تنحصر في الابن الأكـبر. وبإمكان الخليفة أن يختار لها من يجده مناسباً من أفراد أسرته مفضلاً أبناءه في الغالب، وإن كانوا أقل المرشحين كفاءة ومقدرة .

وفـوق هذا وذاك فإن الخليفة كان – في كثير من الأحيان – يعين اكثر من ولي للعهد بعـده وحين يعتلي أول المرشحين عرش الخلافة كان يعمل على إبعاد ولاة العهد بعده وحصر الخلافة في أبنائه .وقد تسبب ذلك في حدوث كثير من الخلافات بين أفراد الأسرة العباسية وصلت بعضها إلى استخدام السلاح ،ومن الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى تفرق أبناء الأمة فيما بينهم ،وإلى استنفاد الكثير من الطاقات دون جدوى .

وهذا ما دفعني لاختيار هذا البحث مشكلة ولاية العهد في العصر العباسي (١٣٢هـ – ٢٤٧هـ /٧٥٠م–٨٦١م) رغبة مني في معالجة هذا الموضوع ،ومعرفة الأحزاب والقـوى التي كانت وراء هذه القضية ، والتي حاولت أن تسيطر على مقاليد الأمور من خـلال مرشحها لولاية العهد ،ومن الواضح أن كل قوة أو حزب مستعد للقيام بأي أمر يمكنه من حماية مرشحه للولاية العهد ومن هنا تبدأ المشكلة ،التي أدت إلى هذه الصراعات بين أفراد الأسرة المالكة .

وهناك عدة أسباب أخرى تجعل هذه القضية تحظى بأهمية خاصة .نذكر منها :

- خلو المكتبات العربية من بحث قائم بذاته حول هذا الموضوع .
- فضلاً عن أنه لا يوجد مصدرٌ تاريخيٌ واحد معاصر لأحداث تلك القضية موضوع الدراسة ،انفرد بدراسة هذه القضية أو معرفة الأحزاب التي كانت وراءها ،فمعظم المصادر تكتفي بسرد الخبر دون تعليق عليه أو إثبات صحته أو نفيه .
- تنطلق أهمية الموضوع من أنه يركز على معرفة الأحزاب التي كانت وراء هذه المشكلة ،ودورها في إذكاء هذا الصراع .
- محاولة البحث في الأسباب التي دفعت الرشيد لعقد البيعة لأولاده الثلاثة ،وتقسيم دولته فيما بينهم .
- البحث في الأسباب التي دفعت المأمون لعقد البيعة لعلي الرضا ثم وفاة الرضا الفجائية .
- محاولة الوصول إلى الدوافع التي جعلت المعتصم يعتمد على عنصر جديد وهو العنصر التركي ويسلمه مقاليد الأمور ،والذي أدى في نهاية الأمر إلى خروج السلطة من يد العرب .

وقد واجهتني أثناء بحثي عدّة صعوبات ،من أهمها كثرة المصادر التي تحدثت عن الموضوع،وهذا ما جعلني أتردد في طبيعة اختيار المصادر الأكثر فائدة للبحث،وجهدتُ في وضع مقياس ثابت أستطيع من خلاله انتقاء المصادر الغنية بالمعلومات المطلوبة في بحثي من تلك التي لا تحوي إلا إشارات بسيطة لا تفي بالغرض .

وسلكت أسلوب التعليل والموازنة محاولةً معالجة الموضوع برؤية جديدة ،وسعيتُ جاهدةً لتجنب كل ما ليس له علاقة بالبحث ،كما نحوت إلى تحليل الأحداث والوصول إلى الأسباب الحقيقة الكامنة وراء مشكلة ولاية العهد ، والتركيز على دور القوى والأحزاب في إذكاء هذا الصراع .

وخطـــتي في هـــذا العمل هي أنني بدأت بعد المقدمة بمدخل هو عبارة عن دراسة لأهمّ المصادر والمراجع الأولى التي اعتمدت عليها ،ثم قسمت البحث إلى خمسة فصول

بحثت في الفصل الأول عن بداية ظهور الطموح العباسي الذي بدأ في الحقبة التي ظهر فيها علي بن عبد الله بن العباس ثم ابنه محمد بن علي الذي كان يُعدّ بحق المنظم الأول للدعوة السرية باسم العباسيين ، ثم انتقلت إلى ابنه إبراهيم الإمام[1]ثم إلى السفاح، وقد تبين أن اختيار السفاح لم يكن محض الصدفة فهناك عدة أسباب ترشح السفاح دون غيره نذكر منها:

- موافقة أفراد الأسرة العباسية على ترشيحه والدليل على ذلك عدم وجود معارضة له بين أفراد الأسرة العباسية .
- يبدو أن شخصية أبو العباس السفاح قد نالت الرضى من قبل القادة العسكريين باستثناء أبي سلمة .
- استغلال أبي العباس موضوع خؤولته في بني الحارث اليمنيين ليلفت نظر القادة الذين كانوا يشاركونه في الانتماء القبلي
- كان أبو العباس عربي الأب والأم،وكان العرف السائد زمن الأمويين أن لا يتولى الخلافة من كانت أمه من الجواري .

ويلاحـــظ أنـــه مـــا أن انتقلت الخلافة لأبي جعفر المنصور حتى بدأ الصراع على السلطة يظهر بين أفراد البيت العباسي،فقد كان لوصية السفاح لأخيه المنصور أثر كبير في حدوث انشقاق بين أفراد أسرته .

[1]- البلاذري(الإمام أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ /٨٩٢م) : أنساب الأشراف،تحقيق د.سهيل زكار،رياض الزركلي،دار الفكر،بيروت١٩٩٦م ،ج٤،ص١٥٧ (وسيرد البلاذري ج/ص).

- المقريزي (أحمد بن علي تقي الدين المقريزي ٧٦٦ هـ -٨٤٥هـ/١٣٦٥-١٤٤١م):المقفى الكبير،تحقيق محمد اليعلاوي،بيروت ١٩٩١،ج٤،ص١٣٣ ، (وسيرد المقفى الكبير).

فقد انشق عنه عمه عبد الله بن علي وأعلن عصيانه،والتف حوله أهل الشام[1]، بَيد أن المنصور استطاع أن يهزمه .

وفي الفصل الثاني انتقلت للحديث عن تحويل ولاية العهد من عيسى بن موسى إلى المهدي ،ويلاحظ أن الخلفاء بمجرد وصولهم إلى السلطة يفكرون بخلع ولاة عهودهم وتعيين أبـــنائهم بدلاً عنهم ،وهذا ما فعله المنصور حيث أجبر عيسى بن موسى ولي عهده على التنازل عن ولاية العهد لابنه المهدي مستخدماً كافة أساليب الترغيب والترهيب،حيث بدأ بالـــتخلص من أبي مسلم الخراساني الحليف القوي لعيسى بن موسى ،-فقد أدرك أن هذا الرجل لن يتيح له أن يتصرف كما يشاء فتخلص منه ، وبذلك يكون قد تخلص من قائد الحـــزب الخراساني الذي كان له دور كبير في الثورة العباسية والسند الحقيقي لولي عهده عيسى بن موسى .

ثم قـــام بتجريد عيسى بن موسى من منصبه كوالٍ للكوفة[2]، وبدأ باستخدام كافة الأســـاليب لإجـــباره على التنازل حتى حصل على هذا التنازل ،ثم اتبع المهدي الأسلوب نفســـه حتى أجبر عيسى بن موسى على خلع نفسه والبيعة لولديه الهادي والرشيد مقابل أموال وضياع [3] .

ثم انتقلت للحديث عن الفتنة بين الهادي والرشيد ،والتي بدأت منذ عهد أبيهما، فمن الواضح في هذه الحقبة تدخل الحريم في السياسة ،فقد كانت زوجة المهدي الخيزران تتمتع بنفوذ كبير في القصر،ومن المؤكد أن هذا النفوذ لم يكن يرضي الهادي الذي كان لا يـــريد لأحـــد أن يشـــاركه في السلطة ،ففي هذه الحقبة بدأنا نشهد تدخل الحريم في

1- أنظر ابن خلدون(عبد الرحمن ٧٣٢-٨٠٨هـ) :تاريخ ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت١٩٨٤م ،وما بعد (وسيرد تاريخ ابن خلدون)،ج٣،ص٢٢٢حتى ٢٢٩.

2- ابن الأثير (عزّ الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ٥٥٥هـ/ ٦٣٠هـ /١١٦٠-١٢٢٣م):الكامل في التاريخ تحقيق عبدالله القاضي،دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٥هـ ج٥ ،ص١٥٨ وما بعد (وسيرد ابن الأثير ج/ص).

3- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ٢٢٤-٣١٠هـ /٨٢٧-٩١٠م) : تاريخ الرسل والملوك ، تقديم نواف الجراح، دار صادر، بيروت ٢٠٠٣م ،ج٥، ص١٦٦١.

الحياة السياسية ،وهذا ما أزعج الخيزران،لذلك لا يستبعد أن تكون هي التي أقنعت المهدي بتقديم الرشيد على الهادي، ولكن وفاة المهدي حالت دون ذلك ،وربما كانت وفاة المهدي نتيجة هذه المحاولة .

ثم انتقلت للحديث عن الهادي الذي سعى منذ وصوله إلى الخلافة إلى خلع أخيه الرشيد. ولكن ذلك لم يكن ليرضي الحزب الخراساني ممثلاً بالبرامكة وحليفتها الخيزران ، فسارع البرامكة للتخلص منه بالتآمر مع الخيزران .

وانتقلت في الفصل الثالث للحديث عن الفتنة بين الأمين والمأمون ،ساعية للبحث وراء جذور هذه الفتنة ،ودورالأحزاب والقوى المتصارعة في إذكائها ،حيث أن البلاط العباسي كان يشهد مولد حزبين متنافسين ،هما الحزب العربي والحزب الخراساني ،وبحثت في دور زبيدة في إسناد ولاية العهد لابنها الأمين وهو لايتجاوز الخامسة من عمره ،ثم موقف البرامكة من ذلك ،ودورهم في أن تكون ولاية العهد للمأمون بعد الأمين .

ثم بحثت في موقف الرشيد من الأحزاب المتصارعة ،وماهي الإجراءات التي اتخذها لتجنب وقوع الفتنة بين ولديه وخاصة مع كثرة المتآمرين ؟ ثم بحثت في الأسباب التي دفعت الرشيد بأن يأمر ولديه أن يكتبا كتباً للوفاء لبعضهما وعلقهما في الكعبة .

ثم بحثت في أسباب عودة الجيش الذي أوصى به الرشيد للمأمون إلى بغداد ، ودور الفضل بن الربيع في ذلك.

ثم انتقلت للحديث عن استعدادات كلا الطرفين لهزيمة الآخر ،وكيف كان استعداد المأمون أكثر ،فقد كان محاطاً برجال عُرفوا بالدهاء أمثال الفضل بن سهل ،على عكس الأمين الذي كان واثقاً من النصر لهذا لم يأبه لهذه الحرب ،لذلك انقلبت الموازين وانتصر المأمون وبانتصاره ينتصر أهل خراسان ثانية .

ومن الواضح أن الدعوة العباسية منذ بدايتها قامت معتمدة على الحزب الخراساني ،ولذلك نجد قادة هذا الحزب دائماً يحاولون أن تكون لهم السلطة والنفوذ إن لم

يكـــن عن طريق الخليفة كان من خلال كسب تأييد المرشح لولاية العهد ، وهذا مافعله البرامكة مع الرشيد حيث ساندوه في الوصول إلى الخلافة فكانت لهم السلطة الفعلية ، وبالمقابل نجد الخلفاء يتقلبون عليهم إذا شعروا بالخطر وهذا ما كان من الرشيد .

حيث اعتمد على البرامكة اعتماداً كلياً وقام بناءً على موافقتهم بعقد البيعة لابنه الأمين ثم المأمون ثم المؤتمن،وقسم دولته بينهم ،ثم انقلب على البرامكة حين شعر بازدياد نفـــوذهم ،وإذا كــــان قد تخلص من البرامكة فإن القادة الجدد لهذا الحزب (الفضل بن ســـهل) قد انضموا إلى المأمون وجاهدوا من أجل انتصاره على أخيه الأمين،ولا يستبعد أن يكونـــوا أخذوا درساً من نكبة البرامكة حيث اقنعوا المأمون بالبقاء في مرو عاصمة خراســـان فأصـــبحت الأمـــور كلها بيدهم ،لذلك كان على المأمون أن يقوم بعمل يرضيهم فقام بإسناد ولاية العهد لعلي الرضا لكسب الحزب الخراساني إلى جانبه،وكسب تأييد أهل خراسان المتشيعين ، إضافةً إلى كسب تأييد أنصار الشيعة .

ولا يســتبعد أن يكـــون هذا الفعل مؤقتاً قُصد منه تهدئة الأوضاع ،فعندما علم المأمون أن مركزه في بغداد معرض للخطر وذلك عندما أجمع أهل بغداد على خلعه وتعين عمـــه إبراهيم بن المهدي بدلاً منه، انقلب على الحزب الخراساني وقتل قائده الفضل بن ســـهل الذي لم يخبره بالأحداث التي كانت في بغداد ، ثم اتبع ذلك التخلص من العقبة الأساســـية مـــن علي الرضا وليّ عهده ، فكانت الخطوة الأولى قتل الفضل بن سهل ثم الرضا.

ثم انـــتقلت للحديث على أن المأمون ربما قد تبنى الفكر الاعتزالي الذي يؤمن بأن الإمامـــية للأفضـــل،وكيف أن هذا الفكر قد تلاقى مع أفكار اليزيدية ،لذلك لم نجد قيام ثورات شيعية ضد المأمون ولاخَلَفِه حتى جاء المتوكل وانقلب على المعتزلة .

وفي الفصـــل الخامس والأخير انتقلت للبحث في الأسباب التي دفعت المعتصم إلى استخدام عنصر جديد هو العنصر التركي ، ومن الواضح أن المعتصم انقلب على الحزب الخراساني وقادته باعتماده على عنصر جديد هو العنصر التركي،حيث أكثر من شرائه ربما للـــتخلص من الصراع بين الحزبين العربي والخراساني ،حيث أراد أن يكون لنفسه حزباً جديـــداً يعتمد عليه،وبذلك أحدث خللاً في التوازن بحيث انفرد الأتراك في السلطة ،وقد

نـــدم المعتصم على فعلتهولكن ما فائدة الندم، وقد عبر المعتصم عن أسفه لاعتماده على هؤلاء الأتراك في هذه العبارة التي خاطب فيها أحد غلمانه فقال : «في قلبي أمر أنا مفكر فـــيه مـــنذ مدة طويلة : نظرت إلى أخي المأمون وقد اصطنع أربعة أنجبوا ،واصطنعت أنا أربعـــة لم يفلح أحد منهم ،قلت : ومن الذين اصطنعهم أخوك ؟ قال : طاهر بن الحسين فقد رأيت وسمعت ، وعبد الله بن طاهر فهو الرجل الذي لم ير مثله ، وأنت ،فأنت والله الـــذي لايعـــتاض السلطان منك أبداً، وأخوك محمد بن إبراهيم وأين مثل .محمد؟وأما أنا فاصطنعت الأفشين ، فقد رأيت إلى ما صار أمره . وأشناس ففشل رأيه ، وإيتاخ فلاشيء ووصـــيف فـــلا مغـــنى فيه . فقلت : يا أمير المؤمنين أعزك الله نظر أخوك إلى الأصول فاستعملها فأنجبت فروعها،واستعمل أمير المؤمنين فروعاً لم تنجب إذ لا أصول لها.قال: يا إسحاق؛ لمقاساة ما مر بي في طول هذه المدة أسهل علي من هذا الجواب »[1] .

ثم بحـــثت في ازديـــاد نفوذ الأتراك الكبير في الدولة،وقد اشتهر من بينهم أشناس وإيـــتاخ ،وأصبح للأتراك نفوذ كبير في الدولة،وهذا مادفع عجيف بن عنبسة لتحريض العباس بن المأمون للتخلص من عمه وأتراكه،ولكن المعتصم عرف بالمؤامرة فتخلص منهما.

ثم انتقلت للحديث عن المتوكل وموقفه من الأتراك،حيث حاول المتوكل التخلص مـــن نفـــوذ الأتراك ،فقام بنقل العاصمة إلى دمشق لكن محاولته باءت بالفشل،إذ أجبره الأتـــراك على العودة،ثم استغلوا الخلاف الذي حدث بينه وبين ولده المنتصر ،فتأمروا معه وقـــتلوه وبذلك تمكن الأتراك من السيطرة على مقاليد الأمر فصار بيدهم تعين الخليفة أو إقالته.

وأخـــيراً خـــتمت البحث بخاتمة حاولت من خلالها تقديم صورة واضحة لنتائج هذا الدراسة ،وأوضحت في الخاتمة فلسفة الرسالة والأهداف والأبعاد التي رمت إليها في خطابها.

---

[1]– الطبري : تاريخ الرسل والملوك ،المصدر المتقدم ،ج٥ ،ص١٩٢٤.

– حسن إبراهيم حسن:تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،ج٤،القاهرة ١٩٩٦م ،ص١٥٩ وما بعد ،وسيرد (حسن إبراهيم حسن) .

وختاماً لا يسعني إلا أن أقدم شكري وعظيم امتناني لأستاذي الفاضل ،الأستاذ الدكتور سهيل زكار ،الذي رعاني ووجهني التوجيه السديد ،وأمدني بالكثير من المصادر من مكتبته العامرة ،وكان لتوجيهاته وتشجيعه إيّاي وصبره عليّ أثر كبير في مواصلة البحث والدراسة .سائلةً المولى أن يطيل في عمره ،و ينسأ في عمره ، ويديم عليه الصحة والعافية، و يحفظه لنا ولأسرته الفاضلة .

وها أنا أضع رسالتي هذه بين أعضاء لجنة الحكم الكريمة من الأساتذة المختصّين ،لتقويمها مع تقديري الكبير لجهودهم وتقبلوا فائق احترامي وشكري .

والله ولي التوفيق.

مدخل

في المصادر والمراجع : دراسة وتقويم

اعـــتمدت في رسالتي على مجموعة كبيرة من المصادر والمراجع من كتب التواريخ العامة والتراجم وتواريخ البلدان و الطبقات، فكان بعضها شديد الصلة بالموضوع ويغطي كامـــل فصول الدراسة ،وبعضها الآخر يوضّح بعض جوانب الموضوع ،وبما أن البحث يختص بدراسة ولاية العهد في العصر العباسي الأول،وبما أن مركز الأحداث كان في بغداد فقـــد اعـــتمدت بشكل رئيسي على المصادر العراقية القريبة من الحدث ،مثل الطبري والدينوري واليعقوبي والخطيب البغدادي والجهشياري ثم بعد ذلك على المصادر الشامية والمصـــرية والمغـــربية،ومع ذلك فإني آثرت ترتيبها حسب قدمها تاريخياً بالنسبة للبحث بشكل تقريبي ثم عرض للمصادر الأقل أهمية بالنسبة للبحث.

- البلاذري (الإمام أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ /٨٩٢م):

وهو مؤرخ وجغرافي ،من أهل بغداد عاصر المتوكل ،له مؤلفات عديدة منها : أنساب الأشـــراف والــتي جاءت الفائدة منه في هذا البحث وخاصة الفصل الأول والثاني حيث أورد في الجزء الرابع من كتابه عن أمر العباس وولده ،وكانت الفائدة منه كبيرة في ترجمة السفاح والمنصور ثم موضوع بيعة المهدي .

-أبو حنيفة الدينوري (أحمد بن أبي داؤود ت ٢٨٢هـ):

وهـــو من أهل العراق صاحب كتاب الأخبار الطوال الذي يعد من أهم المصادر التاريخية الأولى في الإبانة عن الأحداث الدقيقة في الدولة العربية من بعد ظهور الإسلام إلى آخر عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله .

وكانـــت الفائـــدة منه في معظم الفصول وخاصة في الفصل الأول أثناء حديثي عن أبي سلمة الخلال ومحاولة السفاح وأبي مسلم الخراساني التخلص منه ثم الأحداث التي أعقبت ذلك .

- ابن طيفور (أبو الفضل بن طاهر ت ٢٨٠هـ /٨٩٣م):

وكان من أهل العراق،جاءت الفائدة من القطعة التي وصلتنا من كتابه بغداد في تـــاريخ الخلافة العباسية،وهو أقدم ما كتب في تاريخ الخليفة المأمون وعصره الذهبي ،وقد اعـــتمدت عليه في الفصل الرابع أثناء حديثي عن المأمون وعقده البيعة لعلي الرضا،وموقف أهـــل بغـــداد من ذلك حيث ذكر كيف أن أهل بغداد التفوا حول إبراهيم بن المهدي وبايعوه خليفة عليهم .

- اليعقوبي(أحمد بن أبي جعفر بن وهب بن واضح ت بعد ٢٩٢هـ/٩٠٥م):

بغـــدادي أرخ منذ خلق أدم حتى ٢٥٩ هـ/٩٠٥م في كتابه تاريخ اليعقوبي ،وقد اعتمد في تأريخه على الأحداث التي حدثت أيام الخلفاء ، وكانت الفائدة منه في كافة الفصول لأنه يحتوي على مادة غنية عن الموضوع لاسيما عن خلفاء هذا العصر العباســي الأول ، وبشكل خاص في الفصل الثاني والثالث في الحديث عن المهدي وولاية العهد ،ثم الفتنة التي كانت بين الهادي والرشيد،ثم بين الأمين والمأمون ،وقد ذكر اليعقوبي أن الرضـــا مـــات مســـموماً ، وهو أقدم مصدر يورد ذلك الخبر ،ومن المفيد ذكره أن الـــيعقوبي كان متشيعاً فلا يستبعد أن يكون قد أورد هذا الخبر متأثرا بتشيعه ،ولا يستبعد أيضاً أنه كان متأكداً من صحة الخبر ولذلك نقله .

- ابن قتيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم ٢١٣-٢٧٦هـ) :

بغـــدادي صاحب المعارف ولربما الإمامة والسياسة وجاءت الفائدة منهما في الفصـــل الثاني في حديثي عن الفتنة بين الهادي والرشيد،وقد انفرد هذا المصدر بذكر أن المهدي مات مقتولاً،ثم أفدت منه في حديثي عن الفتنة بين الأمين والمأمون .

- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ٢٢٤-٣١٠هـ /٨٢٧-٩١٠م) :

مـــن مـــنطقة طبرستان أشهر مؤرخ عربي دوّن التاريخ على ترتيب السنين .ومن المعـــروف أن الطبري كان محدِّثاً ولذا فإنه طبق الحديث على علم التاريخ ،وجاء كتابه تاريخ الرسل والملوك تتويجاً لمرحلة نضجت خلالها الكتابة التاريخية .

وقـــد أورد الخبر كما ذكرت آنفاً تبعاً للسنين؛ أي اتبع أسلوب الحوليات ،وكان يكتفي بذكـــر الخـــبر دون التعليق عليه أو التأكد من صحته،كان ناقلاً للخبر ،ونحا الطبري نحو تشـــتيت أدوار الحـــوادث في سنين أو أشهر عديدة من السنين وإلى تشتيتها في الأخبار المختلفة ،بحيث أن الحادثة الواحدة تقطع في سنة ثم تكمل في سنة ثانية .

ويُعد كتابه تاريخ الرسل والملوك من الكتب الهامة التي تبحث في تاريخ البشر منذ بدء الخليقة حتى عصر المؤرخ ،ويركز بالطبع على التاريخ الإسلامي . وقد جاءت الفائدة مـــن كتابه هذا في كافة فصول البحث حيث يوجد في هذا الكتاب مادة غنية عن العصر العباســـي لاســـيما عن خلفاء هذا العصر ،بدءاًمن السفاح والمنصور و المهدي والهادي والرشيد ،ثم الفتنة بين الأمين والمأمون و المعتصم والمتوكل آخر الخلفاء في موضوع بحثنا .

وفيه مادة ضخمة عن الصراع بين الأمين والمأمون فقد أورد في الجزء الخامس من كـــتابه النصوص التي كتبها الأمين والمأمون،وعلقها الرشيد في الكعبة ،ويبدو أنه لم يراعِ تـــرتيبها زمنياً ،ثم أورد تفاصيل كثيرة عن المعارك التي دارت بيت الأخويين . وقد كان الطـــبري يكتفي بذكر الخبر دون تعليق،فقد ذكر أن المهدي أراد تقديم الرشيد على أخيه موســـى الهادي لكن دون ذكر السبب كما أنه ذكر روايات عديدة حول وفاة المهدي دون ترجيح أحدها لقد كان ناقلاً للخبر فقط .

- الجهشياري (أبو عبد الله بن محمد بن عبدوس الكوفي ت ٣٣٢هـ/٩٤٣م):

مـــن بغـــداد،صـــاحب كتاب الوزراء والكتاب ،مؤرخ قديم من طبقة ابن جرير الطبري والمسعودي .

يعـــد كتابه هذا من أعظم مصادر التاريخ الإسلامي،تأريخه حتى عصر المأمون،فيه مادة غنية عن وزراء وكتاب الخلفاء،جاءت الفائدة منه في كل فصول البحث وخاصة في الحـــديث عن دور الوزراء في تقرير ولي العهد ولاسيما دور الفضل بن الربيع والفضل بن سهل و النفوذ الذي شغله الفضل بن سهل في عهد المأمون،وعن دوره في عقد البيعة لعلي الرضا.

- المسعودي (علي بن الحسين بن علي المكنّى بأبي الحسن ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م):

عراقي رحالة وهو من ذرية الصحابي العالم العلامة الإمام عبد الله بن مسعود ، اتبع أخبار الملوك الغابرة والقرون الخالية وصولاً إلى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خلافة المتقي بالله وهي سنة٣٣٢ هـ /٩٤٣م،وقد أفدت من كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهــر في كافة فصولي،ففيه مادة وافرة عن خلفاء العصر العباسي الأول ومشكلة ولاية العهد وخاصة في الفتنة بين الأمين والمأمون حيث أورد المسعودي تفاصيل كثيرة عن هذه الفتنة وعقد البيعة لعلي الرضا ووفاته الفجائية .

-أبو حنيفة النعمان (ابن محمد التميمي المغربي ت٣٦٣هـ /٩٧٤م):

أفــدت من كتابه شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ،والمؤلف من ١٦جزء، استعملت الجزء الحادي عشر والذي يتحدث فيه عن الرضا عليه السلام وولاية العهد في الفصل الرابع أيضاً،ويبين أن المأمون قد دبر أمر مقتل الإمام الرضا عليه السلام .

- القمي (محمد بن علي بن الحسين القمي ت ٣٨١ هـ /٩٩٢م) :

صــاحب كتاب عيون أخبار الرضا،والكتاب مؤلف من جزأين يتحدث فيه عن أخــبار الرضا عليه السلام ،وقد كانت الفائدة من الجزء الأول والذي يتحدث فيه عن عقد المأمون البيعة لعلي الرضا،وأسباب قبول الرضا لولاية العهد حيث ذكر أن المأمون أجــبر الرضــا على قبول ولاية العهد ثم دبر مقتله حيث استخدمته في الفصل الرابع من البحث .

- البغدادي (الخطيب أحمد بن علي ٣٩٢-٤٦٣هـ/١٠٠٢-١٠٧٢م) :

نشــأ وتوفي في بغداد،ومن كتبه المشهورة تاريخ بغداد الغني بالمعلومات عن بغداد وخلفائهــا ، وهو مرتب حسب حروف المعجم ،وهو ما يمكن أن يطلق عليه تاريخ تراجم رجــال والذي يتبين انتسابه للحديث أكثر من انتسابه للتاريخ،وكانت الفائدة منه كبيرة، فقد اعتمدت عليه في كافة فصول بحثي حيث أفدت منه في التراجم لبعض الشخصيات مثل المنصور والمهدي والمأمون وعلي الرضا.

- ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج ٥٠٨-٥٩٧هـ/١١٤-١٢٠١م) :ولد في بغداد،وفيها توفي،علامة عصره،له نحو ٣٠٠ مصنف ،وقد أفدت من كتابه المنتظم في تواريخ الملوك والأمم حيث أرخ منذ بدء الخليقة ،وقد استقى نصوصاً من الطبري،وقام بسرد الحوادث تبعاً للزمن،وفي نهاية كل سنة كان يذكر الوفيات ، وقد ذكر الحادثة متفرقة .

ويحتوي كتابه المنتظم على معلومات غنية عن خلفاء العصر العباسي الأول ومشكلة ولاية العهد في هذا العصر ،وقد أفدت منه في كافة فصول البحث وقد كان ناقلاً عن الطبري وابن الأثير .

- ابـــن الأثير (عزّ الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ٥٥٥هـ/ ٦٣٠هـ /١١٦٠-١٢٢٣م):

ولد في جزيرة ابن عمر،وتوفي في الموصل،اشتهر بالنسب والأدب والتاريخ ، اتبع أسلوب الحوليات ،وحاول ذكر أغلب الأحداث ، قام بجمع الحادثة في موضع واحد على عكس الطبري الذي أورد الحادثة التي جرت في كل سنة فأتت مجزأة، وذكر في آخر كل سنة حادثة كبيرة مشهورة .

ابتدأ منذ تأريخ العرب قبل الإسلام منذ خلق أدم عليه السلام حتى ٦٢٩ هـ /١٢٢٢م، وذكـــر في آخـــر كل سنة من توفي من مشهوري العلماء والأعيان والفضلاء ،وكان ابن الأثـــير قـــد اعتمد في تاريخه على كتاب تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري اعتماداً أساسياً،وقام ابن الأثير بإسقاط الروايات المتكررة التي حشدها الطبري ،لكنه ابتعد عن نقد الخبر وتحليله .

وقـــد أفدت من كتابه هذا في كافة فصولي لأنه يحتوي على معلومات كثيرة عن الخلفاء بدءاً من أبي السفاح والمنصور ومشكلة ولاية العهد والمهدي،وولاية العهد والرشيد والفتنة بـــين الأمـــين والمأمون التي تناولها بكثير من الذكر ثم عن عقد البيعة لعلي الرضا ووفاته المفاجـــئة ويذكر أنه مات مسموماً، ثم الحديث عن المعتصم وإكثاره من شراء الأتراك ، والاعـــتماد عليهم في الدولة ثم محاولة المتوكل التخلص منهم ومحاولته نقل العاصمة إلى دمشق ثم مقتله على يد الأتراك .

- الذهبي (شمس الدين محمد بن أبي أحمد بن عثمان الـــذهبي ٦٧٣-٧٤٨ ﻫ/١٢٧٢م-١٣٤٧م) :

صاحب العبر في خبر من غبر وهو تاريخ مختصر على السنوات يذكر فيه أشـــهر الحوادث والوفيات يبدأ تأريخه من السنة الأولى للهجرة حتى ٧٠٠ﻫ ويذكر الحادثة دون تعليق أو ترتيب وقد ولد الذهبي بدمشق في أوائل عصر المماليك ،وقد جمع الحوادث التي وقعت سنة سنة ثم ذكر وفيات الكبار من الخلفاء والقراء .

وجاءت الفائدة منه في معظم فصول البحث لأنه تناول مشكلة ولاية العهد مـــع خلفـــاء العصر العباسي الأول .

- ابن كثير (إسماعيل بن كثير القرشي ت ٧٧٤ﻫ/١٣٨٥):

من سكان دمشق أرخ منذ خلق الكون حـــتى مقتـــل يلبغـــا الأمـــير الكـــبير ٧٦٧ﻫ/١٣٧٧- نقل عن المؤرخين السابقين (ابن سعد ،الواقدي ،الطبري ..) يعد الزمن لديه عنصر مهماً لسرد التأريخ،ولابد منالذكر بأن كتابه ضم كثيراًمن الإسرائيليات وذلك للفترة التي سبقت قيام الإسلام فيه معلومات غنية عن موضوع بحثي ،حيث تزودت منه في كافة فصولي لأنه تضمن الكثير عن العباسيين ، فتحدث عن السفاح والمنصور وصراعه مع عمه عبد الله بن علي ،ثم قيامه بتحويل ولاية العهد لابنه المهدي ،ثم عن المهدي و عقده البيعة لولديه الهادي والرشيد ،ثم وفاة المهدي المفاجئة ،ومجيء الهادي ثم وفاته بعد فتـــرة قصيرة واتهام أمه بقتله ثم تحدث بشيء من التفاصيل عن عقد البيعة للأمـــين والمـــأمون ثم الفتنة بينهما ،ثم مسألة عقد البيعة للرضا ،ثم الحديث عن المعتصم وإكثاره مـــن العنـــصر التركي ، والمتوكل محاولته التخلص منهم ،ثم مقتله .

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون٧٣٢-٨٠٨ ﻫ) :

من بلاد المغرب الإسلامي ،انتهت رحلاته ما بين الشام ومصر ،من أوائل المؤرخين العرب الذي وضع طريقا واضحاً للمؤلف في عملية نقد الخبر أو تصديقه ،ومن كتبه التي استفدت منها في معظم فصولي كتاب تاريخ ابن خلدون

حيث أورد الكثير من المعلومات عن خلفاء العصر العباسي الأول وتعاملهم مـــع ولايـــة العهد حيث رغب معظمهم في حصرها في أبنائهم،فتحدث عن المنصور وولاية العهد ،ثم

المهدي ثم الفتنة بين الهادي والرشيد ثم بين الأمين والمأمون ،ثم تناول موضوع عقد البيعة للرضا وموته المفاجئ ، ثم تناول مشكلة تزايد الأتراك وموقف المتوكل ثم بين كيف أن الأتراك تآمروا مع ولده المنتصر وقتلوه .

- المقريزي (أحمد بن علي تقي الدين المقريزي ٧٦٦ هـ -٨٤٥هـ/١٣٦٥-١٤٤١م):

مؤرخ الديار المصرية أصله من بعلبك،ولد ونشأ في القاهرة ،له كتب عديدة منها المقفى والذي استفدنا منه كثيراً وخاصة الجزء الرابع الذي ضمنه ترجمة لأبي العباس السفاح

والمنصور وعبد الله بن علي ،ثم عن تحويل ولاية العهد من عيسى بن موسى إلى المهدي واحتوى على ترجمة جيدة عن المأمون وعن النصوص التي كتبها الأمين والمأمون على أنفسهما ،ثم أورد كيف أن المأمون عقد البيعة للرضا من آل بيت المصطفى،ثم وفاة الرضا المفاجئة واكتفي بالذكر أنه مات مسموماً.

-ابن العماد (عبد الحي بن أحمد الحنبلي ١٠٣٢-١٠٨٩هـ):

هو الإمام الفقيه الأديب المؤرخ المعروف بابن العماد ولد في صالحية دمشق .

يمتاز كتابه شذرات الذهب بأنه يؤرخ من السنة الأولى إلى سنة ألف للهجرة الأمر الذي يجعله من أوسع كتب التاريخ الإسلامي المختصرة من جهة استيعابه لما يقرب من ثلاثة قرون زيادة على كتب التاريخ الأخرى كتاريخ الإسلام للذهبي والبداية والنهاية لابن كثير وقد قام المؤلف بترجمة الأعيان من المحدثين والمؤرخين والأدباء والشعراء والفرسان والقادة والأمراء .

عني بالمقام الأول بذكر وفيات أعيان المحدثين من رجال العشرة واقتصر على ذكر بعض الأحداث التي شهدها القرن الأول الهجري ،وأغفل غيرها من الحوادث المهمة،وقد أفدت منه في كافة فصول البحث لاسيما الفصل الثالث في حديثي عن الفتنة بين الأمين والمأمون ثم في مسألة عقد البيعة لعلي الرضا وموقف أهل بغداد من ذلك ثم مقتل الفضل ابن سهل ووفاة الرضا .

- مؤلف مجهول من القرن الحادي عشر :

تضـــمن هذا المجلد معلومات غنية عن بداية الدعوة العباسية ووصية الإمام إبراهيم وانتقال الإمامة إلى السفاح، وقد استفدت منه كثيراً في الفصل الأول في حديثي عن بداية ظهور الطموح العباسي ،وفي الحديث عن علي بن محمد ثم عن ابنه محمد وعن وصيته لابنه إبراهيم ثم مسألة انتقال الإمامة إلى السفاح ووصية الإمام إبراهيم له .

-مؤلف مجهول أخبار العباس وولده :

أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده لمؤلف من القرن الثالث الهجري عن مخطوط فريد من مكتبة مدرسة أبي حنيفة - بغداد تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عبد الجبار المطلبي،يتناول الكتاب تاريخ الخلافة العباسية، إلا أنه - كما وصل - ينتهي قبيل قيامها. فالكتاب يتحدث عن العباس، وعبد الله بن العباس، وعلي بن عبد الله، ومحمـــد بن علي ثم عن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي، ونهايته، وهرب أخيه أبي العباس إلى الكوفة قبيل دخول القوات الخراسانية هذه المدينة. وحين يتناول الكتاب سيرة العباس ابـــن عبد المطلب وأولاده المذكورين يجعل محور حديثه قضية الإمامة وموقف العباسيين منها وتطلعهم إليها وعملهم في سبيلها. فهو في حقيقته تاريخ موسع للدعوة العباسية. واقتصـــرت الإفادة منه على الفصل الأول في حديثي عن الدعوة العباسية ووصية الإمام إبراهيم للسفاح .

- ابن عساكر (علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم ت٥٧١هـ -٤٩٩هـ/ ١١٥٠ م-١١٧٥م):

ولد في دمشق وفيها توفي ،كان محدثاً ورحالة،وقد أفدت من كتابه تاريخ دمشق وهو تاريخ ألفبائي،يتحدث فيه في المجلد الأول عن دمشق بشكل عام،ثم يتحول الكتاب إلى كتاب تراجم مرتب حسب حروف المعجم،وتشمل ترجمته رجالات العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه،وقد أفدت من ترجمته لخلفاء العصر العباسي موضوع البحث .

هـــذا وقد عدت إلى عدد كبير جداً من المصادر التاريخية التي اختلفت إفادتي منها بحسب فصول الرسالة ،وبحسب أهمية تلك المصادر بالنسبة إلى بحثي ،أهم هذه المصادر :

- (البدء والتاريخ) للبلخي (ت ٥٠٧هـ) .
- (سمط النجوم العوالي) لابن عبد الملك الشافعي المكي (١٠٤٩-١١١١هـ).
- (تاريخ الخلفاء) للسيوطي (ت٩١١هـ) .
- (تاريخ الموصل) للأزدي (ت٣٣٤ هـ/٩٤٥م) .
- (المختصر في تاريخ البشر) لأبي الفداء إسماعيل بن علي صاحب حماة (٦٧٢-٧٣٢هـ/ ١٢٧٣- ١٣٣١م).
- (الـــنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (٨١٣هـ -٨٧٤هـ).
- (بغية الطلب في تاريخ حلب) لابن العديم (الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة (٥٨٨-٦٦٠هـ/١١٩٢م-١٢٦٣م).
- (تاريخ خليفة) لابن خياط .
- (الطبقات الكبرى) لابن سعد محمد بن سعد أبو عبد الله البصري (١٦٨-٢٣٠هـ).
-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن علي بن أبي بكر بن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ).
- (سير أعلام النبلاء) لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٦٧٣-٧٤٨هـ).
- (الوافي بالوفيات) لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي .
-(الفتوح) لأحمد بن أعثم الكوفي .
- (تاريخ الزمان) لأبي الفرج جمال الدين ابن العبري .
- (أخـــبار النساء في كتاب الأغاني) و(مقاتل الطالبين) لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م).

وقد استفدت من عدد لا بأس به من المراجع نذكر منها :

- (العباسيون الأوائل) و(طبيعة الدعوة العباسية)لفاروق عمر وقد أفدت من الكتابين فقد استخدمت طبيعة الدعوة العباسية في الفصل الأول حيث قام المؤلف بدراسة تحليلية لطبيعة الدعوة العباسية ودور أهل خراسان فيها .

وجاءت الفائدة من الكتاب الثاني وهو العباسيون الأوائل للحقبة الأولى من العصر العباسي الأول منذ بدء الدعوة العباسية حتى بداية عهد الرشيد حيث قام المؤلف بدراسة تحليلية لهذه الفترة ،واستخدمت الجزء الثاني حيث أفرد المؤلف فصلاً هاماً عن مشكلة ولاية العهد لاسيما مشكلة ولاية العهد في زمن المهدي ثم الهادي ثم الفتنة بين الأمين والمأمون .

- (دولة بني العباس)و(في التاريخ العباسي) لشاكر مصطفى وفي كلا الكتابين قام المؤلف بدراسة تحليلية جادة عن العصر العباسي الأول موضوع الدراسة وقام بمعالجة مشكلة ولاية العهد بدءاً من عهد المنصور انتهاءً بالمتوكل ،وقد تمت الإفادة منه في كل الفصول في الفصل الثاني والثالث والرابع والخامس .

- (العباسيون في سنوات التأسيس) لعصام سخنيني حيث قام المؤلف بتفسير جديد للثورة والشرعية ونظام الحكم وقد أفدت منه في الفصل الأول في حديثي عن الدعوة العباسية ثم عن الظروف التي اختير فيها السفاح .

وقد اطلعت على عدد كبير من المراجع الأخرى منها :

- (النظم الإسلامية) للدوري أفدت منه في الفصل الأول وكذلك كتابه (العصر العباسي الأول).
- (التاريخ السياسي للدولة العربية) لعبد المنعم ماجد أفدت منه في كافة الفصول رجعت إليه حيث يحتوي على مادة لابأس بها عن مشكلة ولاية العهد في العصر العباسي الأول .
- (عصر المأمون)لأحمد فريد الرفاعي ، أفدت منه في معظم الفصول الأول والثاني والثالث .
- (تاريخ الإسلام السياسي) لحسن إبراهيم حسن .

- (أحداث عصر المأمون كما ترويها النقود) لسمير شما .
- (نظام الوزارة في العصر العباسي الأول) لإبراهيم سلمان الكروي .
- (أعلام النساء في علمي العرب والإسلام)لعمر رضا كحالة .
- (نساء لهن نصيب في التاريخ الإسلامي لعلي إبراهيم حسن.
- (تاريخ الشعوب الإسلامية) لكلود كاهن .

(الحياة السياسية للدولة العربية) لجمال الدين سرور .

الفصل الأول :

- تمهيد.
- ظهور الطموح السياسي للبيت العباسي .
- اختيار عبد الله بن محمد بن علي (السفاح) لمنصب الخلافة .
- دوافع أبي مسلم لاختياره للسفاح.
- إسناد ولاية العهد لأبي جعفر المنصور.
- موقف القادة العباسيين من وصية السفاح .
- أثر وصية السفاح في الأسرة العباسية .
- دور جند الشام في حركة عبد الله بن علي .

تمهيد :

جاء الإسلام ووحد العرب تحت لوائه ،وأصبحت الفئة الغالبة تدين بديانةواحدة ويترأسـهم رئـيس واحد. ومع أن فكرة وجود سلطة عدا سلطة القبيلة ، كانت غريبة بالنسبة للعرب فقد أدخلها الرسول صلى الله عليه وسلم مؤكداً بأنه لا توجد سلطة بشرية بـل سـلطة دينية، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم يمثلها وينفذ أوامرها . وآثرالرسول صلى الله عليه وسلم أن يترك للمسلمين أمر اختيار الخليفة من بعده ، وتعيين طبيعة الحكم في الدولة الإسلامية ، فكانت مشكلة الخلافة من أصعب ما واجه المسلمون في تاريخهم ، ويعلق المستشرق أرنولد على انتخاب أبي بكر الصديق فيقول إنه :((يتفق والتقاليد القبلية إذ كان منصب الرئاسة في القبيلة ينتقل عند وفاة الشيخ إلى ذلك الفرد الذي يتمتع بأكبر نفوذ والذي يحترم لسنه أو لنفوذه أو لخدماته)) [1]. أما تعيين عمر بن الخطاب فربما عاد إلى نفوذه القوي في خلافة الصديق وكذلك موافقة (أهل الحل العقد) أوغالبيتهم على بيعته[2]. وأختـار عمـر سـتة من البارزين وجعل أمر الخلافة شورى بينهم حيث أدى الأمر إلى انـتخاب عـثمان بن عفان . ثم تم اختيار علي بن أبي طالب بعد الفتنة الكبرى لسابقته وقرابته وفضله وعلمه،وقد أيده الأنصار وجماعة من المهاجرين،وكذلك الأمصار وخاصة العـراق[3]. وعلى ذلك فقد كانت الخلافة الراشدة خلافة انتخابية إلا أنها لم تعتمد على طريقة واحدة . فقدكان تعيين الخليفة يتم حيناً انتخاباً مباشراً وحيناً بتسمية تسبقها معرفة

---

1 - أرنولد (توماس) : الخلافة ، ترجمة جميل معلى ، دمشق ، دار اليقظة العربية،د.ت .

2 - الطبري ،المصدرالمتقدم ،حوادث سنة ١١هـ .

حول الخلافة الراشدية انظر:

-ابن الأثير ،المصدر المتقدم ،حوادث سنة ١١هـ .

- ابـن كـثير(إسماعيل بن كثير القرشي ت ٧٧٤هـ/١٣٨٥):: البداية والنهاية مكتبة المعارف ، بيروت ، د. ت (سيرد ابن كثير ج/ص)، ج ٧ ، ص٢٠ .

انظر عاقل (نبيه) : تاريخ عصر الرسول والخلفاء الراشدين دمشق ١٩٨٢م ، ص٢٤٤ وما بعد .

3 - الطبري : المصدر المتقدم،حوادث سنة ٣٢هـ .

- ابن كثير : البداية والنهاية ، المصدر المتقدم ،ج١٠، ص٢٠١ .

رأي الناخبين و يليها قبولهم بالبيعة ، ومرة انتخاباً يقوم بين الزعماء،وهو في جميع الحالات يقتصر بالدرجة الأولى على المدينة .

واشــتعلت نــار الحرب الأهلية من جديد بين الإمام علي ومعاوية . وحين طعن الإمــام علي لم يستخلف أحداً ولكن كلمة أهل الكوفة (العاصمة) اجتمعت على بيعة الحســن بــن علي . واستطاع معاوية بن أبي سفيان بالدهاء والخديعة والسيف أن يتقلد منصب الخلافة وكان نجاح معاوية تأكيداً لأهمية القوة في الوصول إلى الحكم وتفوقاً على التقالــيد القبلــية . وقد أكدت النظرية السياسية للأمويين على كون الخليفة الأموي هو خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن طاعته هي طاعة لله ولرسوله . وفي هذا العصر تــبلورت فكــرة السلطة الحاكمة المجسمة في شخص واحد هو الخليفة . وقد عارضه مجموعة من الأتقياء و المعارضين الذين نظروا إلى الخليفة على أنه بصورة رئيسية زعيماً دينياً لا رئيساً سياسياً . وإن سلطته لم تعد تتفق و الشرع ، ولذلك وصفوها بأنها (ملكاً لا خلافــة)،وقد رفض معاوية وجهة نظر المعارضة واصفاً إياها بأنها غير عملية ولا تخدم مصلحة العرب ولا مصلحته بالذات ، حتى أنه أكد الصفة الدَينَوية لسلطته قائلاً (أنا أول الملوك)[1]. ولعل من أهم البدع السياسية التي أدخلها معاوية إلى الحكم هو (مبدأ الوراثة) الــتي أثــرت تأثيراً مهماً على قواعد نظام ولاية العهد .ويقول عبد العزيز الدوري [2] إن العصــر الأموي كان عصر انتقال من طور الانتخاب إلى طور الوراثة المطلقة (في العصر العباسي) ، ذلك لأن الصراع استمر في هذا العصر بين ثلاثة تيارات هي :

١- التيار الإسلامي الذي يعد السلطة ملكاً إلاهياً لا بشرياً ، ولذلك لا يمكن أن يورثها الخليفة من شاء، بل يجب أن يشغلها أصلح المسلمين .

---

[1]-ابن كثير ،المصدر المتقدم ،ج٨،ص١٣٥.

- اليعقوبي(أحمد بن أبي جعفر بن وهب بن واضح ،ت بعد ٢٩٢هـ/٩٠٥م):تاريخ اليعقوبي ، دار صادر، بيروت،ج٢،ص٢٣٢، (وسيرد اليعقوبي).
- ابن عساكر (علي بن الحسن بن هبة الله ٤٩٩-٥٧١م) :تاريخ دمشق ،تحقيق محي الدين بن غرامة العمري ، ٧٠ ج،دار الفكر ،بيروت ١٩٩٥م،ج٥٩،ص١٧٧(وسيرد ابن عساكر).

[2]- الدوري : النظم الإسلامية ،بغداد ١٩٥٠ م ، ص ٣٧.

٢- التيارالقبلي الذي يقبل باختيار أقدر أفراد القبيلة وأفضلهم .

٣- تيار يؤمن بمبدأ الوراثة من الأب إلى الابن .

أما المستشرق دنيت[1] يستعرض اتجاهات الأمويين السياسية بالنقاط التالية :

١- أسهم نسب الأمير في ترشيحه لولاية العهد حيث اشترط أن يكون من أبوين عربيين حُـرّين،ولـذلك لم تتح الفرصة في القسم الأكبرفي العصرالأموي لأبناء الخلفاء من الاماء أوأمهات الأولاد ليصلوا إلى العرش.وربما كان أشهر مثل على ذلك هومسلمة ابن عبد الملك .

٢- لم يتقيد نظام الوراثة بالوراثة المباشرة أي أن الابن لم يتبع أباه بصورة عامة في ولاية العهد فقد كان الوليد الأول وسليمان ويزيد وهشام أخوة . وكانت خلافةعمر بن عبد العزيز بين سليمان ويزيد الثاني .

٣- كان العهد الذي يكتبه الخليفة الحاكم يحترم ويُنفذ عموماً،فحينما أراد هشام أن يعين ابنه ولياً للعهد لم يقدر وذلك لأن يزيد قد اختار هشاماًومن بعد الوليد الثاني .

٤- كان من مستلزمات ولي العهد أن يبلغ سن الرشد .

٥- وقد شغلت الوفود دوراً بارزاً في تأييد الخليفة الحاكم على تعيين خلفه .

٦- عـدَّ الأمويون خلافتهم مؤسسة مقدسة مصونة بحفظ الله ورعايته من الفتن . وأنها الوسيلة الوحيدة لإحقاق الحق وإقرار العدل وتطبيق الشريعة ورعاية مصالح الناس ، وأن طاعـة الخليفة الأموي معناها طاعة الله ورسوله . والخلافة الأموية تمثل الجماعة الإسـلامية وهي ملجأ المسلمين وحصنهم المنيع ، وأن ما يقوم به الخليفة من أعمال إنما هو بتوفيق الله . ويعني ذلك من وجهة نظرالأمويين السياسية الإقرار(بمبدأ الجبر) أي أن الله سبحانه وتعالى رغب بأن يحكم الأمويون الدولة الإسلامية،ولذلك نصرهم على أعدائهم في الداخل والخارج . لكن نظام الوراثة الذي ابتدعه معاوية لم يمنع من حدوث فتن واضطرابات ، فقد أحدثت مشكلة ولاية العهد (في نهاية العصر الأموي تحديداً) انقساماً في الأسرة الأموية ، وكانت هذه المشكلة أحد العوامل التي أدت إلى سقوط هذه الأسرة .

---

1 – dennett, D .C:marwan abn muhammad,ph.d. thesis harvard university.1939.

بينما نجد هذه المشكلة أخذت تتبلور بشكل أكبر في العصر العباسي، حيث كانت مشكلة ولاية العهد من المشاكل الكبرى التي أحدثت الشقاق في البيت العباسي . وأدت إلى قيام الصراع بين أفراد الأسرة العباسية .وقد كان الصراع خفيا أحياناً و علنياً أحياناً أخرى. ومن المؤكد أن التكتلات السياسية ومؤامرات رجال البلاط قد شغلت دوراً في إذكاء الصراع بتحريض الخلفاء على خلع ولاة عهودهم ، كما ظهر تدخل النساء في تعين المرشح لولاية العهد .

ظهور الطموح السياسي للبيت العباسي :

إن الطموح السياسي للبيت العباسي بدأ في الحقبة التي ظهر فيها علي[1] بن عبد الله ابن العباس الذي كان نشطاً من الناحية السياسة ، ولذلك نظرت إليه السلطة الأموية بعين الشك والحذر. إلا أن عبد الملك بن مروان كان يتردد إليه لأنه كان يرى بأن التصادم معه ربما أدى إلى ازدياد شهرته بين الناس . أما الوليد الأول فقد سجنه و ضربه بالسياط ثم نفاه إلى الشراة فاتخذ الحميمة مكاناً لإقامته [2]. وبعد وفاة علي العباسي ١١٨هـ ـ ٧٣٦ م ظهر ابنه محمد شخصية قوية بين العباسيين [3]. وكانت علاقة محمد العباسي بأبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية علاقة صداقة وتلمذة . ويظهر أن صلته بعبد الله ابن الحسن كانت جيدة أيضاً . والمفيد ذكره هنا إن المعارضة الهاشمية للأمويين كانت تبقى موحدة ما دامت السلطة الأموية قوية ، ولكن ما أن بدأت هذه السلطة بالضعف ، وبدأت المعارضة تزداد ويتسع نفوذها وبدأ الأمل يكبر في إمكانية

---

[1]- البلاذري(الإمام أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) : أنساب الأشراف،تحقيق د.سهيل زكار،رياض الزركلي،دار الفكر،بيروت١٩٩٦م ،ج٤،ص٧٦. (وسيرد البلاذري ج/ص).

- ابن سعد (محمد بن سعد أبو عبد الله البصري ١٦٨-٢٣٠هـ):الطبقات الكبرى ،٨ج،دار صادر ،بيروت د.ت ،ج٤،ص ٢٢٩. (وسيرد ابن سعد ج،ص).

[2]- أنظر مؤلف مجهول:تأريخ الخلفاء من القرن الحادي عشر ،كتابة المقدمة بطرس غريازنيويج،موسكو ١٩٦٧،ص ٤٩٢ - ٤٩٣ ، مخطوطة مصورة من مكتبة الدكتور سيهل زكار(وسيرد تأريخ الخلفاء). حيث ذكر المؤلف(... أن الوليد أمر بضربه ،وحمله على البعير يدار به في الأسواق ... وأمر أن يصاح هذا عبد الله بن علي الكذاب ، قال فدنا منه رجل وقال ماهذا الذي تسبوك إليه من الكذب فقال: بلغهم أني أقول إن هذا الأمر سيكون في ولدي و الله ليكون في ولدي...) .

[3] - البلاذري: ج٤،ص٧٦وما بعد.

إســقاط دولة الأمويين ، حتى ظهرت قيادات متعددة من بني هاشم مما أدى إلى تصدع وحدة المعارضة الهاشمية . والمفيد ذكره هنا إن أبا هاشم هو الذي أوصى لصديقه و تلميذه محمــد العباسي بوصيته المشهورة وأعلمه أسماء دعاته وأتباعه[1] . وبهذا انتقلت القيادة من العلــويين إلى العباسيين . إن هذا التقارب بين أبي هاشم (وهو علوي غير فاطمي) وبين محمــد العباســي ربما يمكن تفسيره على ضوء الروايات التي تقول بأن كلا الادعاءين الكيساني (نسبة إلى محمد بن الحنفية) والعباسي كانا مرفوضين وغير معترف بهما من قبل العلــويين مــن نسل فاطمة (رضي الله عنها) أي الحسنيون والحسينيون . ولقد حذّر الدعاة العباسيون أتباعهم من الاشتراك في ثورة زيد بن علي حين قيامها أو مساعدة ابنه يحيى في خراسان . كما وأن أبا مسلم الخراساني قتل عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب وذلك لأن خرا سان لا تتسع لأكثرمن دعوة واحدة هي الدعوة العباسية [2] .هكذا نــرى بــأن النواة الثورية للدعوة العباسية تشكلت حول محمد العباسي الذي يُعد بحق المــنظم الأول للدعــوة السرية باسم العباسيين . ثم انتقلت قيادة الدعوة من بعده إلى ابنه إبراهيم الإمام [3] حيث بدا وجهاً فعالاً جديداً للدعوة .وهكذا فقد انتقلت (الهاشمية)

[1]– مؤلف مجهول :تأريخ الخلفاء، ص٤٩٤.يورد (أن محمد بن الحنفية سأل أخويه الحسن والحسين بعض ما يتحمل بــه ....فأعطاه الحسين صحيفة صفراء فيها علم رايات خراسان السود ،ومتى تكون ،وكيف تكون،وأي شئ علاماتهــا،أي أحــياء العرب أنصارها،وأسماء رجالٍ يقومون بذلك، فكانت تلك الصحيفة عند محمد بن علي بن الحنفية ،حتى إذاحضر الموت أعطاها لابنه أبي هاشم،فكانت عنده حين حضره الموت ذلك عند انصرافه من عند هشــام بــن عبد الملك وموته بالحميمة عند محمد بن علي العباسي فأوصى إليه وأعطاه الصحيفة فأعطاها لابنه إبــراهيم...)، انظر أخبار الدولة العباسيةوفيه أخبار العباس وولده ، لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري ، تحقــيق عــبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي ، بيروت ،دار الطليعة للنشر ،١٩٧١م،ص١٨٤– (وسيرد أخبار الدولة العباسية)١٨٥.

انظر فاروق عمر: طبيعة الدعوة العباسية،بيروت ١٩٧٠ م .

[2]– أخبار الدولة العباسية، المصدر المتقدم ،ص ٢٠٢.

3 - البلاذري، المصدر المتقدم ، ج٤،ص٧٦ ،ج٤ ،ص١٥٧.

– المقريزي (أحمد بن علي تقي الدين المقريزي ٧٦٦ هـ -٨٤٥هـ/١٣٦٥-١٤٤١م):المقفى الكبير،تحقيق محمد اليعلاوي،بيروت ١٩٩١،ج٤، ص١٣٣،(وسيرد المقفى الكبير) .

– دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الجديدة ،مادة (إبراهيم الإمام)كتبهافاروق عمر.

إلى عباسية)،وعُرفت العباسية بأسماء عديدة في خرا سان خاصة في مرحلة الدعوة السرية من ٩٨ هـ - ١٢٨هـ [1].

عمل إبراهيم الإمام على دفع الدعوة قدماً،وعندما شعر إبراهيم الإمام بأن الدعوة وصـلت إلى مرحلة متقدمة وأنه بالإمكان إعلانها أرسل كتاباً إلى أبي مسلم وأمره أن يظهر الدعوة في سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٧ م [2].

علم مروان بن محمد ، بطريق أو بآخر ، بأن إبراهيم الإمام هو صاحب الدعوة ، فأرسل إلى عامله على البلقاء يطلب منه سرعة القبض عليه ، فأرسله إليه حيث أودعه السجن . ولما علم إبراهيم بما سيؤول إليه مصيره نعى نفسه لأهل بيته . وأوصى إلى أخيه أبي العباس بالإمامة ، وأمـر أهله بالرحيل من الحميمة إلى الكوفة [3].و ذكر صاحب كتاب تاريخ الخلفاء لمؤ لف مجهول ثلاث روايات مختلفة عن هذه الوصية الأولى: (إن ابراهيم الإمام

1- ومن هذه الاسماء الهاشمية الشيعة العباسية الكفية الخداشية، الراوندية . واحتفظت هذه المنظمة السرية بخصائص التطـرف،وظهـر التطـرف في مبادئ أحد الدعاة وهو عماربن يزيد خداش،حيث أرسل بكير بن ماهان داعية الكوفةعماراًهذا ليبشر بالدعوة العباسية ،

فـبدل اسمه وبدأ بنشر مبادئ الخرمية ودعى إلى إباحية النساء وغيرها من المبادئ المزدكية للمزيد انظر تأريخ الخلفاء ، ص٥١٠.

- الدوري:مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، بغداد،١٩٨٤، ص١٦.

2 - الطبري ، ج٤،ص١٤٩٦ومابعد .

انظر- مؤلف مجهول: العيون والحدائق،ص١٨٦ .

- ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ، بيروت،١٩٨٠،ص٢٠٦ .

- عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية،مصر ،١٩٥٧،ص٢٢٢ .

3 - المقريـزي : المقفى الكبيرفي تاريخ مصر و الواردين إليها،نسخة مصورة عن مجلدة باريس في مكتبة د .سهيل زكار ، ورقة ٦٧ وجه .

حول المعلومات عن مراحل الدعوة أنظر :- الطبري ، المصدر المتقدم ،ج٤،ص١٥٢٤ .

- المسـعودي(علـي بن الحسين بن علي المكنى بأبي الحسن ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،بيروت،دار الفكر ،١٩٧٣ ، ج٣،ص٢٥٨،(وسيرد مروج الذهب ومعادن الجوهر) .

- ابن قتيبة(أبو محمد عبد الله بن مسلم ٢١٣-٢٧٦هـ) : الإمامة والسياسية ، تحقيق طه الزيني ، بيروت،د.ت، ج ٢،ص ١٣٩، (وسيرد الإمامة والسياسية) .

- أبو الفداء : تاريخ أبي الفداء ، طبعة دارالمعرفة،بيروت ١٢٨٦هـ،ج١،ص٢٢١ .

كتب إلى أبي مسلم مع رجل من موالي عبد الله بن عباس يقال له عبد الله بن هلال عند ما نزل حلب نسخته(بسم الله الرحمن الرحيم ....أما بعد فإن رأيتموني قتيلاً أو ميتاً فلا يثنيكم ذلك عن القيام بالحق،فوالذي آمن به المؤمنون ليتمن الله أمركم ....وليقومن رجل من إخوتي خليفة مطلعاً وإماماً متبوعاً وهو عبد الله ابن الحارثية) الثانية : أنه كان في الحبس مع الإمام غلام يقال له سابق أهداه إليه بعض شيعة خراسان فلما أحس بالسم كتب رقعة واعطاها سابقاً وأسرَّ إليه شيئاً وسرَّحه من ليلته فأصبح ميتاً. وسُئِل سابق عن هذا الأمر فقال أمرني أن أقرأ على أبي العباس السلام وأُعْلمه أن الإمام ابراهيم هالكٌ،وأن الإمام محمد بن علي أوصى له بعد أخيه الإمام ، ونسخة الكتاب :((...هذاكتابي إليك من حران و أنا على شرف الأمرالذي لابد منه،فإذا كان ذلك فأنت الإمام الذي يقيم أمرنا.... واحفظ عبد الرحمن أميناً والساعي في أمرنا،وعرِّف أهل خراسان مايوجبه لنا بإثارة طاعتنا..)) والثالثة : إن الشيعة بخراسان وقفوا على أمر أبي العباس من قبل يقطين ابن موسى الكوفي أحد الدعاة،((فإنه لما حبس الإمام ابراهيم قال الشيعة ، وقد اشتبه عليهم أمر ولي العهد بعده أنا أعلم لكم ، فقصد حران ووقف على طريق مروان بن محمد، وادعى أنه رجل تاجرله حق عند الإمام ...فحمل إلى إبراهيم وطلب منه أن يخرج لهذا الرجل حقه ... فلما وقع عين يقطين عليه قال: يا عدو الله إلى من تكلني ومن أمرت بدفع حقي ... وإبراهيم يعرفه فقال : يا عافاك عبد الله ابن الحارثية فعاد إلى الشيعة وأخبرهم أن أبا العباس هو ولي العهد بعده ...))[1] .

وانتهت بعد ذلك حياة إبراهيم الإمام وهو في سجن أمية بحران سنة ١٣٢ هـ /٧٥٠ م. واختُلف في سبب موته[2] .

1- مؤلف مجهول: تأريخ الخلفاء،المصدرالمتقدم ،ص٥٣٤ وما بعد.

2- المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المصدر المتقدم ،ج٣ ، ص٢٦٧ .

ابن العبري : تاريخ مختصر الدول،المصدر المتقدم، ص٢٦ .

أحمد فريد الرفاعي : عصر المأمون ، دار الكتب المصرية ١٣٤٦هـ ،ج١ ، ص٨٦ .

اختيار عبد الله بن محمد بن علي (السفاح) لمنصب الخلافة :

لقـــد تم تنصيب الخليفة أبي العباس السفاح عبد الله بن محمد علي في ربيع الأول سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠ م . والسؤال المطروح هنا :

لماذا السفاح ؟

كانت المدة التي تم فيها تنصيب أبي العباس السفاح خليفة مدة مليئة بالشكوك والصراع . وكانت باعتبارات عديدة أخطر المراحل وأكثرها حرجاً في تاريخ الدعوة العباسية . وقبل أن نتفحص هذه الظروف نجد من الضروري تقويم التفسيرات الرسمية لوصول أبي العباس السفاح إلى منصب الخلافة كما ترويها مصادرنا القديمة . وفي هذا ذكر ابن أعثم الكوفي أن محمد بن علي نفسه هو الذي عين أبا العباس ليكون خليفته بعد أخيه إبراهيم ، فروى أن محمد حين أحس باقتراب أجله قال للشيعة في حضرته : (قد جعلت هذا الأمر في ابني إبراهيم المقيم بحران ، فإن أصيب فابني عبد الله بن الحارثية ، يعني أبا العباس ، فإن أصيب فابني عبد الله ، يعني أبا جعفر)[1].

غـــير أن هذه الرواية غير مقنعة : فمن جهة أولى ليس في مصادرنا الأخرى دليل على أن محمد بن علي نص على الإمامة من بعده على هذا الترتيب الذي أورده المصدر . ومن جهة أخرى لم يشر الخليفتان المقبلان أبو العباس وخاصة المنصور ، إلى وصية والدهما الأخـــيرة هـــذه ، ولو كانت هذه صحيحة لاستند إليها بقوة في الدفاع عن حقهما في المنصـــب.وهكذا نرى أن الرواية إما أن يكون قد وضعها ابن الأعثم نفسه أو أراد آخرون أن يســـميه ، ليفسر تسلسل الحوادث كما وقعت بالفعل ، أو لتتناسب الرواية مع نظرية العباســـيين في انتقال الإمامة بالنص .وهناك رواية مشابهة ذكرها صاحب كتاب تاريخ الخلفـــاء لمؤلف مجهول[2] : (سمعت بكير بن ماهان يقول:إني جالس عند محمد بن علي إذا أقـــبل عليه أبو العباس ابنه،فرفع إليه كتابا فقرأه فقال لي:تدري ممن هذا الكتاب قلت لا،

---

1 - الكوفي (أحمدبن أعثم) : كتاب الفتوح ، تحقيق محمد عبد الحميد ، بيروت ،د .ت مجلد الثامن ، ص١٥٥ .
مؤلف مجهول: تاريخ الخلفاء،المصدر المتقدم،ص٥٠٣.

2_كان بكير بن ماهان من أوائل الدعاة العباسيين ومنظمي هذه الدعوة،للمزيد من التفاصيل أنظر : مؤلف مجهول تاريخ الخلفاء ، المصدر المتقدم،ص٥٠٣. أنظر أيضا" الدوري: ضوء جديد على الثورة العباسية مجلة كلية الآداب،١٩٦١م.

فقـــال من خال هذا زياد بن عبدالله الحارثي سيد قومه،يا أبا هاشم وأشار إلى أبي العباس وقال هذا المجلي عن بني هاشم،القائم المهدي لا ما يقول عبد الله بن الحسن في ابنه محمد وحكى عن بكير أيضاً أنه قال:هذا إبراهيم الإمام صاحبك بعدي وقد عهدت إليه ...)[1].

وأكثر من هذه الروايات شيوعاً في مصادرنا كانت التقارير التي أوردت عن وصية إبراهيم الأخيرة والتي أوصى فيها لأخيه أبي العباس . غير أن المعلومات المضطربة عن هذه الوصية تجعلـــها أيضاً عرضة للنقد والشك . فالطبري اعتمد رواية تخبرنا بأن إبراهيم أصدر هذه الوصـــية عندما كان لا يزال في الحميمة وقد قدم إليه عملاء الخليفة الأموي لإلقاء القبض علـــيه فوفقاً لهذه الرواية ، فإن إبراهيم في حضور أهل بيته ، أوصى إلى أبي العباس،وجعله الخليفة بعده،وأمر أهل بيته بالمسير إلى الكوفة مع أخيه،وبالسمع له وبالطاعة[2].

وبخـــلاف هـــذه الرواية التي جعلت الوصية تعطى في الحميمة ، فإن المسعودي قرر أنها كانت في حران فيقول : (إنه لما حبس إبراهيم الإمام بحران وعلم أنه لا نجاة له من مروان أثـــبت وصيته ، وجعلها إلى أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد ، وأوصاه بالقيام بالدولة والجد والحركة ، وأن لا يكون له بعده بالحميمة لبث ولا عرجة ، حتى يتوجه إلى الكوفة فـــإن هـــذا الأمر صائر إليه لا محالة ، وأنه بذلك أتم الرواية ، وأظهره على أمر الدعاة بخراسان والنقباء ، ورسم له بذلك رسماً أوصاه فيه أن يعمل عليه ولا يتعداه)[3] .

---

[1]- مؤلف مجهول: تاريخ الخلفاء ، المصدر المتقدم، ص٥١٤ ، يروي مؤلف الكتاب رواية غريبة ذكر فيها أن الأمويين منعوا الهاشميين من التزوج بالحارثيات حتى جاء محمد بن علي فطلب من عمر بن عبد العزيز السماح له بالزواج من ابنة خاله الحارثية فسمح له وبالطبع فإن هذا المنع سببه النبوءة القائلة بأن زوال ملك بني أمية يكون على يد ابن الحارثية كما يذكر المؤلف.أنظر ،ص ٥٠٤،ص ٥٠٥ .

2- الطبري ، المصدر المتقدم، ج٤ ، ص١٥٢٤ .

انظر – ابن الأثير ، المصدر المتقدم ،ج٥ ، ص٦٣ .

– ابن كثير، المصدر المتقدم ،ج١٠ ، ص٣٩ .

– السيوطي(الحافظ جلال الدين) : تاريخ الخلفاء ، دار السعادة، مصر ١٣٧١هـ ،ج١ ، ص٢٥٧ .

– ابـــن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج ٥٠٨-٥٩٧هـ/١١١٤-١٢٠١م) ، المنتظم دار صادر بيروت، ١٣٥٨هـ ، ج٧/٣٩٧(وسيرد ابن الجوزي ج/ص) .

3 - مروج الذهب ومعادن الجواهر ، المصدر المتقدم، ج٣،ص٢٦٧ .

وتضـيف روايـة المسعودي: ((أن إبراهيم دفع الوصية بجميع ذلك إلى سابق الخوارزمي مولاه وأمره إن حدث به حدث من مروان ، أن يجد السير حتى يدفع وصيته إلى أخيه أبي العباس. فلما قضى إبراهيم نحبه ، أسرع سابق في السير حتى أتى الحميمة ، فدفع الوصية إلى العباس ، ونعاه إليه فأمره أبو العباس بستر الوصية . ثم أظهر أبو العباس أهل بيته على أمره .. وتوجه إلى الكوفة مسرعاً وهؤلاء معه)) .

غـير أن صاحب أخبار الدولة العباسية يجعل معلوماتنا أكثر إرباكاً . فهو أورد تقريرين مخـتلفين عنها ، ذكر في أحدهما أن إبراهيم كتب وصيته وهو في حلب ، وهو في طريقه إلى حـران ، وأنه كتب هذه الوصية إلى أبي مسلم ، القائد العسكري للثورة في خراسان ((ليقومن رجل من إخوتي خليفة مطاعاً وإماماًمتبوعاً وهوعبد الله الأصفر ابن الحارثية))

وأكد المؤلف أنه ((كان هذا الكتاب آخر كتاب كتبه إبراهيم ومع ذلك فهواحتفظ بتقرير آخر روى أن إبراهيم ، حال وصوله إلى حران وقبل اجتماعه بمروان ، دعا مولى له يقـال له سابق ، فدفع إليه كتاباً موجهاً إلى أبي العباس،ويتضمن هذا الكتاب توصية بأبي مسلم وأهالي خراسان،ويأمره بالشخوص إلى الكوفة)) .[1]

إن أهمية الروايتين تكمن في تأكيدها على أبي مسلم . ففي الأولى كان هو آخر من اتصـل به إبراهيم الإمام المتوفى ، قبل أن يقضي نحبه ، بينما لم تدّخر الثانية أي جهد في توطـيد مركز أبي مسلم،ليس في صفوف أنصارأبي مسلم الخراساني فحسب ، بل بالنسبة للخليفة القادم وهو ما له دلالته الخاصة . ولا يمكن أن يمر هذا التأكيد دون التساؤل عما إذا لم تكـن هاتـان الرسالتان ، والوصية فيهما قد قصد بهما تسويغ دور أبي مسلم في التطورات التي انتهت بتولي أبي العباس الخلافة ، وبروز دور أبي مسلم كأقوى شخصية في النظام الجديد[2]، كما سنبين لاحقاً .

---

1 -أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده ، المصدر المتقدم، ص٣٧٤/٣٧٨ .

2 - تاريخ الخلفاء ،لمؤلف مجهول ،المصدر المتقدم،ص٥٢٣.

- المقفى الكبير، المصدر المتقدم ،ج٤،ص١٣٣.

- moscati,studi-su-Abu -muslim,R.L.III,IV,V1945,1950

كـــذلك فإن ما يستحق الفحص بعناية الدور الذي شغله سابق في هذه التطورات وأدت إلى ظهـــور أبي العباس مرشحاً للخلافة من قبل أخيه إبراهيم . فقد كان سابق هو الذي نقل رسالة إبراهيم الإمام إلى أبي العباس ، كماذكرت المصادر[1] .

كـــذلك حدث أنه كان هو الذي أعلم قادة الثورة العسكريين لأول مرة بوصية إبراهيم الإمام ، بينما كان أبو العباس وإخوته وأعمامه محتجزين في بيت في الكوفة بناء على طلب من أبي سلمة الخلال . ووفقاً لذلك فإن مصادرنا تريدنا أن نعتقد أنه لولا سابق لما تمكن هؤلاء القادة من الوصول إلى أبي العباس . فهي ذكرت أن سابقاً ــوهو الوحيد (كما يبدو) باستثناء أبي سلمة الذي كان يعرف مكان العباسيين ــ اصطحب هؤلاء القادة حيث كان أبو العباس ليبايعوه خليفة[2] .

التعريف بسابق :

فمن هو سابق إذاً ؟

إن مصـــادرنا تقصـــر في التعرف على الرجل بدقة ، وتتركنا حائرين إزاء شخصيته ومن يكـــون . فصاحب كتاب تاريخ الخلفاء لمؤلف مجهول ذكر أن سابق كان غلاماً للإمام إبراهيم،أهداه إليه بعض الشيعة في خراسان،وكان في الحبس معه[3]،وكذلك صاحب أخبار

= Idem,II Testament di Au Hasim,R.S.O.1952.pp.28

Irye,The role of Abu Muslim,M.W.1947.

– حسن إبرهيم حسن ،أبومسلم الخراساني،القاهرة ١٩٥٨.زيدان (جورجي)، أبومسلم الخراساني 1933.

–أحمد شلبي ،في قصور الخلفاء العباسين،القاهرة ١٩٦٦.

1– مروج الذهب ومعادن الجواهر، المصدر المتقدم ،ج٣،ص٢٦٧ .

انظر أخبار الدولة العباسية ، المصدر المتقدم ،ص٤٠٢ .

2– اليعقوبي المصدر المتقدم ،ج٢،ص ٣٤٩ .

– الطبري ، المصدر المتقدم ،ج٤،ص١٥٤٢/١٥٢٥ .

–ابن الأثير ، المصدر المتقدم ،ج٥،ص٦٣ .

–الجهشياري (أبو عبد الله بن محمد بن عبدوس الكوفي ت ٣٣٢هـ/٩٤٣م): كتاب الوزراء والكتاب،ط١،مصر ١٩٣٨،ص٥٧.(وسيرد الجهشياري ص) .

3– تاريخ الخلفاء لمؤلف مجهول، المصدر المتقدم ،ص٥٨٧.

الدولة العباسية والمسعودي يقرران كلاهما أن سابقاً كان مولى لإبراهيم الإمام[1]. غير أن الطـبري يبدو أقل جزماً من ذلك فيورد روايتين مختلفتين ، إحداهما تذكر أن سابقاً كان خادمـاً لأبي العباس وليس لإبراهيم . بينماذكرت الرواية الثانية أنه كان خادماً لإبراهيم.[2] أمـا مسـاهمة اليعقوبي في هذا الأمر فهي غامضة أكثر ، ففي روايته عن اكتشاف القادة العسكريين مكان العباسيين في الكوفة . لا يذكر شيئاً عن وصية إبراهيم ، ولكنه كان يتحدث عن خادم نسبه مرة إلى العباسيين عموماً ، ومرة إلى أبي العباس تحديداً ، أرشده القادة إلى مكان الخليفة المقبل الذي كان مطلوباً منه الاختفاء فيه[3].

إن هـذا الغمـوض الذي يحيط بالوصية وبشخص ناقلها يجعل الاعتماد عليها لفهم تولي السـفاح السلطةغير ممكن ، خاصة أن اثنين من مصادرنا التاريخية المهمة قد تجاهلا تماماً هـذه الوصية[4]. وهكذا لفهم هذا التطور نجد من الأفضل تفحص الظروف التي تفاعلت بعد وفاة إبراهيم ، وانتهت بإعلان السفاح أول خليفة عباسي .

تـوفي إبـراهيم الإمام في حران بعيداً عن مركز الثورة القوية ، ودون أن تتيح له الظروف إمكانية الاتصال المباشرمع قادة الثورة للوصول إلى اتفاق مماثل . وفي هذه الحالة كـان لزاماً على هؤلاء القادة أن يحاولوا اختيار مرشح ليخلف الإمام الراحل . وكما هو مـتوقع ، فإن الضوء الوحيد الذي كان يمكن أن يهديهم في مساعيهم هو مبدأ (الرضى من آل محمد) وهو المبدأ الذي يمكن في ضوئه تفسير المحاولات المثيرة-وإن أجهضت- التي بـذلها قائدا الثورة البارزان أبو سلمة الخلال وأبو مسلم ، لاختيار خليفة من بين صفوف العلويين .

---

1 - أخبار الدولة العباسية ، المصدر المتقدم ،ص٤٠٢ .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المصدر المتقدم ،ج٣،ص٢٦٧ .

2 - الطبري ، المصدر المتقدم ،ج٤ ، ص١٥٢٥ .

3 - اليعقوبي ، المصدر المتقدم ،ج٢ ، ٢٤٥-٢٤٩ .

انظر الجهشياري ، المصدر المتقدم،ص٥٧ .

4 - ابن خياط (خليفة) : تاريخ خليفة ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، دار القلم،بيروت ١٩٧٧م، ص٤٠٩ .

- اليعقوبي ، المصدر المتقدم ،ج٣ ،ص٣٤٩-٣٥٥ .

كـــان أبو سلمة قد اكتسب لقب وزير آل محمد ،مما يشير إلى الصلاحيات الواسعة التي تولاها بعد سقوط الكوفة في أيدي قوات الثورة ، وإقامته هناك نواة الهيكل الإداري الأول تحت سيطرته[1] . واستناداً إلى هذه الوضعية ، أعطى أبو سلمة لنفسه الحرية في البحث عن (الرضـــى من آل محمد) ليخلف إبراهيم الإمام . وقد قاده البحث إلى الاتصال سراً مع ثلاثـــة من العلويين البارزين: جعفر(الصادق) بن محمد،وعبد الله (المحض) بن الحسن، وعمـــربن زين العابدين [2] .وكان الخلال -كما يقول الدينوري-من كبار الشيعة [3] . كمافهم ذلـــك شاكرمصـــطفى[4] ، ربما استناداً إلى ما قرره عبد العزيز الدوري بشأن تلك الميول المـــدعاة لآل علي بسبب أن الكوفة كانت علوية[5]. فليس هناك من دليل تاريخي يمكن أن يســـتنتج منه أن أبا سلمة أبدى من قبل انحرافاً عن العباسيين لمصلحة بني علي ، أو أظهر مـــيولاً توحي بميل خاص إلى العلويين وهكذا نرى أن أبا سلمة في اتصالاته مع العلويين الـــثلاثة كـــان يحاول اكتشاف إمكانية إسناد الخلافة إلى شخصية يمكن أن تجد قبولاً من جانـــب الأمة ، وموافقة منها عليها ، أكثر من تقبلها العباسيين الموجودين آنذاك .والذين كـــان أبو سلمة -كما يبدو-غير عالم عن محدودية صورة جاذبيتهم لدى المجتمع السياسي حينئذ . وهكذا يتضح جلياً في الطريقة التي تعامل بها أبو سلمة مع العباسيين الذين غادروا الحميمة آنذاك ملتجئين إلى الكوفة ، وربما ليروا بأنفسهم ماذا كان يجري فيها . فبدلاً من الترحيب بهم ، وضعهم أبو سلمة في وضع أشبه بالاعتقال في أحد منازل الكوفة ، بذريعة

1- أخبار الدولة العباسية : المصدر المتقدم ، ص٣٧٤-٣٧٨ .

ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق إحسان عباس،بيروت١٩٦٨م، ج٢،ص ٣٤٩-٣٥٥.(وسيرد ابن خلكان) .

2- ابن الطقطقى (محمد بن علي بن طباطبا) : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية،بيروت١٩٨٠،ص ٢٥٤-١٥٥.(وسيرد ابن طباطبا) .

- الجهشياري ، ص٥٨-٨٦ .

3 - الديـــنوري(أحمد بن أبي داوود ت ٢٨٢هـ):الأخبار الطوال،تحقيق عبد المنعم عامر،مراجعة جمال الشيال،ط١، القاهرة ١٩٦٠م،ص٣٣٦.(وسيرد الأخبار الطوال).

4 -شاكر(مصطفى) : التاريخ العربي والمؤرخون ، دار العلم للملايين،بيروت١٩٨٢،ج١-١٤٩ .

5 - الدوري (عبد العزيز): العصر العباسي الأول، دار الطليعة،بيروت١٩٧٩،ص٤٤ .

إخفـــائهم ولمـــدة استمرت شهرين[1]. في انتظار مساعيه من العلويين الثلاثة . وقد أخفقت مساعي أبي سلمة في جعل الخلافة علوية إذ شك زعماء العلويين في إخلاصه. فقد أحرق جعفربن محمد الصادق كتابه قائلاً إليه: (مالي ولأبي سلمة وهو شيعته لغيري) وكذلك فعل عبد الله المحض بعد استشارة جعفر الصادق،و روى المسعودي :(أن عبد الله بن الحسن قـــبل الكتاب ، فحذره جعفربن محمدالصادق،وأشار عليه أن لايفعل وقال لعبد الله : ياأبا محمـــد متى كان أهل خراسان شيعة لك؟أأنت أمرتهم بلبس السواد ؟وهؤلاء الذين قدموا إلى العراق .أأنت كنت سبب قدومهم ؟!أو وجهت فيهم ؟ هل تعرف منهم أحد...)[2] فـــرفض الأمر ، وكذلك فعل عمروالأشرف الذي أعاد الرسالة قائلاً : ((أنا لا أعرف صاحبها فأجيبه))[3] .

لقـــد فســـر عبد الحي شعبان هذا الموقف السلبي الذي اتخذه العلويون الثلاثة من مشـــروع أبي ســـلمة[4] بأنه كان رفضاً لشروط الخراسانية ، وبالتالي لشروط أبي سلمة ، بالنســـبة لمنصب أمير المؤمنين . فهو يرى أن الشيعة كانوا قد توصلوا ، منذ زمن إلى أنهم يـــريدون (إماماً) ليشغل هذا المنصب أي حاكماً بسلطات زمنية وأخرى دينية غير أن الخراسانيين كانوا يتصورون أميرالمؤمنين بسلطات دينية محدودة ودون سلطات زمنية. يقول

---

1 -انظر الطبري ، المصدر المتقدم ،ج٤،ص١٥٢٥،١٥٢٤ .

اليعقوبي، ج٢ ،ص٣٤٥ .

2- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المصدر المتقدم، ج٣، ص١٨٤.

3 - ابن الطقطقى ، المصدر المتقدم، ص١٥٤-١٥٥ .

وروى اليعقوبي في تاريخه أن جعفر أرسل إلى أبي سلمة يقول له : لست بصاحبكم ، فإن صاحبكم بأرض الشراة . فأرسل أبو سلمة إلى عبد الله بن الحسن يدعوه إلى ذلك ، فقال أنا شيخ كبير وابني محمد(النفس الزكية) أولى بهذا ، وأرسل إلى جماعة بني أبيه، وقال :(بايعوا لابني محمد ، فإن هذا كتاب أبي سلمة إلي) فقال جعفر الصادق (أيها الشيخ لا تسفك دم ابنك ..) اليعقوبي،ج٢ ،ص٣٤٥.أنظر أيضاً تأريخ الخلفاء لمؤلف مجهول، المصدر المتقدم ،ص٥٨٤.

4 -ممكن تفسير تصرف أبو سلمة الخلال هذا بناء على الدور المهم الذي شغله أبو مسلم في الثورة العباسية وخاصة أنه كان خادماً له أنظر مؤلف مجهول تاريخ الخلفاء ،ص٥٣٧.

شـــعبان إن أبا سلمة انشغل في البحث (عن الرضى) ،الذي يتوفرله الدعم الواسع ولكن الذي يقبل بوضع أمير المؤمنين وفق شروط الخراسانية.[1]

وبخلاف هذا التفسير يرى لاسنر أن تصرف الصادق كان تصرفاً حصيفاً من رجل حذر ، بيـــنما كان عبد الله المحض على استعداد للتصرف لولا أنه لم يجد دعماً من الصادق ، أما عمـــر الأشـــرف فانطلق من حذره وأعاد الرسالة إلى أبي سلمة دون أن يفحصها ، إذ لم يكن ليقبل أن يخاطبه من ليس له به معرفة مباشرة [2].

على أي حال ، لقد حسم تدخل قادة الثورة العسكريين ، وتنصيبهم عباسياً خليفة ، هذه المســـألة وأحـــبط تماماً مشروع أبي سلمة . ففي الوقت الذي كان لا يزال يسعى لإيجاد المرشح المناسب للمنصب ، اقتحم عدد من هؤلاء القادة وعلى رأسهم أبو الجهم بن عطية وموســـى بن كعب ، المنزل الذي أجبر العباسيون على الاختفاء فيه واصطحبوا أبا العباس إلى مســـجد الكوفة حيث بايعوه خليفة[3] . ولا يمكن فهم هذا التطور بمعزل عن دور أبي مسلم فيه ، فقد كان أبو الجهم عميلاًله ، أو عيناً حسب تعبير مصادرنا [4]، وما كان له أن يخطو مثل هذه الخطوة الجريئة دون التشاور ونيل موافقته مسبقاً . وما يعزز ذلك تقريران احتفظت بهما مصادرنا عن هذه الحادثة يؤكدان ، عند قراءتهما متلازمين ، الإنجاز الذي حققـــه أبـــو مسلم في تعيين السفاح خليفة . وروى التقرير الأول ((أن أبا مسلم أنفذ موسى بن كعب إلى أبي سلمة الخلال ليأمره بأمره ، فلما وصل إلى أبي سلمة وجد الأمر مضـــطرباً في استخلاف أبي العباس السفاح،ووجد أباسلمة عازماً على صرف الأمرعنه، فاجتمعت الجنود إلى موسى هذا ،فمضى بهم حتى دخل على أبي العباس وبايعه))[5] . أما

M.A-Shaan, Revolulion. Cambridge University Press,1979 P185-1

Jacob Lassner,the shaping of the abbasidrule,university press,1980 p84 - 2

3- الأصـــفهاني : مقاتـــل الطالبـــين ، تحقـــيق السيد أحمد صقر ، بيروت د.ت ،ص١٣٣-١٣٨.(وسيرد مقاتل الطالبين).

- الطبري ، المصدر المتقدم، ج٤،ص١٥٢٥ .

- ابن كثير أحداث ١٣٢هـ . ـ الجهشياري ، المصدر المتقدم ،ص٥٨ .

4 - السمعاني أبو سعد عبد الكريم : الأنساب ، تحقيق عبد الله البارودي ، دار الجنات، بيروت ١٩٨٨م ، ج٣ ، ص٤٦٧.(وسيرد السمعاني).

5- الإمامة والسياسية ، المصدر المتقدم، ج٢ ، ص١١٨ .

التقرير الثاني فروى ((أن أبا مسلم لما بلغه أن أبا سلمة أظهر أمره بالكوفة .. وجه رجلاً من قواده إلى الكوفة في ألفي فارس ، وأمره أن يسرع السير حتى يأتيها، فأقبل ذلك القائد حتى دخل الكوفة ، فلقي غلاماً أسود لأبي العباس فقال له: أين مولاك ؟ .. فدله عليه ثم دخل عليه بالخلافة . فخرج أبو العباس إلى المسجد .. وصعد المنبر)) .[1]

دوافع أبي مسلم التي كانت وراء اختياره للسفاح؟

يمكن فهم هذه الدوافع إن وضعت في ضوء تقرير احتفظ به الشهرستاني روى أن أبا مسلم خاطب جعفر الصادق ، في تاريخ لم يحدده الشهرستاني ولكن من المؤكد أنه كان عقب وفاة إبراهيم محاولاً التعرف على استعداده لتقبل الخلافة . وقد نص كتاب أبي مسلم لهذه الشخصية العلوية على ما يلي : ((إني قد أظهرت الكلمة ، ودعوت الناس عن موالاة بني أمية إلى موالاة أهل البيت،فإن رغبت فيه لا مزيد عليك))، وكان رد جعفر الصادق سلبياً كما يمكن أن يتوقع ، إذ جاء فيه ((ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني)). ويضيف الشهرستاني إن أبا مسلم حاد إلى أبي العباس وقلده أمر الخلافة))[2] . ويزيدنا هذا التقرير إقتناعاً بالدور الحاسم الذي شغله أبو مسلم في إسناد الخلافة إلى أبي العباس ، بعد أن كان يبحث عن مرشح مناسب للمنصب . كذلك تؤكد هذا الدور رسالة قيل إنه بعث بها إلى الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور عندما وصل النزاع بينهما إلى ذروته سنة١٣٧هـ/٧٥٥م وانتهى بقتله . قالت هذه الرسالة:((أما بعد ، فقد اتخذت أخاك السفاح إماماً ، وجعلته على الدين دليلاً لقرابته والوصية التي زعم أنها صارت إليه .. وزويت الأمر عن أهله ، ووضعته في غير محله))[3].بينما لعبد الجبار الجومرد رأي آخر في هذه القضية((ذ كر أن الزمرة العباسية في الحميمة قررت على ضوء الواقع،اختيار عبد الله ابن الحارثية ،وزعمت بأنها وصية من إبراهيم الإمام ...ويرجح المؤلف إلى أن صانع هذه

1 – انظر الطبري ، المصدر المتقدم ،ج٤ ، ص١٥٢٥ . الإمامة والسياسية ، المصدر المتقدم ،ج٢ ، ص١١٨ .

2 – الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم : الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلاني،بيروت،١٩٦١م، الجزءالأول ، ص١٥٤،(وسيرد الملل والنحل) .

3 - الخطيب البغدادي(الخطيب أحمد بن علي ٣٩٢-٤٦٣هـ/١٠٠٢-١٠٧٢م): تاريخ بغداد ومدينة السلام . بيروت د.ت ، ج ١٠، ص٢٠٨،(وسيرد الخطيب البغدادي) .

الفكـــرة ومدبرها ،هو أبو جعفر نفسه ولولب حركة بني العباس في تلك الفترة،ودماغها المفكر، فقد حقق ذلك بالإتفاق مع أخيه ابن الحارثية ،والدليل كما روى المؤلف الوفاق الـــتام بـــين الأخوين عند قيام الدولة ،ومن تصرفات أبي جعفر ومناقشته الجريئة لأخطر المواضيع في سياسة المملكة ،ثم الوصيةله بالخلافة من قبل أخيه قبيل موته، دون سابق إنذار أو إعلان.ويفسر قبول أبي العباس هو أن شخصية ابن الحارثية موادعة لأبي مسلم وحزبه ، علـــى العكس من المنصور ، ثم إن أخواله من العرب اليمانية ، ومنهم عدد كبير في جيش الثورة ، بما فيهم القائد الأعلى لها قحطبة بن شبيب الطائي مع مجموعة من نقباء الدعوة ، مثل سليمان بن كثير الخزاعي ،ومالك بن الهيثم وغيرهم...))[1] .

أكدت هذه التقارير الشك في وصية إبراهيم المزعومة ، ولايستبعد أن يكون أبو مسلم ، مثله مثل أبي سلمة ،كان يبحث أيضاً عن الرضى من آل محمد ، أكان عباسياً أم لم يكن ، غير أن اخفاق أبي مسلم في إقناع جعفر الصادق بقبول عرضه لمنصب الخلافة ، تزامن مع حدوث تطورات معينة جعلته يوقف مساعيه في هذا الاتجاه ، ويتوجه إلى أحد العباسيين باعتباره الحل الممكن الوحيد .

وقـــد بدأت هذه التطورات مع بدء صراع قوي داخل صفوف الثورة والذي كشف عن نفســـه بظهور رأسين لها ،أحدهما أبو سلمة، وزير آل محمد ، الذي استند إلى صلاحياته الواســـعة الـــتي خولـــتها له صفته رئيساً للدعاية ليحكم قبضته على السلطات السياسية والإدراية للحكومة التي أنشاها في معسكره في حمام أعين قرب الكوفة . أما الرأس الآخر فكـــان أبا مسلم ، أمير أو أمين آل محمد ، وهو لقب لا يقل أهمية عن لقب أبي سلمة ، والذي تسلم زمام القيادة العسكرية للثورة،وفرض سلطته على خراسان التي لم يكن لأحد أن يـــنازعه فـــيها أو يتدخل في شؤوها حتى أبو سلمة نفسه[2] . وإلى جانب ذلك ، كان الوضـــع بمجمله يزداد دقة وحرجاً ، إذ كانت قوات الثورة على وشك خوض معركتها النهائية ضد الخليفة الأموي مروان بن محمد الذي لم يكن لديه أي فرصة للنجاة . وفي ظل هذا الوضع كانت القيادة واقعة تحت ضغط قوادها العسكرية مطالبة بالتصريح باسم الإمام

---

1 - الجومرد(عبد الجبار):داهية العرب أبو جعفر المنصور،ط١،بيروت ١٩٦٣م ، ص٩٥,٩٦ .

2 - ذكر أخبار الدولة العباسية ، المصدر المتقدم ،ص٣٧٨ . أن أبا مسلم رفض قبول الحكام الذين عينهم أبو سلمة لإدارة المقاطعات في ولاية خراسان وقتل بعضهم .

الذي سيتقلد السلطة بعد سقوط مروان الوشيك[1]، وإزاء ذلك لم يتردد أبو مسلم في تدبير مبايعة مرشح اختاره للمنصب أميراً للمؤمنين فكان السفاح ، وهو بذلك يحرم منافسه أبا سـلمة من فرصة الاستمرار في مساعيه الهادفة إلى إسناد المنصب لمرشح يختاره هو ، كما كان أبو مسلم بهذه الخطة يضمن استمرار سيادته في النظام الجديد[2] .

أسباب اختيار السفاح :

السـؤال هنا لِمَ كان أبو العباس دون سائر العباسيين هو الذي وقع عليه الاختيار لتسـند إليه الخلافة ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال صعبة وشائكة ، خاصة إذا استبعدنا وصية إبراهيم المشكوك فيها،ويحل عبد الحي شعبان هذه المسألة بتأكيد أن أبا العباس قبل شـروط الخراسانية ، التي سبقت الإشارة إليها ، بالنسبة لوضع أميرالمؤمنين . ووفقاً لهذه الشـروط كان على أمير المؤمنين أن يكون رئيساً صورياً للنظام بأدنى السلطات الدينية[3] وذهب شعبان ((إلى أن أبا العباس وافق على استمرار أبي سلمة في منصبه كوزير ، وهو ما يفرض قيوداً شديدة على سلطات الخليفة الزمنية))[4] . وهو أيضاً يريدنا أن نعتقد بأن أبا العباس كان أضعف أعضاء الأسرة ، ولهذا السبب لم يجد القادة العسكريين صعوبة في تأمين اختياره[5] .

أمـا أبـو جعفر الذي قُدرله أن يصبح خليفة بعد أخيه الأصغر أبي العباس فقد اسـتبعده القـادة العسكريون من هذا الاختيار لأنه بكلمات شعبان((ليس سراً أن أبا جعفـر كان هو الشخصية الأقوى بين الأخوين ، وأنه من الواضح كذلك أنه كان يؤمن

1- الطبري ، المصدر المتقدم، ج٤ ، ص١٥٢٤ وما بعد .

2- حَدث الدينوري والمسعودي عن محاولة أبي مسلم إقناع أبي العباس بقتل الخلال.و قال المسعودي:إن أبا العباس أجابه ماكنت لأفتتح دولتي بقتل رجل من شيعتي،لاسيما مثل أبي سلمة،انظر الدينوري الأخبار الطوال، ص٣٦٨.
-مروج الذهب ومعادن الجوهر، المصدر المتقدم،ج٣،ص٢٧١،٢٧٠.

3 -M.A.Shaban,islamichistory:Anewinterpretation-A.D750-1055/A.H132- 44-81 cambridge:cambridge universitypress,1978,pz

4 – Shaban.Revoulution.P160

5 – Shaban,islamichistory,P2.

بوجـــود أمير مؤمنين قوي . ولهذا السبب فقد تم تجاوزه لمصلحه أخيه الأصغر والأضعف أبي العباس)) [1] .

غير أن هذا التفسير لا يمكن دعمه بأية حقائق أو معلومات تاريخية . فليس هناك دليل على وجـــود شروط خراسانية تفاوضت بشأنها مع العباسيين بهدف عقد اتفاق حولها مع أي من أعضاء الأسرة يكون على استعداد لتقبلها . كذلك لا يمكن قبول الزعم بأن أبا العباس كـــان في نظر قادة الثورة هو العضو الأضعف في الأسرة . فليس هناك من دليل لإصدار هذا الحكم . أما تقويم قوة شخصيته أو ضعفها فيمكن النظر فيه فقط بمقارنة حكمه بحكم أخـــيه أبي جعفر من بعده ، وتلك مسألة كانت خارجة بالتأكيد عن نطاق هذه المدةالتي اتخذ فيها القادة قرارهم بشأن من يتولى الخلافة .

وكان لا بد أن يكون مبدأ الاختيار وفقاً لمبدأ الوراثة بالدم الذي كان قد توطدت أركانه في الثقافة السياسية السائدة ، كما كان القادة قد أقروه من قبل عندما تقبلوا انتقال الإمامة مـــن محمد بن علي إلى ابنه إبراهيم . وكانت الدائرة المؤهلة لإفراز مرشح ، حسب هذا المبدأ ، هي تلك التي تشمل أبناء إبراهيم وأبناء محمد علي.

غير أنه كان ينبغي استثناء ذرية إبراهيم الذي خلف ولدين [2] لم يكونا آنذاك في عمر يسمح لهما بتولي المسؤولية .

أمـــا محمد بن علي فكانت ذريته تتكون من أربعة أشخاص كان لكل منهم وفقاً للمبدأ المذكور ، فرصة تولي المنصب الشاغر . وهؤلاء هم أبو العباس وأبو جعفر ويحيى والعباس [3] وقـــد اســـتثنينا موسى لأنه كان قد توفي من قبل في حياة أبيه [4] ، أما العباس فقد كان في

1- Shban,Revolution,P166.

2 - البلاذري :الأنساب الأشراف ، تحقيق عبد العزيز الدوري ، بيروت ١٩٧٨ م ،ج٣، ص-١٢٧ .

3 - الأنساب الأشراف ، ج٣ ، المصدر المتقدم ،ص١١٤ .

4 - أخبار الدولة العباسية ، المصدر المتقدم ،ص٢٣٤ .

الحادية عشر من عمره[1] . في حين أن يحيى لم يكن حسن السلوك وقد حذر إبراهيم الإمام أنصاره من أخيه[2] .

وهكذا فالمرشح لهذا المنصب الأخوان أبو العباس وأبو جعفر وكلاهما يحملان اسم عبد الله وكان لأبي جعفر ميزة العمر على أخيه فهو أكبر منه سناً ، إلا أن عوامل أخرى رجحت كفة الأخ الأصغر عندما جرى الاختيار . فمن جهة أولى لم يسهم تاريخ أبو جعفر -قبل أن يصبح خليفة- في ترشيحه لهذا المنصب ،فقد كان أبو مسلم والقادة الذين معه يتذكرون (وهم أصحاب القرار في هذا الشأن) هذا التاريخ ،ذلك أنه لم يكن سراً أن أبا جعفر خدم الأمويين بقبوله وظيفة دنيا في إدارهم وأنه طرد منها لسوء أمانته[3] . كذلك لم يكن سراً أنه انضم إلى حركة عبد الله بن معاوية في وظيفة حاكم لبلدة صغيرة، وكلا الوظيفتين تولاهما أبو جعفر في قلب منطقة النشاط الأساسي للدعاة العباسيين . وما كان لأبي مسلم ومعاونيه أن يتناسوا هذا الماضي أو يتسامحوا مع صاحبه . وتكشف المعاملة السيئةالتي عامل بها أبو مسلم أبا جعفر بعيد تولي العباس الخلافة[4] نظرهم إليه ورأيهم فيه ، وترجح أن هؤلاء القادة كانوا يعرفون ماضيه . وعلى هذا ، فإنه صحيح القول إنهم أي (القادة) استبعدوا أبا جعفر من النظر . وهكذا بإسقاط أبي جعفر فإن المرشح الوحيد في هذه الحالة هو أبو العباس يلجأ إليه القادة لاختيار خليفة من ذرية محمد ابن علي . وإلى ذلك نضيف عاملاً آخر يجدر فحصه في هذا السياق الذي أدى إلى اختيار أبي العباس هو انتماؤه لجهة أخواله إلى بني الحارث . وما يجعل هذا الموضوع بحاجة إلى إعادة النظر والدراسة أن مصادرنا القديمة تؤكد كثيراً على أن أمه امرأة حارثية ، وتقارنه بذلك بأبي جعفر الذي كانت أمه بربرية . ولا يستبعد بأن هذا العامل كان له تأثير في اختيار الخليفة .

1- ولد سنة ١٢١هـ وفقاً لابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، تهذيب عبد القادر بدران ، بيروت١٩٧٩ مجلد الثامن،ص٢٥٦ .

2- أخبار الدولة العباسية ، المصدر المتقدم، ص٢٣٤ .

3 - مقاتل الطالبين ، المصدر المتقدم ،ص١٦٧ .

الأصفهاني(أبو فرج) : الأغاني ، بيروت،د.ت،ج١١، ص٧٠. (وسيرد الأغاني) .

4 - مقاتل الطالبين، المصدر المتقدم، ص١٦٧.

نضيف إلى ذلك أن الدعوة العباسية وجدت تعاطفاً في الأوساط اليمنية أكثر مما وجدته في الدوائر القيسية . وكان ذلك لسببين أولهما أن النواة الأولى للدعوة قد نشأت في صفوف أحد البطون اليمنية وهو بني مسلية [1]، وثانيهما أن اليمانيين وجدوا في هذه الدعوة فرصة مواتـيه لمعارضة القيسية التي تحالف معها معظم الخلفاء الأمويين المتأخرين ، والتي ينتمي إليها أيضاً نصر بن سيار آخر ولاة الأمويين في خراسان،وفي هذه الخارطة القبلية كان بنو الحارث أقرب البطون إلى بني مسلية الذي نشأت بينهم الدعوة العباسية [2]. ومع ذلك فلم يحـدث أن تمكنت الدعوة من إثارة اهتمام أي من بني الحارث بها ، بل على العكس من ذلك نجد أن اثنين من الحارثيين كانا من بين أكثر القادة العسكريين قرباً من ابن هبيرة في دفاعــه عن واسط ، آخر معاقل الأمويين في العراق ، في وجه قوات الثورة . وكان أحد هــذين هــو زياد بن صالح الحارثي ، والي الكوفة قبل سقوطها بيد قوات الثورة ورئيس شرطة ابن هبيرة والثاني هو زياد بن عبيد الله الحارثي خال أبي العباس[3].

وباستذكار هذه الحقائق يمكن التفكير بأن تميز أبي العباس بخصوصية قرابته من بني الحارث من جهة أمه كانت مناورة بارعة قصد بها تحقيق هدفين : الأول كسب دعم هذه المجموعة القبلـية المتميـزة ، وهــو هدف حققه في الواقع بعيد مبايعته خليفة إذ تخلى الحارثيون واليمنـيون الآخرون عن ابن هبيرة والتحقوا بالنظام الجديد[4] . أما الهدف الثاني فكان أن يجـذب إلى نفسه انتباه القادة في الكوفة الذي كانوا في معظمهم إما يمنيين أو موالي قبائل يمنية ، ومع أن المعلومات لا تساعد على تحديد كيفية سير هذه العملية ، فإنه يمكن التفكير في أن أبـا العـباس ، عندما كان لا يزال في الإقامة الجبرية التي فرضها عليه أبو سلمة ، أجرى اتصالات مع هؤلاء القادة بواسطة سابق ، خادمه أو خادم أخيه ، وأيضاً بواسطة إبـراهيم بن سلمة أحد أكثر الأنصار قرباً من محمد بن علي [5]. والذي شغل دوراً مهماً

1 - أخبار الدولة العباسية ، المصدر المتقدم ،ص١٩٢ .

2 - انظر العلاقة القبلية بين بني مسلية وبني الحارث في :
ابن عبد ربه العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين دار الكتاب العربي،بيروت،١٩٨٣،مجلد٣،ص٣٩٦ .

3 - الطبري ، المصدر المتقدم ،ج٤،ص١٥٣٧ .

4 -الطبري ، المصدر المتقدم،ج٤،ص١٥٣٧ وما بعد .

5 - أخبار الدولة العباسية، المصدر المتقدم ،ص٩٢-١٩٧ .

بـــتقديم أبي العباس إلى أبي الجهم[1] . وعرض عليه نفسه ، كاشفاً لهم عن خؤولته اليمنية .
ودون هـــذا الرأي لا يمكن فهم السبب في أن القادة عندما اقتحموا المترل الذي عزل فيه العباســيون طالــبوا هؤلاء بأن يفردوا من أنفسهم ابن الحارثية . و قالتالرواية عن هذه الحادثة أن القادة سألوا العباسيين :

((أيكم عبد الله بن محمد ابن الحارثية ، فأشاروا إلى السفاح ، فسلموا عليه بالخلافة))[2] .

وفي النهاية نجد أن عوامل عدة تشابكت ونتج عنها إسناد الخلافة إلى أبي العباس منها :

١- اخفاق قادة الثورة بإقناع أي من ذرية علي بن أبي طالب بقبول منصب الخلافة .
٢- إن إقـــرار هؤلاء القادة بمبدأ وراثة السلطة عن طريق الدم جعلهم يحرصون في بحثهم عن مرشح للخلافة في دائرة ذرية محمد بن علي .
٣- إن أبا العباس المرشح الوحيد الذي حظي بدعم القادة بعد استبعاد الآخرين .
٤- استغلال أبي العباس موضوع خؤولته في بني الحارث اليمنيين ليلفت نظر القادة الذي كانوا يشاركونه في هذا الانتماء القبلي .
٥- الـــتراع والتـــنافس بين زعيمي الثورة ، أبي سلمة وأبي مسلم ، حول تعيين مرشح لمنصـــب الخلافـــة ، فإن تردد الأول وحسم الثاني أديا إلى انتصار واضح حققه أبو مسلم وفرض من خلال أعوانه مرشحه أبي العباس في المنصب .

إسناد ولاية العهد لأبي جعفر المنصور :

كانت الظروف التي أحاطت باعتلاء أبي العباس منصب الخلافة صعبة ودقيقة إلى درجة لم يكن ممكناً معها أن تنشأ أي معارضة له من داخل الأسرة .

ومـــن جهة أخرى لم تكن الحرب مع الأمويين قد حسمت بعد ، عندما عين أبو العباس خلـــيفة ، فقـــد كان الخطر الأموي دافعاً لتوحيد للأسرة العباسية ، بعد هزيمة الأمويين النهائـــية ، واســـتقرار الخلافـــة لأبي العباس ، فإن أولئك العباسيين الذين لم يواتهم الحظ

---

1 - الطبري ، المصدر المتقدم ،ج٤،ص١٥٢٥ .
2 - الذهبي شمس الدين أحمد بن محمد : تاريخ الإسلام وفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٨٨م، مجلد السنوات، ص١٢١-١٤٠-٣٣٦ .

لأسباب مختلفة للوصول لهذا المنصب الرفيع ، أحكموا قبضتهم على المواقع الرئيسية في الإدارة الجديدة .

إلى جانب هذا العامل في توحيد صفوف الأسرة ، فإن ما بدا خلال عهد أبي العباس القصير لا يشير إلى أن العباسيين كانوا مهتمين بمن سيرثه حتى ينشأ بذلك عامل نزاع فيما بينهم على الوراثة .

فالسفاح كان في أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات من عمره عندما كان في الحكم[1]، وكان من الطبيعي أن يحكم سنوات عديدة أخرى مقبلة قبل أن تثار هذه المسألة بجدية . كذلك ليس هناك من دليل على أن أبا العباس كان يرغب في تعيين وريث له في تلك المدة القصيرة من حكمه . والاستثناء الوحيد على ذلك هو تقرير أورده أحد المصادر القديمة ذكر فيه أن السفاح في العام ١٣٢هـ بعث بأخيه أبي جعفر إلى خراسان لتلقي البيعة له ولأبي جعفر من بعده .غير أن هذا الخبر لا يمكن قبوله وهو الذي لم يرد في أي مصدرٍ تاريخي آخر يتحدث عن بعثة أبي جعفر إلى خراسان والتي جمعته لأول مرة بأبي مسلم ، حتى أن رواية أبي جعفر المطولة عن هذه البعثة[2]، خلت أيضاً من أي إشارة إلى هذه البيعة المزعومة .

ولو كانت هذه البيعة صحيحة فما كان أبو جعفر ليتجاهلها لتأسيس شرعية له في الوراثة خاصة في مدة صراعه الدموي على الخلافة مع عمه عبد الله بن علي . وإلى جانب ذلك ، فمن المهم أن نستذكر أن الروايات كافة عن هذه البعثة أكدت أن أبا مسلم استقبل أبا جعفر استقبالاً سيئاً،وتعامل معه بقلة احترام ، أو(استخف به) حسب هذه الروايات[3] . وبمعزل عن هذه الرواية ، فإن من الثابت أن السفاح طوال عهده وحتى مرضه الذي أودى بحياته وقد استمر أياماً معدودات ، لم يظهر أي رغبة في تعيين خليفة له بعد موته . وقد يفسر هذا التأخير بأنه كان يأمل في تعيين خليفةله من ذريته، وكان هذه الخليفة المأمول

---

1 -ولد أبو العباس سنة ١٠٥هـ وتولى الخلافة سنة١٣٢، وتوفي ١٣٦هـ انظر : اليعقوبي ، المصدر المتقدم، ج٢، ص٣٦٧.

الخطيب البغدادي ، المصدر المتقدم ،ج١٠،ص٤٦-٤٧ .

2 - الطبري ، المصدر المتقدم،ج٤ ، ١٥٣٥ .

3 - اليعقوبي ، المصدر المتقدم،ج٢ ص٣٥١ ، - الطبري، المصدر المتقدم، ج٤ ، ص١٥٣٥/١٥٣٦ .

ابـــنه الوحـــيد محمد الذي كان بعد صبياً[1] . فمن المحتمل أن يكون السفاح قد امتنع عن تسمية ابنه الصبي ليرثه في الخلافة منتظراً وقتاً حتى لا يكون سن محمد عقبة أمام تعيينه ولياً للعهد . كذلك يمكن التفكير أيضاً أن امتناع السفاح عن تعيين أحد العباسيين ولياً للعهد علـــى حســـاب أعضاء الأسرة الآخرين كان إجراءً حكيماً اتخذه للمحافظة على وحدة الأســـرة ، وليجنبها رياح النزاع التي إن هبت فلن تعصف بأولئك المتورطين في الصراع فحســـب ، بل ربما تعصف بالخليفة نفسه . ومهما تكن دوافع هذا التأخير فقد طال حتى أيام أبي العباس الأخيرة . فقبيل وفاته في ذي الحجة ١٣٦هـــ/٧٥٤م أقدم الخليفة على تعيين أخيه أبي جعفرليكون خليفة من بعده ، على أن يتلوه ابن أخيه عيسى بن موسى[2] .

ويبدو أن هذا الإجراء اتخذ على عجل عندما أحس الخليفة باقتراب منيته، فذكرت إحدى الروايات أن مرضه ، وهو الجدري كما تجمع المصادر[3] ، لم يمهله غير ثلاثة أيام ، كان عليه خلالها أن يقرر من سيكون خليفته . وقد كان القرار قراره دون أن يستشير أياً من أقربائه . وعلى الرغم من أن اليعقوبي روى ((أنه قيل لأبي العباس في أثناء مرضه أن يجعـــل أبا جعفر ولياً للعهد))[4] ، لكن هذه الرواية لم ترد في مصدر آخر ، كذلك أكدت السرية التي أحاط بها الخليفة وصيته الأخيرة أنه كان يتصرف وحده دون أن يتعرض لأي تأثير أو تدخل من قبل الآخرين . وفي ذلك الوقت كان أبو جعفر يؤدي فريضة الحج و لم يسمع بخبر وفاة أخيه إلا بعد انقضاء خمسة عشر يوماً على هذه الحادثة .

---

1 - اليعقوبي ، المصدر المتقدم ،ص٣٦٢ .
انظرالمقفـــى الكـــبير ، المصـــدر المـــتقدم (..وكـــان أراد البيعة لابنه محمد.ثم قال:إن ابني حدث،فما عذري عندربي؟...)، ج٤، ص١٧٣.

2 - الطبري ، المصدر المتقدم،ج٤،ص١٥٤٤ .
انظر ابن الأثير ، المصدر المتقدم ،ج٥،ص١٠٠ .

3 - الخطـــيب البغدادي ، المصدر المتقدم، ج١،ص٥٠-٥١ ، يحتفظ بتقرير مطول رواه عم الخليفة عيسى بن علي عن هذه الأيام الأخيرة من حياة السفاح ، انظر أيضاً اليعقوبي ، المصدر المتقدم،ج٢ ، ص٣٦٢ . ابن كثير ، المصدر المتقدم ،ج١٠ ، ص٦١ .

4 - اليعقوبي ، المصدر المتقدم،ج٢ ، ص٣٦١ .

وكـــان الشاهد الوحيد على ساعات الخليفة الأخيرة هو عمه عيسى بن علي الذي ائتمنه السـفاح على كتاب الوصية بعد أن ختمه دون أن يطلعه على مضمونه[1] . وكان عيسى هذا موضع احترام أقربائه جميعاً والذين كانوا يعدونه راهبهم لابتعاده عن شؤون السياسية والنأي بنفسه عن الاقتراب من السلطة[2] .وقد أعلن عن محتويات كتاب الوصية بعيد وفاة الخلـيفة[3] . وفي إحدى الروايات ، كان عيسى بن علي نفسه هو الذي كشف الوصية . بينما ذهبت رواية أخرى إلى أن من كشف عنها كان عيسى بن موسى[4] الذي تلقى البيعة في الأنـبار ، عاصمة العباسيين آنذاك ، نيابة عن أبي جعفر .وفي اليوم نفسه أرسل رسولاً علـى عجل إلى الخليفة الجديد ، الذي كان في طريق عودته من مكة ، لينعي إليه أخاه ، وليحمل إليه بشائر تعيينه خليفة[5] .

والسؤال هنا لماذا اختار عيسى بن موسى ولياً للعهد بعد المنصور بالذات ؟

ذكر ابن عساكر أن إبراهيم الإمام قد أوصى إلى ابن الحارثية ثم إلى المنصور ثم إلى عيسى بن موسى[6]،ولانعلم صحة هذا الخبر حيث لم يرد في مصدر آخر .

ولاشك أن شخصية عيسى بن موسى والمهمات التي شغلها كانت سبباً مهماً في هذا الأختيار،فقد قام بعدة مهمات منها انتصاره على الحسن بن قحطبة في واسط[7]،أصبح والي الكـوفة زمن السفاح[8] ،وتولى إمرة الحج عدة مرات ،والمعروف عنه أنه ذا شخصية عسكرية قوية محنكة[9]،وربما هذه الصفات هي التي أهّلتهُ ليكون ولي عهد للمنصور .

---

1 -اليعقوبي ، المصدر المتقدم ،ج٢ ،ص٣٦٤ .

2 -الخطيب البغدادي ، المصدر المتقدم، ج ١٠ ، ص٤٥٩ ، ج١١، ص١٤٧-١٤٨ .

3 - اليعقوبي ، المصدر المتقدم ،ج٢، ص٣٦٤ .

4 - الطبري : المجلد الرابع ،ص١٥٤٤ .

- تاريخ ابن خلدون،المصدر المتقدم ،ج٣، ص٢٢٢وما بعد.(وسيرد تاريخ ابن خلدون) .

5- الطبري ، ج٤، ص١٥٤٤ .

- البلاذري،ج٤،ص٢٥٠.

6-ابن عساكر ،المصدر المتقدم،ج٤٨،ص٩.

7-ابن الأثير، المصدر المتقدم،ج٥،ص٦٨.

8- ابن الجوزي ،المصدر المتقدم ،ج٧،ص٣١ .

9- ابن الأثير، المصدر المتقدم،ج٥،ص٩٤.

موقف القادة أبي مسلم من وصية السفاح :

ماهي ردود الفعل لدى القادة الذين قاموا بالدور الحاسم في ارتقاء السفاح منصب الخلافة عند كشف وصية أبي العباس ؟

يبدو أن السفاح ، لم يحسب حساباً لردود فعل القادة الذين قاموا بالدور الحاسم في ارتقائــه منصــب الخلافة . فقد كان من الواضح أن موقفهم السلبي من أبي جعفر ، والذي أدى بهم إلى استبعاد ترشيحه للمنصب والتوجه إلى أخيه أبي العباس لا يزال قائماً وقــوياً إلى درجة لا يمكن معها تقبلهم برضى موضوع تسميته خليفة . وقد جاءت ردة الفعــل الفــورية المباشرة على هذه التسمية من جانب أبي مسلم الذي كان أيضاً يؤدي فريضة الحج بصحبة أبي جعفر . وكان قد سبقه في رحلة العودة من مكة إلى الأنبار . وقد مكنه هذا السبق من أن يتلقى أخبار هذه التطورات الجديدة التي حدثت في العاصمة قبل أن يعــرف بها أبو جعفر نفسه ، ومنحه ذلك وقتاً كافياً ليبين رأيه في تعينه خليفة . فبدلاً مــن أن يرســل إليه بالبيعة ، بعث إليه برسالة ينعى إليه أخاه لكن دون أن يهنئه بمنصبه الجديــد . واســتمر في طريقه إلى الأنبار تاركاً أبا جعفر خلفه (الذي توجه إلى الكوفة) ليحاول هناك أن يبحث عن مرشح الخلافة .

كــان هــذا المرشح الذي اختاره أبو مسلم هو عيسى بن موسى الذي أوصى به الخليفة الــراحل لــيكون ولي عهد للخليفة الجديد . ومع هذا المرشح أدار أبو مسلم مفاوضاته بهدف مبايعته خليفة[1] . احتفظ أحد المصادر بسجل المفاوضات التي يظهر منها أن عيسى ابــن موســى رفــض عرض أبي مسلم، ربما لخشيته من معارضة العباسيين الآخرين له ، ورفضهم إياه ، مؤكداً في الوقت نفسه على إبقاء علاقاته مع أقربائه سليمة[2] .

أثر وصية السفاح في الأسرة العباسية نفسها :

كمــا أن السفاح لم يحسب حساباً لقادته بتعيينه أبا جعفر خليفة ، فهو أيضاً لم يقدر تماماً حجم تأثير هذا القرار في الدائرة العباسية نفسها ، فالقرار اتخذ تحت تأثير مبدأ

---

1 - الفتوح ،المصدر المتقدم، ج٣، ص٣٦٤

2 - المقفى الكبير ، المصدر المتقدم، ص١٩٠.
- الفتوح ، المصدر المتقدم، ج٣ ، ص٣٦٤ .

الـــوراثة بالدم،وقد ضاق هذا المثل ليشمل ذرية محمد بن علي الذي كان أول من جعل إمامـــاً في الدعوة العباسية ، كما شمل اثنين من أبنائه ، إبراهيم وأبي العباس .

غـــير أن هـــذا الاعتبار كان يتعارض مع النظرة العامة التي أخذها العباسيون الأوائل من مســـألة الخلافة ، إذ رأوا في هذا المنصب شأناً عائلياً وحقاً للأسرة بمجملها أكثر منه حقاً لفـــرد فيها ومع هذا ، فتحت ضغط الظروف التي حملت أبا العباس إلى السلطة ، تقبل هـــذا الجيل الأول من العباسيين في الحكم ارتقاءه إلى موقع الأول المتميز ، ومنحوه الدعم الضـــروري لتوطـــيد حكم الأسرة وتسيدها . أما بعد استقرار الوضع فقد حان الوقت لإعـــادة النظر بمنصب الخلافة ، من حيث هو شأن عائلي في ضوء تختلف عن تلك التي اخـــتير أبو العباس بموجبها لهذا المنصب . فقد كان العضو المؤهل له أكثر من غيره ، وهو (أي عـــبد الله) العضو الذي أسهم أكثر من غيره في رفع شأنها وشأن قضيتها ، وكان له الدور الأكبر من دور غيره في نزع الخلافة من الأمويين لتصبح ملكاً للعباسيين .
وفي ضوء هذه المحاججة فقط يمكن فهم حركة عبد الله بن علي العباسي الذي أعلن نفسه خلـــيفة ، بعـــد وفاة السفاح فوراً في سورية التي كانت تحت حكمه ، فقد كانت هذه الحـــركة مطالبة بحق عبد الله على أنه حق العباسيين من حيث هم أسرة،وكان هو مؤهلاً للحصول عليه أكثر من غيره بسبب إنجازاته المتميزة في حصولها عليه . وهذا الفهم يتوضح أكثـــر مـــا يكون في الحجة الوحيدة التي استند إليها في دعم مطالبته بالخلافة . إذ ذكرت المصادر:((أن عبد الله بن علي ، بعد أن تلقى أنباء التطورات كما حدثت في الأنبار ، جمع بعـــض القادة الذين كانوا تحت إمرته ، وجعلهم يشهدون بأن أمير المؤمنين أبا العباس ، قال : من خرج إلى مروان فهو ولي عهدي فبايع له أكثر أهل الشام على ذلك)) .[1]

1- اليعقوبي ، المصدر المتقدم ، ج٢،ص٣٦٥ . -الطبري، المصدر المتقدم ،ج٤،ص١٥٤٥ .
– البلاذري ، المصدر المتقدم،ج٤،ص١٤٥.
– ابن الجوزي،المصدر المتقدم ،ج٨، ص٣-٤،(وسيرد ابن الجوزي ج/ص) .
– عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي المكي : سمط النجوم العوالي،دار الكتب العلمية ، بيروت١٤١٩هـ – ١٩٩٨م،ج٣،ص٣٧٢.(وسيرد سمط النجوم العوالي).
– تاريخ ابن خلدون ،المصدر المتقدم،ج٣،ص٢٢٢وما بعد.

إن الشرعية التي كان عبد الله يسعى إلى اكتسابها من خلال عهد السفاح المزعوم ، كانـــت تقوم على تسليط الضوء على جانب واحد فقط من هذا العهد هو المتصل بتأكيد إنجازاتـــه في سبيل قضية الأسرة،وليس ذلك الجانب الخاص بتعيينه إذ لو كان هذا التعيين حجته الوحيدة لكان موقف أبي جعفر أكثر قوة ومصداقية ، فقد كانت بيده وثيقة خطية تؤكد تعيينه بالاسم خليفة بعد أخيه .

غـــير أن الشرعية المشتهاة كانت تنقصها روح المرحلة التي كانت تميل إلى إضفاء نـــوع مـــن المهدوية عليها لجعلها أكثر قوة وقبولاً لدى الجمهور ، وهو ما فعلته الأسرة العباسية من قبل . ولذلك لم يوفر عبد الله بن علي جهداً في تلفيق التنبؤات التي كانت منذ ما قبل وصول العباسيين إلى السلطة تبشر بالدور الذي قام به في إنهاء الحكم الأموي.ومن أجـــل إعطـــاء هذه التنبؤات قدراً من المصداقية ، فقد نسبت إلى الأمويين أنفسهم ، وقد وضـــع أحدها على لسان مسلمةبن عبد الملك، أحد أبرز القادة العسكريين الذي خدموا تحت إمرة عدد من الخلفاء الأمويين بمن فيهم أبوه الخليفة عبد الملك بن مروان . فوفقاً لهذه النبوءة ((حذر مسلمة أقرباءه بأن نهاية البيت الأموي سوف تكون على يدي عبد الله بن علي)) [1]، وقد صدقت هذه النبوءة بمذابح الأمويين الجماعية التي قام بها [2]. كذلك روى المســـعودي : ((أن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز تنبأ بأن مقتل الخليفة مروان بن محمد ســـوف يكون على يدي(عين بن عين) وهي نبوءة فسرها عبد الله بأنه سوف يكون قاتل الخليفة الأموي لأن اسمه واسم أبيه يبدآن بحرف العين)) [3]. ولم توفر الروايات مروان بن محمد نفسه فروت إحداها :((أن الخليفة الأموي الأخير تنبأ بانتقال الخلافة إلى واحد من

= ابن الأثير،المصدر المتقدم ،ج٥، ص١٠٤،١٠٣.

– ابن كثير ،المصدر المتقدم،ج١٠، ص٦٣،٦٢.

– حسن ابراهيم حسن،المرجع المتقدم ، ج ٢،ص١٠.

1 – شلبي(أحمد):موسوعة التاريخ الإسلامي،القاهرة،ط٨، ١٩٨٥م ،ج٣، ص٨٢.(وسيرد شلبي(أحمد) .

– الخطيب البغدادي ،المصدر المتقدم ، ج ١٠، ص٨-٩ .

اليعقوبي ،المصدر المتقدم ، ج٢، ص٣٥٦-٣٥٧ .

2 – اليعقوبي ،المصدر المتقدم ، ج٢، ص٣٥٦-٣٥٧ .

3 – مروج الذهب ومعادن الجواهر ، المصدر المتقدم،ج٣ ، ص٢٧٤ .

ذرية العباس يدعى عبد الله ، فبعث إلى عبد الله بن علي في خفية أن الأمر صائر إليك فاتق الله في الحرم [1]

وهكـــذا يبدو واضحاً أنه لا يمكن تصور الصراع بين عبد الله بن علي و الخليفة الشـــرعي ،ذلك أن مسألة الشرعية لم تكن قد حسمت بعد . على ذلك فإن النزاع يمكن تفســـيره بشكل أفضل على أنه تنازع بين نمطين من الشرعية : الأول شرعية عبد الله بن علـــي المســـتمدة من فكرة أن الإمامة كانت ملكاً عاماً للعباسيين ينالها من بذل أكبر من جهـــد غـــيره منهم في سبيل الحصول عليها . أما النمط الثاني فهو شرعية أبي جعفر التي اســـتمدها مـــن المبدأ المتعارف عليه في الثقافة الإسلامية والقائم على حق من هو بالحكم (الســـفاح هـــنا)في أن يعين خليفته وفق ما يناسب ،ولم يكن أمام كلا المتنازعين سوى اللجوء إلى السلاح لتسوية هذا النزاع .

دور جند الشام في حركة عبد الله بن علي :

كان عبد الله بن علي حاكماً على سورية لذا إلتحق به عدد كبير من أهل الشام [2] وهـــناك مـــن يـــرى في حـــركة عـــبد الله بن علي محاولة شامية في الخلاص من الدولة (الخراسانية) واسترداد مركزها السالف في العصر الأموي . [3]

فهـــل كانـــت حركة عبد الله بالفعل حركة شامية وجدت في عبد الله بن علي المسوغ لاستعادة مركزها ومركز العرب الذي كان في العصر الأموي ؟.

كمـــا ذكرت آنفاً،إن العنصر الغالب في حركة عبد الله بن علي كان من العرب وبالذات من أهل الشام،وهذا يدل على هوية ثورته،فإنه قد عين عدداً من زعماء الشام لأعمالـــه ، سمـــى زفربن عاصم المهلبي لقنسرين،والحكم بن ضبغان لفلسطين،وعثمان بن ســـراقة الأزدي لدمشـــق،ومنصور الكلبي للشرطة،كما كان من قواده البارزين بكار بن مســـلم العقيلي . [4] وهذا ما جعل ثورة عبد الله بن علي بجانب كونها شخصية ، ثورة محلية

---

1 – مروج الذهب ومعادن الجواهر ،المصدر المتقدم ، ج٣ ، ص٢٧٥ .

2 – تاريخ ابن خلدون ،المصدر المتقدم ، ج٣،ص ٢٢٢-٢٢٩ .

اليعقوبي،المصدر المتقدم ، ج٢٠ ، ص٣٦٤ .

3 – مصطفى (شاكر):دولة بني العباس ، ج١ ، الكويت ١٩٧٣م ، ص٢١٠-٢١١.(وسيرد دولة بني العباس).

4 – ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، المصدر المتقدم ، ج٥ ، ص١٠٢ وما بعد .

ذات طابـــع شامي سواء في موقعها الجغرافي أو في جندها . وما من شك في أن الشاميين وجـــدوا في ثـــورته الأمل في الخلاص من الدولة (الخراسانية) الجديدة ، وفي أن يستردوا وتســـترد الشام معهم مركزها السالف في العصر الأموي . وكان من التناقض الخطر في حـــركة عبد الله بن علي أنها تستند إلى جيش ذي ميول أموية في الغالب لتحقيق مطمح سياسي عباسي .

ويفضي بنا هذا العرض إلى استخلاص أن الأسرة العباسية التي حافظت على وحدتها نتيجة أوضــــاع معيـــنة سادت عهد السفاح القصير ، وجدت نفسها الآن فريسة للنزاع بسبب غـــياب النظـــرية المحكمة المنسقة عن انتقال السلطة . ولم يكن أمامها في هذه الحالة غير اللجوء إلى العنف لتسوية هذا النزاع .

فخـــلال ستة أشهر من وفاة السفاح في الثالث عشر من ذي الحجة ١٣٦هــ-٧٥٣م إلى هزيمة عبد الله بن علي في جمادى الثانية ١٣٧هــ كان هناك في الحقيقة خليفتان عباسيان خليفة في الأنبار عاصمة العباسيين الرسمية ، وخليفة آخر يفرض سلطته على مناطق الشام والجزيرة ، يتصارعان على مفهوم نظام الوراثة ، ولا يجدان غير اللجوء إلى السلاح وسيلة لحل الإشكاليات اللاصقة بهذا المفهوم منذ عهد صدر الإسلام .

وكانـــت نتائج الصراع تتوقف على ما يملكه كل فريق من قوة يتمكن بها من التأثير مادياً في ساحة الصراع وتغيير مجراه . وقد ظهر منذ البداية أن أبا جعفر كانت له اليد العليا في هذا الصراع عندما التفت إلى أبي مسلم طالباً عونه ، وبالتالي دعم الخراسانيين له .

وتحـــيط المصادر الغموض حول موقف أبي مسلم في هذا الشأن عندما غير رأيه السابق في أبي جعفر وخف لدعمه سريعاً . و فسر أحد هذه المصادر تغير رأيه هذا بالرواية التالية :

((إن أبـــا جعفـــر عندما بلغه أمر عبد الله بن علي وتوجه إلى العراق ، قال لأبي مسلم : ليس لعبد الله بن علي غيري أو غيرك ، فكره أبو مسلم ذلك وقال : يا أمير المؤمنين ، إن أمـــر عبد الله بالشام أقل وأذل ،...ثم انصرف أبو مسلم إلى منزله ، وقال لكاتبه : ما أنا وهذان الرجلان ؟ ثم قال : ما الرأي إلى أن أمضي إلى خراسان وأخلي بين هذين الكبشين فأيهما غلب وكتب إلينا كتبنا إليه : سمعنا وأطعنا ، فرأى أنا قد أنعمنا وعملنا له عملاً .

= المقريزي : المقفى الكبير،المصدر المتقدم ،ج٤،ص٢٠٥ وما بعد .

فقال : له كاتبه : أعيذك بالله من أن تمكن أهل خراسان من الطعن عليك .. فلم يزل به كاتبه حتى أجاب أبا جعفر إلى الخروج))[1] .

إن هـذا الـنص بالصيغة التي ورد فيها يوضح أن أبا مسلم قرر في البداية أن يتخذ موقفاً محايداً بين الطرفين المتصارعين في انتظار ما سيؤل إليه هذا الصراع ليحولها إلى مصلحته . غـير أن أحد مساعديه تمكن من تقويض هذا القرار عندما حذره من رد فعل الخراسانية المحـتمل على ذلك ، وتمكن بالتالي من إقناعه حين قال له : ((أعيذك بالله من أن تمكن خراسان من الطعن عليك ، وأن يروا أنك نقضت أمراً بعد تأكيده ..))[2] ومن هذا يمكن استنتاج أن موقف أبي مسلم الجديد في دعم أبي جعفر ضد عمه عبد الله لم يكن بعيداً عن موقـف الخراسـانية عامة الذين تصوروا الصراع على أنه صراع بين أهل خراسان وأهل الشـام . فبالتأكيد ، لم يكن أهل خراسان سعداء برؤية بلاد الشام ، حيث كان عبد الله ابن علي ، تقوم معه لتتحدى تفوقهم الذي كانوا قد حققوه في حربهم ضد مروان بن محمد وأنصاره في الشام والجزيرة معاً .

ونسـند هذا الاستنتاج إلى مجرى الصراع نفسه بين أبي مسلم وعبد الله بن علي ، والذي اتخـذ منذ بدايته الصبغة الإقليمية . فقد ارتكب عبد الله في هذه البداية خطأً قاتلاً عندما بـادر إلى تخليص جيشه من العناصر الخراسانية التي اعتبرها غير موالية له . وقيل إنه قتل بهـذه المبادرة سبعة عشر ألف خراساني[3] . وعلى الرغم من المبالغة التي قد تكون في هذا الرقم ، فهو يشير إلى صحة الحادثة التي أضرت بموقفه ، وأضعفت قدراته العسكرية . فقد حفـزت هـذه الحادثة ، الخراسانيين إلى مغادرة معسكر عبد الله والالتحاق بأبي مسلم لـيوحدوا صفوفهم مع إخوتهم في هذا الصراع . كذلك لم يكن أهل الشام ، في المقابل ، بغـافلين عن هذا البعد الإقليمي للصراع ، إذ كانوا مدركين نوايا أبي مسلم وجنوده من الخراسـانيين تجاه بلاد الشام ، حتى أنهم كانوا على استعداد للتخلي عن عبد الله بن علي

---

1 – اليعقوبي ،المصدر المتقدم ، ج٢ ، ص٣٦٥ .

2 – اليعقوبي،المصدر المتقدم ، ج٢، ص٣٦٥ .

3 – الطبري ،المصدر المتقدم ، ج٤ ، ص١٥٤٦ .

– رستم (عبد السلام) : الخليفة العباسة أبو جعفر المنصور،دار المعارف بمصر،١٩٦٥،ص٤٠.

ليواجه مصيره مع أبي مسلم من أجل الدفاع عن بلادهم . ففي إحدى الروايات أنه كان مع عبد الله من أهل الشام وهو ما يزال في الجزيرة وقالوا له :

((كيف نقيم معك وهذا أبو مسلم يأتي بلادنا وفيها حرمنا ، فيقتل من قدر عليه من رجالنا ويسبي ذرارينا؟ ولكنا نخرج إلى بلادنا فنمنعه حرمنا وذرارينا ونقاتله إذا قاتلنا . فقال لهم عبد الله بن علي : إنه والله ما يريد الشام وما وجه إلا لقتالكم ، ولئن أقمتم ليأتينكم . فلم تطب أنفسهم ، وأبو إلا المسير إلى الشام .. وارتحل عبد الله بن علي مع عسكره ، متوجهاً نحو الشام))[1] .

على كل حال ، فإن تقرب أبو جعفر من أبي مسلم كان هو العامل الذي حسم الصراع ، إذ لم يكسب الخليفة إلى جانبه فقط هذا القائد العسكري الفذ ، بل حقق أيضاً هدفاً مزدوجاً : فمن جهة أولى كسب تأييد الخراسانية له ولقضيته ، وقذفهم في قلب الصراع كفريق أصيل فيه ، كما تمكن من جهة ثانية من إحداث شرخ في صفوف منافسه مضعفاً بذلك جبهته العسكرية والسياسية . وفي مثل هذه الظروف ، فإن التخلص من الخليفة المنافس لم يكن إلا مسألة وقت تم إنجازها خلال خمسة أشهر ، هرب عبد الله بن علي في أثرها من ساحة المعركة ملتجأ إلى أخيه سليمان الذي كان آنذاك والياً على البصرة[2] . ثم أعطاه المنصور الأمان فقدم عليه فقام المنصور بحبسه عند ولي عهده عيسى ابن موسى[3] . ومات عبد الله في سجنه الأخير في بيت بني أساسه من الملح ثم أطلق عليه الماء فذاب الملح وسقط البيت على عبد الله فمات[4] .

---

1 - تاريخ ابن خلدون ،المصدر المتقدم ،ج٣ ، ص٢٢٨-٢٢٩ . انظر الطبري ، ج٤، ص١٥٤٧ .
- المرعشي(محمدبن الحسين):غرر السير،حققه د،سهيل زكار،دار الفكر،بيروت ،١٩٩٦م،ص٣٢٥.(وسيرد غرر السير).

2 - تاريخ ابن خلدون ،المصدر المتقدم ، ج٣ ،ص٢٢٨-٢٢٩ . أنظر- الطبري،ج٤ ، ص١٥٤٧ .

3 - اليعقوبي،المصدر المتقدم ، ج٢، ص٣٦٨ .
أنظر-البلاذري،المصدر المتقدم ،ج٤،ص١٥٣ .

4 - ابن كثير،المصدر المتقدم ،ج١٠ ، ص٦٢-٦٣ ، انظر: - الطبري،المصدر المتقدم ،ج٤،ص١٦١٩ .
- ابن الأثير،المصدر المتقدم ، ج٥،ص١٠٢ وما بعد . - العش(محمد أبو الفرج):تاريخ عصر الخلافة العباسية،دار الفكر ،دمشق، ١٩٩٦،ص ٣٢.(وسيرد تاريخ عصر الخلافة العباسية).

الفصل الثاني

- تحويل ولاية العهد من عيسى بن موسى إلى المهدي.
- **موقف عيسى بن موسى من محاولة المنصور إبعاده عن ولاية العهد .**
- المهدي وولاية العهد .
- لماذا لم يتمسك عيسى بن موسى بحقه في ولاية العهد .
- جذور المشكلة بين موسى وهارون .
- ظاهرة موت المهدي المفاجئ .
- الهادي ومشكلة ولاية العهد .
- تأزم العلاقة بين الهادي والخيزران.
- عزم الهادي على خلع أخيه الرشيد .
- موقف الرشيد وشيعته الهادي .
- موت الهادي المفاجئ .

تحويل ولاية العهد من عيسى بن موسى إلى المهدي :

إن ترتيبات وراثة الحكم التي سنها الخليفة العباسي الأول لم تعمر غير عشرة أعوام فقـــط ، استمرعيسى بن موسى خلالها يتمتع بلقبه ولياً للعهد دون أن يواجه أي عقبة أو مشكلة في ذلك من أي أعضاء الأسرة الآخرين .

وفي أثـــناء ذلـــك لم يجد أبو جعفر سبباً حقيقياً يدفعه إلى تغيير هذا الترتيب ، أو وضـــع نظام آخر يبتدعه هو يفضي إلى نزاع جديد حول هذه المسألة . وذلك أن ذريته التي كانت تستحق المخاطرة من أجلها لم تكن بعد مهيأة ليخرج منها مرشح محتمل لولاية العهد . فخلال الثلاثينات الأخيرة والأربعينات الأولى من القرن الهجري الثاني لم يكن أي من أبنائه قد وصل السن التي تتيح للخليفة أن يقدمه للجمهور عامة ، وللمنافسين المحتملين من البيت العباسي خاصة ، على أنه هو الشخص المناسب لتسلم المسؤولية .

غـــير أن هذه الظروف بدأت بالتغير الجذري بعد عام ١٤٥ هـ ، عندما بدأ نجم عيسى بن موسى يلمع فجأة بعد أن تمكن في تلك السنة من هزيمة الأخوين العلويين محمد النفس الزكية و إبراهيم ، والقضاء على ثورتهما المشتركة في الحجاز و البصرة [1] ، بعد أن كـــان عيسى قد رضي حتى ذلك الوقت بنصيبه الوافر من المشروع العباسي : لقب ولاية العهد رفيع الامتيازات ، ومنصب والي الكوفة الذي يضاهيه بالمكاسب . ولاشك أن هذا الـــتطور الجديد في حياة عيسى السياسية عزز مكانته في صفوف العباسيين بعد أن تحولت قيمـــته مـــن ولي للعهد استحق منصبه بسبب تعيينه فيه من قبل الخليفة السالف إلى بطل متميـــز حمى وجود البيت العباسي في الحكم في وقت كان المشروع بمجمله على وشك الانهيار . وغني عن القول إن هذه المكانة الجديدة التي اكتسبها عيسى كانت تتعارض بحدة

---

[1]-الطبري،المصدر المتقدم، ج ٤ ، ص ١٥٨٦ وما بعد .

– ابن الأثير،المصدر المتقدم،ج٥،ص١٥٦.

– ابن كثير ،المصدر المتقدم،ج١٠،ص٨٧.

– تاريخ ابن خلدون،المصدر المتقدم ،ج٣،ص٢٤١.

– ابن الجوزي ،المصدر المتقدم،ج٨،ص٦٦.

– ابن العماد عبد الحي بن أحمد الحنبلي(١٠٣٢-١٠٨٩هـ):شذرات الذهب،تحقيق عبد القادر الأرناؤوط،دار بن كثير ،دمشق ،١٤٠٦هـ،ج١ ، ص٢١٢،(وسيرد شذرات الذهب).

مــع سياســة أبي جعفر العائلية التي كانت لا تتسامح إطلاقا مع بروز أي من العباسيين منافســاله على تفرده المتعالي في الهرم العباسي .وهكذا كان عليه أن يتصرف حيال هذا الوضع الجديد قبل أن تتنامى مكانة عيسى المعنوية إلى الدرجة التي لا يمكن السيطرة عليها. غير أن خطة الوراثة التي وضعها أبو العباس كانت تشكل قيداً على حركة أبي جعفر في هــذا الاتجــاه ، وكان من الضروري إعادة بناء الخطة بما يمكن من إزاحة عيسى من هذا المنصــب الذي وضعه فيه السفاح،و بالتالي تجريده من كل الأمجاد التي اكتسبها . وبالطبع يكون هذا التغيير لمصلحة أبنائه ،ومن حسن حظ أبي جعفر أن اثنين من أبنائه جعفرومحمد (المهــدي) كانــا قد وصلا إلى السن التي تؤهل أياً منهما ليسميه أبوه ولياً للعهد بديلاً لعيســى بــن موسى . ومن ناحية نظرية ، كان جعفر –وهو أكبر الأخوين – صاحب الفرصــة الأعظــم في عملية الاختيار ، **لكن السؤال هنا لماذا تجاوز المنصور ابنه الأكبر لمصلحة أخيه الأصغر محمد الذي اختاره ليحل محل عيسى في المنصب ؟!**

في الواقــع إن مصــادرنا صمتت عن هذا التفضيل ،باستثناء رواية واحدة تخلق انطــباعاً بــأن إقــدام أبي جعفر على تعيين محمد وليًا للعهد كان استجابة لطلب القادة الخراسانية الذين اجتمعوا بالخليفة مبدين إعجابهم بمحمد ، وطالبين نقل ولاية العهد إليه [1] ، غــير أن هــذه الحادثة تحتاج إلى إعادة النظر في ضوء الحملة المكثفة التي قام بها الخليفة لكسب التأييد لمرشحه لولاية العهد ، أكثر منها تفسيراً لسبب هذا الإجراء .

والتفسير الأكثر إقناعا من ذلك هو أن أبا جعفر فضل ابنه محمد لهذا المنصب لمزايا شخصــية وجــدها فيه ، جعلته يتفوق على أخيه الأكبر عمراً . فالمعلومات القليلة التي نعــرفها عــن الأخــوين قبل اختيار محمد لولاية العهد تؤكد هذا التفسير بدون شك ؛ فالمعــروف أن محمــداً كان ابن أبيه المفضل منذ حداثة سنه ؛ فهو لم يكن بعد قد تجاوز الرابعة عشر من عمره عندما أوفده أبوه على رأس حملة عسكرية ، سنة ١٤١ هـ [2] ، لقمع

---

[1]-اليعقوبي ،المصدر المتقدم، ج٢ ، ص٣٧٩ .حول أبي جعفر المنصور ومشروعه في أخذ البيعة لابنه المهدي انظر : علي أدهم : أبو جعفر المنصور . دار الكاتب العربي، مصر ، ١٩٦٩،ص١٥٦ وما بعد .

[2]-الطبري ،المصدر المتقدم، ج ٤ ، ص ١٥٥٩ .

– ابن الأثير،المصدر المتقدم،ج٥،ص١٣١.

– تاريخ ابن خلدون ، المصدر المتقدم،ج٣،ص٢٣٤.- ابن الجوزي ،المصدر المتقدم،ج٨،ص٣٠.

تمرد عبد الجبار بن عبد الرحمن ، حاكم خراسان .وعندما أنجز المهمة بنجاح ، أصدر إليه الخليفة تعليماته للزحف تجاه طبرستان لفتحها . ومرة أخرى تكللت هذه المهمة بنجاح مماثل[1]. وكانت المكافأة سخية ، إذ عينه الخليفة والياً على خراسان ليستمر منذ ذاك الحين في هذا المنصب المهم والمتميز[2].

وبمثل هذه المهمات يبدو أن الخليفة كان يحضر ابنه الواعد للمنصب المقبل ، غير أن ذلك لم يكن لينطبق على جعفر ابنه الأكبر ، فالمهمة الوحيدة التي أسندها إليه أبوه كانت تعيينه والياً على الموصل، وحدث ذلك في ١٤٥هـ[3] ، أي بعد مضي أربع سنوات على تولي محمد الأخ الأصغر ولاية خراسان . وحتى في ذلك المنصب لم يبدِ جعفر أي حضور متميز إلى درجة أن كُتّاب الحوليات الذين اعتادوا أن يفردوا قائمة بأسماء الولاة في ذيل كل سنة يؤرخون لها ، تجاهلوه تماماً بعد سنة ١٤٥ هـ ،مما يعطي الانطباع بأنه كان قد عزل عن منصبه ،مما جعل هؤلاء الكتّاب لا يلاحظون وجوده .

واحتفظ الأصفهاني عن جعفر بمعلومات تشير إلى أنه كان فتى لاهٍ ، عاش حياة طائشة ، وهو يقضي معظم أوقاته في الكوفة بصحبة صديقه الحميم الشاعر الخليع مطيع بن إياس. ووفقاً للأصفهاني نفسه فقد حاول الخليفة عبثاً إصلاح ولده، وقد استمرت هذه المحاولات المخفقة إلى أن توفي جعفر في تاريخ لم يحدده المؤلف، بعد صراع طويل مع مرض يبدو من وصف أعراضه كما وردت في الأغاني أنه كان من حالات الصرع[4] .

وبالتأكيد فإن شخصية بهذه المواصفات لم تكن تستحق المخاطرة من جانب أبي جعفر بتقديمها كمرشح محتمل للخلافة إلى جمهور بالغ الحساسية بشأن مسألة كهذه . وبخلاف ذلك ذكرت إحدى الروايات أن أبا جعفر فكر بخطة تضع محمد ولي عهد أول ، على أن يليه جعفر ، إلا أن خوفه من ردة فعل ابنه محمد جعله يتخلى عن هذه الخطة. وروى

---

1 - الطبري ،المصدر المتقدم ، جـ٤ ، ص١٥٥٩ -١٥٦٠ .

2 - الطبري ،المصدر المتقدم ، جـ٤ ، ص١٥٦٠ .

3 - ابن الأثير ،المصدر المتقدم ، جـ٥ ، ص١٧٥ .

- الأزدي: تاريخ الموصل تحقيق د.علي حبيبة القاهرة١٩٦٧ ، ص١٩٤.(وسيرد تاريخ الموصل).

- ابن كثير، ،المصدر المتقدم،ج١٠،ص٧٦.

4 - الأغاني ،المصدر المتقدم ، جـ١٢،ص ٧٦-٨١-٨٢ .

الطبري عن هذه الخطة أن محمداً نقل رسالة شفهية إلى أبيه الخليفة، بواسطة عمارةبن حمزة أحد أبرز ثقات بلاط الخليفة ، قال فيها : ((لقد بلغني أن أبي عزم على أن يبايع لجعفر أخي ، وأعطي الله عهداً لئن فعل لأقتلنه)) . وكان رد الخليفة على هذه الرسالة أنه أبلغ الوسيط :((قل له نحن أشفق عليه من أن نعرضه لك)) [1] .

غير أن ابن قتيبة احتفظ بخبر مختلف وهو : ((...أن المهدي علم بعد وفاة والده أن أخاه جعفر عازم على خلعه ، فقاد حملة ضده ، انتهت باعتذار جعفر ، وبعفو عنه صدر عن المهدي))[2]، غير أن هذا الخبرلا يحتمل الصدق ، إذ من الثابت أن جعفراً توفي في حياة أبيه سنة ١٥٠هـ ، كما يثبت ذلك كل من الطبري ، والمسعودي . وهكذا قد يكون ابن قتيبة يشير إلى حادثة وقعت بعد تسمية المهدي ولياً للعهد ،لكنه أخطأ في تحديد السنة التي كانت ١٤٧هـ . كذلك ينطبق هذا الخطأ على خبر احتفظ به المسعودي ، زعم أن المنصور قدم ابنه محمد للمفكر المعتزلي المشهور عمرو بن عُبيد كولي للعهد . وقد توفي عمرو إما في سنة ١٤٤هـ أو في سنة ١٤٥هـ ، وهو ما يعني وفقاً لهذا الخبر أن المهدي أصبح ولياً للعهد في إحدى هاتين السنتين ، وهذا غير صحيح إذ تُجمع المصادر-بما فيها الطبري – على أن هذا المنصب أسند للمهدي سنة ١٤٧ هـ.

غـير أن هذا الإشفاق-إن صحت تاريخية هذه الحادثة – لم يكن هو العامل الوحيد الـذي جعل أبا جعفر يحجم عن تعيين اثنين من أبنائه في خط وراثة الخلافة . فقد كانت الحقائق السياسية في البيت العباسي نفسه تضغط بالتأكيد في اتجاه الاحتفاظ بمكانة لعيسى ابن موسى الذي أثبت أهمية مكانته في هذا البيت بسجله العسكري اللامع الذي كان من الصعب تجاهله عند التفكير في أي تغيير في هذه المسألة الحساسة .

على كل حال ، ومهما كانت الدوافع ، فقد اتخذ أبو جعفر الخطوة الأولى في اتجاه التغيير سـنة١٤٧هـ وذلك عندما عزل عيسى من منصبه كوال على الكوفة لتجريده –كما هو

---

1 - الطبري ،المصدر المتقدم ، جـ٥،ص١٦٤١.

- الطبري ،المصدر المتقدم،جـ٤،ص١٦٢٧، -مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣ ص٣١٨ .

اليعقوبي ،المصدر المتقدم،ج٢، ص٢٨٠-.تاريخ خليفة ،المصدر المتقدم ، ص٤٢٣ .

2- الإمامة والسياسة ،المصدر المتقدم،جـ٢ ، ١٥٢ .

واضــح من هذا الإجراء – من مصدر قوته المفترض ، وعين بدلاً منه العباسي محمد بن ســليمان متقصــداً بذلك إلحاق الضرر به ، أو– كما أكد أحد المصادر–((.. ليؤذي عيســى ، ويستخف به)) [1] . غير أن هذه الخطة لن تنجح إذا لم يستجب الوالي الجديد لمقاصد الخليفة، كما أكد المصدر نفسه،(ولم يزل معظمأله (لعيسى) ومبجلاً) .

غــير أن وضــع عيسى في بغداد التي كان المنصور قد استكمل بناءها في السنة الماضية واتخذها عيسى سكنأله بعد عزله عن ولاية الكوفة ، أخذ يتدهور نحو الأسوأ . فقد كان هــناك تحت مراقبة المنصور المباشرة والذي لم يتردد في استخدام أكثر الأساليب مراوغة والتواء لإجباره على التخلي عن ولاية العهد . فقد جرى إذلاله وتخويفه ، وهدد مرة بقتل ابنه الأكبر موسى . واستعان المنصور في كل ذلك بعدد من كبار المسؤولين في دولته ،مثل خالد بن جعفر وسلم بن قتيبة ،وعمه عيسى بن علي في خطة محكمة لمحاصرة ولي العهد وإكراهه على التنازل . وأكثر من ذلك فقد حاول المنصور مرتين التخلص منه بقتله ، مرة عــندما دس لــه السم في طعامه ، لكن من حسن حظه أن الجرعة لم تكن كافية لقتله [2] . ومــرة عــندما حاول أن يورطه بمؤامرة لاغتيال عمه عبد الله بن علي ، فيخلص الخليفة بذلك من الشخصيتين معاً:العم باغتياله بيد عيسى ، وعيسى بالقتل على ما جنت يداه [3] .

وفي أثناء ذلك كله ، أقدم أبو جعفر ولأول مرة ، على إضفاء لقب المهدي الديني علــى ابــنه محمد ، مرشحه لولاية العهد .وفي حادثة واحدة على الأقل ،نجد تقريراً في مصــادرنا كــيف كانــت الأحاديث توضع بتشجيع من المنصور .وصف هذا التقرير اجــتماعًا دعى الخليفة إلى عقده ليعلن تعيينه ابنه المهدي ولياً أول للعهد .وقد تحدث عدد من الخطباء في هذا الاجتماع يطرون الخليفة على قراره هذا ،وكان بينهم مطيع بن إياس الشــاعر الــذي أشتهر بلَهوِه وخلاعته ،فقام بتلفيق حديثاً نسبه إلى النبي صلى الله عليه

---

1 – ابن الأثير ،المصدر المتقدم ج٥،ص١٥٨وما بعد.

2 – انظر أمثلة عن سوء هذه المعاملة في :– الطبري،المصدر المتقدم، ج٤ ،١٦١٩ وما بعد .– اليعقوبي،المصدر المتقدم ،ج٢،ص٣٧٩ .

– ابن الأثير ،المصدر المتقدم،ج٥،ص١٨٢،١٨١،١٨٠ .

– البلاذري ،المصدر المتقدم،ج،٤،ص٣٤٤ وما بعد .

3 – اليعقوبي،المصدر المتقدم ، ج٢،ص ٣٦٨ .

وســلم ينص على قيام المهدي ،ولم يجد غير أخا الخليفة شاهدًا على صحته،فصادق هذا علــيه خــوفًا من الخليفة ،يقول التقرير إن مطيعا قال :((النبي صلى الله عليه وسلم قال: المهــدي مــنا،وأمــه مــن غيرنا (أم المهدي يمانية من قبيلة حمير)يملؤها عدلاً كما ملئت جــورا.وهذا أخوك العباس يشهد على ذلك))[1] . فأمر المنصور بالبيعة للمهدي[2].وفي هذه الأجــواء جــرت صياغة منظومة المعتقد الديني عن قداسة الخلافة العباسية لتكون قائمة أساســا على مجموعة كبيرة من الأحاديث التي رويت عن المنصور نفسه عن سلسلة من الــرواة تنتهي بالنبي،وبعضها رواه عباسيون معاصرون ،وأخرى رواها مسؤولون كبار في إدارة الخليفة بمن فيهم رئيس الشرط .[3]

---

[1]– الأغاني ،المصدر المتقدم،الجزء الثاني عشر،ص٨١.

[2]–ويلاحظ أن محمد النفس الزكية كان اسمه محمد واسم أبيه عبد الله ولقب بالمهدي (أنظر في المراسلات التي جرت بين النفس الزكية والمنصور حيث كتب للمنصورمن عبد الله المهدي محمد بن عبد الله إلى عبد الله بن محمد....حيث أخذ كل طرف إثبات أحقيته بالخلافة أنظر الطبري ،ج ٤،ص١٥٨٢.) ولا يستبعد أن المنصور عندما سمى ابنه محمد ولقبه المهدي اخذ رواية الحديث نفسها رد فعل على النفس الزكية ، استنادا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (المهدي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي) أخرجه أبو داود والترمذي صححه – الترمزي : الجامع او سنن الترمذي ، دار الكتب العلمية د.ت .حول الأحاديث المتعلقة بالمهدي أنظر :ابن حماد كتاب الفتن،تحقيق د.سهيل زكار ،دار الفكر،١٩٩٣،ص٢٢٦.

الترمزي:سنن الترمذي،كتاب الفتن ،باب ماجاء في المهدي،دار الكتب العلمية،د،ت.

أحمد بن حنبل:مسند الإمام أحمد ،دار المعارف،مصر،١٩٤٩.

ابن زيد القزويني:سنن ابن ماجه،كتاب الفتن،إحيا ء التراث العربي.

أبو داود الأزدي:سنن أبي داود،المهدي،مكتبة العصرية،بيروت.

[3]–انظر نماذج من هذه الأحاديث في السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ص١٦٠.(وسيرد السيوطي ص) .الخطيب البغدادي: المجلد الثالث عشر ،ص١٣٢،المجلد الرابع عشر ،ص٤٣٥.

إضافة إلى أحاديث موضوعة ((المهدي من ولد العباس عمي)) أخرجه ابن عدي من حديث عثمان مرفوعاً وكان يضع الحديث . وأيضاً حديث مروي عن عمرو بن سعيد بن جبير بن عباس قال:(منا ثلاثة المنصور ومنا السفاح ومنا المهدي) . كل ذلك من أجل الدعاية وتوجيه الأنظار إلى ابنه محمد . وقام بعض الشعراء باصطناع الأناشيد مادحين محمد ملمحين إلى ضرورة توليته ليصبح ذلك نوعاً من الطلب الشعبي . وهكذا دس رجال الحاشية إلى أبي نخيله الشاعر الراجز ، فأنشده :

أنت الذي ولاك رب المسجد   أحسن ولي عهدها بالأسعد

عيسى فزحلقها إلى محمد

أنظر الخطيب البغدادي ،ج٧،ص٢٠٦ . انظر أيضاً دولة بني العباس ، ج٤،ص٣٠٥.

موقف عيسى بن موسى من محاولة المنصور إبعاده عن ولاية العهد :

السؤال هنا ما هو موقف ولي العهد عيسى بن موسى من هذا كله ؟

بالطبع لم يكن عيسى بالغافل عن ذلك،ولقد كان يرفض بحث الأمر كله . وينكشف موقفه من أنه ربط لأبي نخيلة وهو في الطريق إلى الري ليقبض جائزته من المهدي فظفر بأبي نخيلة فلم يقتله ولكن كشط جلد وجهه ، ثم صرح الأمر بين الطرفين سنة ١٤٧ حين فاتح أبو جعفر عيسى بذلك في رسالة خطية وجهها إليه يطلب منه فيها أن يبادر هو نفسه بأن يتخلى عن المنصب[1].

وفي هذه الرسالة صاغ أبو جعفر نظريته الخاصة به حول شرعية ولي العهد المرشح ، والتي دارت حول فكرتين أساسيتين :

الأولى : أن تعيينه المهدي ولياً للعهد كان استجابة لرغبة دعاة العباسيين وأنصارهم ، وأيضاً تلبية لرغبة العامة .فزعمت الرسالة أن تعاطف الناس مع المهدي كان قوياً إلى درجة أنه ((لولا معرفة المهدي بحق الأبوة ، لأفضت أمور الخلافة إليه وكان أمير المؤمنين لا يمنع ما اجتمعت عليه العامة ولا يجد مناصاً عن خلاص ما دعوا إليه)) . والثانية : هي أن هذا الأمر كان وفق إرادة إلهية لا يمكن ردها . فوفقاً للرسالة كان الترتيب الإلهي كما يلي:((وهب الله لأمير المؤمنين ولياً ، ثم جعله تقياً مباركاً مهدياً ، وللنبي صلى الله عليه وسلم سمياً ، وسلب من انتحل هذا الاسم ودعا إلى تلك الشبهة- محمد النفس الزكية الذي تسمى بالمهدي- التي تحير فيها أهل تلك النية ، وافتتن بها أهل تلك الشقوة ، فانتزع منهم ، وجعل دائرة السوء عليهم ، وأقر الحق قراره،وأعلن للمهدي مناره وللدين أنصاره))[2] .

وقد رفض عيسى بن موسى هذه الادعاءات ،ورد على الخليفة برسالة جوابية، مؤكداً فيها على مبدأ أنه هو وأبوه جعفر كانا في موقعيهما بموجب خطة وضعها الخليفة السالف،فلا يجوز لمسلم أن يغير هذا الأمر ، كذلك حذر الخليفةَ من إعطاء ترخيص

---

[1] -انظر الطبري ،المصدر المتقدم ، ج٤،ص١٦٢٣،١٦٢٢،١٦٢١ .

[2] - هنا اشارة إلى أنه المهدي المنتظر .

للناس) في عزله من منصبه ، لأن مثل هذا الترخيص سوف يشجعهم على التمادي وتهديد الخليفة نفسه إن سمحت لهم الظروف بذلك[1].

غــير أن هذه المسألة لم يكن بالإمكان تسويتها بالمجادلة وبالحجج يقدمها كل خصم ضد خصــمه . فقد كانت بيد أبي جعفر مصادر القوة جميعاً ، بما فيها قوة الدولة ، التي كان سيســتخدمها لتجريد خصمه من جميع وسائل المقاومة . وهنا لا بد من العودة إلى الوراء قليلاً وبالأخص بعد وفاة أبي العباس السفاح ، عندما حاول أبو مسلم الخراساني تحريض عيسى بن موسى على خلع المنصور ، وكما ذكرت آنفاً رفض عيسى بن موسى ذلك[2] ، ربّ سائل ما علاقة ذلك ببحثنا ؟

ذكرت معظم المصادر أنه يوجد علاقة حميمة بين أبو مسلم الخراساني وعيسى بن موســى[3] وبمــا أن المنصور كان يفكر منذ البداية في خلع عيسى بن موسى ولكنه ينتظر الــوقت المناسب فكان عليه أن يجرد ه من قوة كبيرة كان بإمكانه الاعتماد عليها عندما يواجهه المنصور بنيته في الخلع ، نحن نعلم أن المنصور قتل أبا مسلم لأسباب أخرى ولكننا نعتقد أن هذا من بين الأسباب .

وإذا تفحصــنا الإجراء الثاني الذي اتخذه المنصور توضحت لدينا الصورة بشكل أفضل ، وهو تعيين محمد المهدي والياً على خراسان[4] .

وكمــا نعلم بأن هذه المنطقة انطلقت منها شرارة الثورة ،وكانت مركز القوة ،فمعظم قــادة الــثورة كانوا منها،فلذلك كان لابد من كسب تأييد هذه المنطقة ، وبالتالي ضمن النجاح لمشروعه .بتجريد عيسى بن موسى من أهم مصادر قوته .

---

1 - الطبري ،المصدر المتقدم،ج٤،ص ١٦٢٢-١٦٢٣ .
- ابن الأثير ،المصدر المتقدم ، ج٥،ص،ص١٨٠وما بعد.
- تاريخ ابن خلدون،المصدر المتقدم،ج٣،ص٢٤٨.
- البلاذري ،المصدر المتقدم،ج٤ ،ص٣٤١.

2 - المقفى الكبير ،المصدر المتقدم ،ج٤،ص١٩٠ . انظر الفتوح ،ج٣،ص٣٦٤ .

3 - المقفى الكبير ، المصدر المتقدم ،ج٤،ص٢١٠ .
انظر الطبري ، المصدر المتقدم،ج٤،ص١٥٥١-١٥٥٢-١٥٥٣.

4 - الطبري ،المصدر المتقدم ،ج٤،ص١٥٦٠ .
ابن الأثير ،المصدر المتقدم ، ج٥،ص١٧٥.- تاريخ الموصل ، ص١٩٤.

ومن الطبيعي أن ينتهي هذا النزاع غير المتكافئ إلى استسلام عيسى الذي أعلن فيه كـذلك تسمية المهدي ولياً لعهده[1] ، وذلك بعد الاضطهاد الذي كاد يودي بحياة ولده موســى ،حيث أوهم المنصور عيسى بأنه سوف يذبح ولداً من أولاده بحضوره .. وهي قصــة يقولــون إن الابن نفسه دبرها لينقذ أباه من العناد ومن تضييق الخليفة عليه.. فلما شعر عيسى بالحبل يشد على عنق ابنه استسلم ، وقال : ((والله يا أمير المؤمنين ،ما ظننت أن الأمــر يــبلغ منك هذا كله، فمر بالكف عنه،فإنما لم أكن لأ رجع إلى أهلي وقد قتل بسبب هذا الأمر عبد من عبيدي فكيف بابني .. وهذه يدي بالبيعة للمهدي))[2] .

وقيل أيضاً إن خالد بن برمك مضى إليه بجماعة ،وقد أمره المنصور بقتله إن رفض التــنازل ،فلما أصر على الرفض أشهد الجماعة عليه زوراً بخلع نفسه ليحقن دمه .. وتمت بذلك البيعة للمهدي [3] . أما عيسى فقد منحه المنصور مقابل ذلك المال والضياع وولاية العهد الثانية بعد المهدي .

ونجح المنصور بذلك في وضع اللبنة الأولى في نظام ولاية العهد الرأسي، على أن إقرار هذا النظام لم يكن في يده ،ولكن في يد ابنه وأحفاده من بعده . ولقد ترك لابنه المهدي حين أعطـاه ولايـة العهد بذور المشكلة نفسها بقبول بقاء عيسى ولياً ثانياً للعهد . فكأنه في الواقع أجل المشكلة و لم يحلها ولعله كان يرغب في أن يحلها الزمن بموت عيسى نفسه .

ومن الطبيعي أن تدفع هذه التطورات بعيسى بن موسى ليعيش في الظل ، ليس فقط لأنها جردته من موقعه المتميز في خط الوراثة ، بل لأنها كذلك بالطريقة التي جرت فيها كانت تحول دون نشوء أي تعاون بينه وبين الخليفة في المستقبل .

---

1 -الطبري ،المصدر المتقدم،ج٤،ص١٦١٩ .
- البلاذري ،٤ ج،ص٣٤١.
- ابن الأثير ،المصدر المتقدم، ج٥،ص١٨٠وما بعد.
- تاريخ ابن خلدون،المصدر المتقدم،ج٣،ص٢٤٨.
2 - الطبري،المصدر المتقدم ،ج٤،ص١٦٢١ .
3 -الطبري ،المصدر المتقدم، ج٤،ص١٦٢٣ .
انظر الحسين المرعشي : غرر السير ،المصدر المتقدم ،ص٣٧٧ .

وكـــان ذلـــك هو ما حدث بالفعل ، إذ لم يشغل عيسى أي منصب بعد ذلك في دولة المنصـــور ولم يكلف بأي مهمة . غير أنه يبدو من بعض الدلائل أن دوائر معينة في البيت العباســـي نفسه وأوساطاً أخرى لم تكن راضية عن هذه الترتيبات . ففي إجراء لم يتكرر مثله قط ، دعا المنصور سنة ١٥١هـ أهل بيته لاجتماع طلب منهم فيه أن يجددوا البيعة له كخليفة ،ولابنه المهدي من بعده ،ولعيسى بن موسى من بعد المهدي[1] .

ولا تذكر المصادر سبباً لهذه المبادرة ، إلا أنها تخلق انطباعاً بأنه مع مرور أربع سنوات على قـــيام المنصـــور بإعادة تنظيم مشروع الوراثة ، فقد ظل أعضاء في الأسرة لم يقتنعوا بعد بإجراءاته ، وكانوا مطالبين بتحديد إظهار حسن نواياهم تجاه الخليفة وما صنع . كذلك يـــبدو أن عـــدم الاقتناع هذا كان تجاوز الدائرة العباسية إلى أوساط أخرى لم ترض عن إزاحـــة عيســـى عـــن موقعه في خط الوراثة . ففي عام ١٥٣هـ-٧٧١م زج المنصور في السجن أشخاصاً من خراسان بتهمة تعصبهم لعيسى[2] .

وكـــان أحـــد هؤلاء هو هرثمة بن أعين الذي كان آنذاك في مطلع شبابه يحاول أن يبني مستقبله السياسي الذي ازدهر في أيام خلفاء المنصور فيما بعد[3] ، و يوسف بن علوان الذي لا تشير إليه المصادر إلا على أنه شخص من خراسان ،غير أن عيسى -كما كان متوقعاً- لم يكـــن في وضع يمكنه من الاستجابة لأي مسعى يصب في مصلحته ، فقد تقرر مستقبله السياسي عندما رضخ للمنصور دون أي يبدي إلا معارضة سلبية لمخططاته .

---

1 -الطبري،المصدر المتقدم ،ج٤،ص١٦٣٠ .
- المقفى الكبير ،المصدر المتقدم،ج٤،ص٢٣٧-٢٣٨ .
انظر الحسين المرعشي : غرر السير ، المصدر المتقدم ،ص٣٧٧ .

2 - ابن الأثير ،المصدر المتقدم،ج٥،ص٢٠٤ .
انظر سخنيني (عصام) : العباسيون في سنوات التأسيس ، الأردن ١٩٩٨،ص١٥٣-١٥٤، (وسيرد العباسيون في سنوات التأسيس).

3 - عن هرثمة انظر : الزركلي (خيرالدين): الاعلام ، ط٤ ، بيروت١٩٧٩،ج٨،ص٨١ .

المهدي وولاية العهد :

واجـــه المهدي منذ الأيام الأولى لخلافته مشكلة إزاحة عيسى مرة أخرى لمصلحة ابـــنه الفتى موسى الهادي ،وتكررت مرة أخرى قصة عيسى مع المنصور بحذافيرها، وكان عيســـى قد تمنع عن مبايعة المهدي ليلة وفاة المنصور (فأقبل القواد الذين حضروا يقربون ويتباعدون ، فنهض علي بن عيسى بن ماهان فاستل سيفه ثم جاء إليه فقال : والله لتبايعن أو لأضربن عنقك ،فلما رأى عيسى ذلك بايع وبايع الناس بعده ..)[1] .

ولعـــل هـــذا السبب الذي دفع بالمهدي إلى العجلة بإزاحة عيسى نهائياً عن ولاية العهد،فتحرك وتحرك معه بعض بني هاشم وشيعتهم من خراسان في ذلك .. بعد أن رسم لهم المنصور الطريق بالدعاية المبدئية للأمر .

و ذكر الجهشياري أنه لما حال الحول على المهدي في الخلافة تقدم إلى أبي عبيد الله بمناظرة عيسى بن موسى على أن يخلع نفسه من ولاية العهد[2] .

وكان جواب عيسى الرفض ،وبدأت المفاوضات بين الطرفين دون جدوى ، فقام المهدي باستدعاء عيسى إلى بغداد وقدكان يقيم في ضيعة له بالرحبة على الفرات) .وبدأ المهدي يستخدم نفوذه في الضغط على عيسى بن موسى ، وأخذ يشن حرب نفسية مروعة عليه

وبدأت المضايقات التي لم تنتهِ حتى تنازل عيسى بن موسى عن ولاية العهد سنة ١٦٠ هـ وعوض بالمال الوفير[3] .

لماذا لم يتمسك عيسى بن موسى بحقه في ولاية العهد :

لام الكثيرون عيسى على موقفه الذي باع فيه حقه وقال شاعرهم :

كره الموت أبو موسى وقد   كان في الموت نجاء وكرم
خلع الملك وأضحى ملبساً   ثوب لوم ما ترى منه القدم[4]

1 - الطبري،المصدر المتقدم ،ج٥ ،ص١٦٥٨ .- ابن الأثير، ج٥ .٢٣٢وما بعد. ابن كثير،ج١٠،ص ١٣١ .
- تاريخ ابن خلدون،المصدر المتقدم،ج٣،ص٢٦٢.

2 - الجهشياري ،المصدر المتقدم ، ص١٠٦ . انظر الأزدي ،المصدر المتقدم،ص٢٣٦.

3 -حول المفاوضات بين الطرفين والتهديدات انظر: الطبري ،المصدر المتقدم، ج٥، ص١٦٦١ وما بعد.
انظر- تاريخ ابن خلدون ،المصدر المتقدم،ج٣،ص٢٦١-٢٦٢ .

٤- انظر الطبري،المصدر المتقدم ،ج٥،ص١٦٦٤ .

والحقيقة أن عيسى كان في حوالي الستين من العمر و لم يكن له مع شباب المهدي ،وقوة سطوته، ومظاهرة الناس،والقوى له من أمل كبير في أن يخلعه من الخلافة إلا بصدفة يختصر فيها الزمن اختصاراً .. وذكرنا آنفاً أنه منذ أيام المنصور كانت الخطة تحاك خيوطها من أجـــل عـــزل عيسى،فقام بتجريده من:أنصاره ، نفوذه .. ومن المؤكد أن النتيجة سوف تكون لصالح الخليفة صاحب النفوذ والسلطة ....والذي يمتلك كل الوسائل لإجبار عيسى على التنازل ،و المفيد ذكره هنا أنه كثر الزنادقة في زمن المهدي ،وقد استغل البعض هذه الأوضـــاع برمـــي التهم بالزندقة للتخلص من منافسيهم،وهذا الأسلوب قد استخدم مع عيســـى بـــن موسى،فقد هدده المهدي ((.. إن لم يتنازل عن ولاية العهد أن يستحل منه مايستحل من أهل المعاصي))[1].وبالطبع إن مثل هذه التهمة كافية لإجبار ه على التنازل عن ولايـــة العهـــد ، وهذا ما حدث بالفعل، فقد آثر عيسى العافية مرغماً .. ولقد توفي في خلافة المهدي سنة ١٦٧ فلم يشهد خلافة الهادي من بعده[2].

جذور المشكلة بين موسى وهارون :

كمـــا ذكرنا آنفاً لقد قام الخليفة المهدي بعقد البيعة لابنه موسى ولقبه الهادي بعد أن أجبر عيسى بن موسى على التخلي عن ولاية العهد ، وقام باتخاذ خطوات تمهيدية من أجـــل الدعايـــة لولديه فابتدأ بموسى الذي ناب عن الخليفة في إحدى المرات أثناء زيارته الحجـــاز ســـنة ١٦٠هـــ على الرغم من حداثة سنه[3] . وعينه أميراً على الأقاليم الشرقية للدولـــة العباسية ،وقد ساعده في إدارة شؤون الأقاليم يزيد بن المنصور ، وأبان بن صدقة بسبب صغر سنه التي لا تؤهله لمنصب كهذا[4] .

-دولة بني العباس، ،المرجع المتقدم ،ج١ ،ص٤١٨ .

1-ابن الأثير ،المصدر المتقدم،ج٥،ص٢٣٢.- ابن الجوزي ،المصدر المتقدم،ج٨،ص٢٣٠ .

2 - الطبري، ،المصدر المتقدم ج٥ ،ص١٦٧٨ .

3- الطبري،المصدر المتقدم ، ج٥،ص١٦٦٦ .

- ابن كثير،المصدر المتقدم،ج١٠،ص١٣٢. ابن الأثير،المصدرالمتقدم ، ج٥ ،ص٢٠٤ .

4- الطبري ،المصدر المتقدم، ج٥، ص١٦٦٩ .

- ابن كثير ،المصدر المتقدم،ج١٠،ص١٤٧.

وقـــام بتعيين ابنه الآخر من الخيزران هارون ،ولقبه الرشيد ولياً ثانياً للعهد.والمفيد ذكره هنا أنه في هذه الحقبة بدأ يظهر دور النساء في الحياة السياسية ،وبشكل خاص في مســـألة تقريـــر ولي العهد، ولاشك أن تفضيل أولاد الخيزران يدل بوضوح على نفوذها القوي على الخليفة[1] ، والظاهر أنه كان في ذهن المهدي تعيين هارون بعد موسى منذ أن بـــدأ محاولته الأولى لخلع عيسى بن موسى ،ولم يكن السبب في تأخير إعلان البيعة سوى صغر سنه .

فقـــام تمهيداً لهذا الأمر . فعينه سنة ١٦٣ أميراً للجهاد ضد البيزنطيين . وبعد عودته عينه أميراً على الأقاليم الغربية في الدولة ليساعده في ذلك يحيى بن خالد البرمكي[2] .

وفي سنة ١٦٥هـــ قاد هارون حملة جديدة ضد الروم ، وكان في العقد الثاني من عمره ، واستطاع أن يحقق انتصاراً كبيراً ، وبذلك زادت شهرة هارون ،وارتفعت مترلته[3] واســـتقبل استقبالاً حافلاً بعد عودته ، وختمت هذه الاحتفالات بإعلان المهدي هارون ولـــياً ثانـــيًا للعهد سنة ١٦٦هـــ[4] . وبالطبع كان لكل أخ حزبه وشيعته ، وقد كان في خدمة موسى الهادي أبان بن صدقه ومحمد بن حميل وعلي بن عيسى بن ماهان وعبد الله ابن خازم[5] .بينما كان خالد بن يحيى البرمكي في خدمة الرشيد ، الذي كان مدعوماً من قبل الخيزران[6] .

---

1 – الجهشياري،المصدر المتقدم ،ص١١١ أورد الجهشياري خبراً يدل على نفوذ الخيزران بأنها تشفعت لخالد البرمكي بعد أن غضب عليه المهدي وحبسه وألزمه مالاً .. انظر الجهشياري،ص١١١ .

2 –الطبري ،المصدر المتقدم،ج٥/ص١٦٧ .
– ابن الأثير،المصدر المتقدم،أحداث سنة١٦٣.
– ابن كثير،المصدر المتقدم، ج١٠،أحداث سنة١٦٣.

3 – الطبري ،المصدر المتقدم، ج٥،ص١٦٧٤ .
– ابن الأثير،المصدر المتقدم ،أحداث سنة١٦٥.
– ابن كثير،المصدر المتقدم، ج١٠،أحداث سنة١٦٥.

4 – الطبري ،المصدر المتقدم ، ج٥،ص١٦٧٤ .
ابن الأثير المصدر المتقدم ،أحداث سنة١٦٦.
ابن كثير،المصدر المتقدم، ج١٠،أحداث سنة١٦٦.

5– الطبري ،المصدر المتقدم ، ج٥،ص١٦٧٨.

6 – الطبري،المصدر المتقدم، ج٥،ص١٧٠٤ وما بعد .

ومن المؤكد أن كل حزب كان يحاول أن يظهر قوته ونفوذه من خلال مرشحه ، فالمنافسة كانت قائمة بين الفريقين ، ويبدو أن القوة والنفوذ في هذه الحقبة كان مركزهافي خراسان وما تنجب من قادة ،والذي ساعد هذا الحزب في هذا الدور هو وجود الخيزران[1]، التي كان لها نفوذ قوي في القصر ، حيث استطاع حزبها فيما يبدو الضغط على المهدي وتحقيق النصر في كسبه ، وإقناعه في تقديم هارون على أخيه الهادي فتكاد تجمع المصادر على عزم المهدي على تقديم الرشيد في ولاية العهد[2]، وعندما رفض موسى الهادي هذا الأمر وقام بضرب الرسول ، خرج المهدي بسببه وهو يريده بجرجان فوافته المنية[3] .

ظاهرة موت المهدي المفاجئ :

إن التغير المفاجئ في موقف المهدي من ولي عهده(موسى الهادي)، ثم وفاته في ظروف غريبة تعد من الظواهر التاريخية الغامضة والمعقدة في هذه الحقبة .

فمعظم المصادر ذكرت أن المهدي عزم على تقديم هارون على موسى دون أن تذكر السبب. والأرجح أن الخيزران كان لها دور كبير في ذلك .. وخاصة أنها صاحبة النفوذ القوي في القصر ، وما يؤكد هذا التصور الأحداث اللاحقة والتي ستذكر في حينها .

أما بالنسبة لوفاة المهدي فهناك تفاسير مختلفة مع اختلاف الروايات ، فتذكر بعضها أنها كانت نتيجة لوقوعه أو ارتطامه عن فرسه ، حين كان يلاحق غزالاً يريد اصطياده . بينما

1- الخطيب البغدادي ،المصدر المتقدم، ج١٤،ص٤٥٠ .

2- ابن كثير،المصدر المتقدم، ج١٠، ص١٥٤ وما بعد-شذرات الذهب ،المصدر المتقدم،ج ا، ص٢٦٦.

– الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ٦٧٣-٧٤٨هـ) العبر في خبر من غبر، تحقيق ،صلاح الدين المنجد ،٥ ج،الكويت ،١٩٨٤م، ج١،ص٢٥٤.(وسيرد العبر في خبر من غبر).

3 – انظر ابن تغري بردي (جمال الدين الأتابكي) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،١٦جزء،وزارة الثقافة مصر، د.ت،ج٢، ص٥٨ .

– ابن الجوزي ،المصدر المتقدم،ج٨ ص٣٠٤ .

– تاريخ ابن خلدون،المصدر المتقدم ،ج٢،ص٢٦٨ .

– ابن الأثير، ،المصدر المتقدم،ج٥،ص٢٥٩ .

تشير رواية ثالثة إلى أن وفاته الفجائية صدمت الكثيرين من صحابته الذين لم يتوقعوا ذلك أبداً [1] .

وإذا أخذنا رواية ذكرها صاحب كتاب الإمامة والسياسة بعين التقدير فربما كان لموسى الهادي وأعوانه دور في إنهاء حياة الخليفة [2]. ومع أن المؤرخين لم يصرحوا بهذه المؤامرة ولكن اختلافهم في تعليل موته المفاجئ يكشف الريبة التي لا يصرحون بها . وتخبط الروايات ربما ناجم عن تعمد الرواة الأوائل لهذا الحادث إضاعة آثار المؤامرة . وبما أن أعوان الهادي سيطروا على زمام الأمور بعد وفاة المهدي فمن الطبيعي أن يتمكن أولئك المتآمرين من إخفاء كل علائم الجريمة إن كان هناك جريمة .

الهادي ومشكلة ولاية العهد :

كما رأينا لقد بذر المهدي بذور الشقاق بين الهادي والرشيد ،فقسم الدولة بينهما، فأعطى الأول القسم الشرقي ،والثاني الجناح الغربي ، وبذلك كان قد ارتكب خطأً كبيراً، لأنه ساعد هذين الأميرين في أن يكونا نقطة ارتكاز يحيط بها الفئات والجماعات التي تؤيد هذا الأمير أوذاك ،وعلى الرغم من أن كتلة هارون كانت أقوى ، تتزعمها الخيزران والبرامكة قادة الحزب الخراساني ، فإن كتلة موسى لم تكن ضعيفة حيث ضمت عدداً من الهاشميين وبعض المتنفذين أمثال يزيد الشيباني ،والمتشاور الداهية إبراهيم الحراني الذي طلب إليه الخليفة أن يعود إلى بغداد، لاعتقاده بأنه وراء تصلب الهادي على رأيه [3] . ثم كان موت الخليفة المفاجئ .

---

1 –انظر حول وفاة المهدي : الطبري ،المصدر المتقدم ، ج٥،ص١٦٨٠،١٦٧٩ .

– ابن الأثير ،المصدر المتقدم،ج٥،ص٢٥٩ .

– ابن كثير ،المصدر المتقدم،ج١٠،ص١٥٦ .

2– الإمامة والسياسة،المصدر المتقدم، ج١،ص٢٠٥، ذكر أن الهادي دس على أبيه بعض الجواري فسمته .أنظر: شلبي أحمد،ج٣،ص١٢٩.

– العباسيون الأوائل،المرجع المتقدم،ج٢ ،ص٢٢٢ .

– دولة بني العباس ،المرجع المتقدم، ج١، ص٢٤٠ .

3 – الجهشياري ،المصدر المتقدم،ص١٥٦ .

فأخذ هارون البيعة لأخيه الهادي من الجند عاملاً بنصيحة يحيى البرمكي،ومنح الجند جوائز وعطايا ، وأمر بالعودة إلى بغداد ،وكان هذا شيئاً يحبذونه ، لأنه يعني العودة إلى أهاليهم وعوائلهم .

وقد بقي موت المهدي سراً و لم يعلن على الجند خوفاً من حدوث تمرد أو انشقاق، ودفن الخليفة في الرذ،وأرسل نصير الوصيف ومعه شارات الخلافة إلى الهادي في جرجان . وحـين وصل الجيش إلى بغداد حيث كان المهدي قد ترك الربيع بن يونس نائباً عنه تمرد، وحـدثت بعض الاضرابات بعد سماع الجند بوفاة المهدي.وقد دمرت بعض الدواوين ، ولحـق بعض الضرر بدار الربيع بن يونس نفسه . ثم طلبت الخيزران عقد اجتماع لبحث الوضـع السياسي . وقد حضره الربيع ،وامتنع يحيى البرمكي عن حضوره مدركاً عواقبه الوخيمة لعلمه بشدة غيرة الهادي[1] .

ونـتج عـن هـذا الاجـتماع دفع عطاء سنتين للجند لضمان ولائهم ، وتجنباً لاضـطرابات جديدة ، ولقد شغلت الشخصيات والأحزاب التي كان لها دورٌ يدل على ادراكها للوضع وشعورها بالمسؤولية ،حيث أعلنت الهادي خليفة جديداً، وأرسلت بعوثاً إلى الأقالـيم لأخـذ البيعة للهادي ولولي العهد الرشيد . وبالطبع إن هذا العمل لا يؤكد سـلطة الهادي فقط وهي سلطة شرعية معترف بها، لأن المهدي لم تساعده الظروف على إجـبار الهـادي على التنازل ، بل هذا العمل أكد حق الرشيد باعتباره ولياً للعهد وجدد البيعة له على هذا الأساس .وفي المقابل فإن الهادي حين وصل إلى بغداد سنة ١٦٩ سيطر على زمام الأمور،وعين رجاله وأعوانه في المراكز الحساسة[2] . فمهد للسيطرة مطلقاً على السـلطة الـتي كادت تفلت من يديه بسبب ضعف والده وتأثير الحريم، وخاصة أُمهُ، ومؤامرت رجال البلاط .

ومع أن هارون كان قد تصرف بعقل وحزم حين أخذ البيعة لأخيه الهادي في بغداد فإن الهادي لم ينسَ أن أباه أراد أن يصرف الخلافة إلى أخيه ، ثم إن هارون وشيعته لم يكن في

---

1 - الطبري ،المصدر المتقدم، ج٥،ص١٦٨٧ .

2 - الجهشياري ،المصدر المتقدم، ص١٢٥ .

مقـــدورهم أن يفعلوا شيئاً بعد وفاة المهدي المفاجئة إلا إعلان خلافة أخيه الذي كان ولا يزال ولياً للعهد من الناحية الشرعية وحسب ميثاق ولاية العهد .

لذلك فإن حزب الهادي سارع إلى دفعه إلى خلع أخيه الرشيد وأخذ البيعة لابنه جعفر ، ومن المؤكد أن حزب الهادي وأنصاره أمثال يزيد بن مزيد الشيباني كان لهم دور كـــبير في تشجيع الهادي على خلع أخيه حتى لا يفقدوا المراكز والنفوذ الذي كانوا يشغلونها.[1]

تأزم العلاقة بين الهادي والخيزران :

لم يمـــض وقـــت طـــويل حتى تأزمت العلاقة بين الهادي وأمه الخيزران فقد بقيت لعدة أشهرمن خلافة الهادي تتدخل كعادتها في عهد المهدي في شوؤن السياسة والإدارة ،وفجأة مـــنعها الهادي وأمرها بالتزام بيتها، وعدم عقد الاجتماعات . وهدد القادة والوزراء من حضور دعواتها . و ذكر الطبري أن موسى الهادي حاول التخلص من أمه ((بعث موسى إلى أمـــه الخيـــزران مع جارية بأرزة ، وقال استطبتها فأكلتُ منها ،فكلي منها فقالت خالصة خادمتها : أمسكي حتى تنظري فإني أخاف أن يكون فيها شيء تكرهينه ، فجاؤوا بكلـــب فأكـــل منها فتساقط لحمه ، فأرسل إليها بعد ذلك:كيف رأيت الأرزة،فقالت وجـــدتها طيبة فقال : لم تأكلي، ولو أكلت لكنت قد استرحت منك ،متى أفلح خليفة له أم ؟))[2] .وأخذ كل واحد منهما يتربص بالآخر ،ينتظر الفرصة المواتية للخلاص منه .

---

1 – الطبري ،المصدر المتقدم ج٥،ص١٦٩٥.

وهنا نود أن نشير إلى خبر أوردته بعض المصادر مفاده : أن المهدي رأى في منامه (كأني وقعت إلى موسى قضيباً وإلى هارون قضيباً فأورق من قضيب موسى أعلاه وأورق من قضيب الرشيد من أوله إلى أخره) فعربت لهما أن أيام موسى تقل أيام هارون كثيرة وحسنة . انظر ابن الأثير ،ج٥،ص٢٧٠،وربما هذه الرواية ساعدت في توتر العلاقات بين الأخوين ..

2 – الطبري ،المصدر المتقدم،ج٥،ص١٦٩٤-١٦٩٥ .

انظر : – أبو الفرج الأصفهاني أخبار النساء في كتاب الأغاني ،بيروت ط٢،١٩٩٣،ص١١٢-١١٣ .

– الأربلي : الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، صححه السيد جاسم مكي،بغداد د.ت،ص١١٤ .

– ابن عمراني : الانباء في تاريخ الخلفاء ، ايران ١٣٦٣هـ،ص٣٥.

– علي ابراهيم حسن : نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب ،مصر،د.ت،ص٨٠ .

وإذا صح ما جاء في الحكاية ، فإن إرسال الأرزة من قبل موسى الهادي أمر لا يستسيغه العقل ولا يقبله المنطق ، إذ كيف يتهم خليفة ، من أترف خلفاء المسلمين ، بإرسال صحن من الأرزة ، يهديه إلى أمه كما يتهادى الفقراء، مع العلم بأن النفرة بين الاثنين بلغت اشدها، منذ أن خرجت الخيزران من عنده وحلفت بأن لا تكلمه أبدا، و لم يكلمها هوحتى مات ؟

ولو تصورنا أن هذه الحادثة جرت قبل حدوث النفرة والبغضاء بينهما، لكان موسى الهادي في غنى عن قتل أمه بهذا الأسلوب المكشوف في وضح النهار،وباستطاعته أن يكلف أحد القائمين على خدمتها بذلك ، فلا تتكشف الجريمة ، ولا يكون للاغتيال صدى استياء بين الناس .. ثم إن تلك الالتفاته السريعة من قبل الجارية خالصة إلى وجود السم ، ومنعها الخيزران من الأكل ، يقربنا من الاعتقاد بأن الأرزة المسمومة كانت مرسلة من جهة- إن أرسلت – يهمها فقط أن تعتقد الخيزران بأن ابنها موسى الهادي يريد قتلها فدبرت ،تلك المسرحية تدبيرا بالاتفاق مع الجارية المذكورة . ومن الواضح أن كثرة الرقباء والعيون من الطرفين جعلت الصراع مكشوفاً، فصار كل جانب منهما يعلم سر الجانب الآخر ونواياه إلا ما كان يحرص على إخفائه . وكانت الخيزران كلما توترت الأزمة واتسع شقها، خافت على ابنها هارون الرشيد ،وحنت عليه من بطش موسى الهادي، حتى عيل صبرها بين رغبة الخليفة ومنع يحيى الرشيد تلبية طلبه .

عزم الهادي على خلع أخيه الرشيد ؟

ذكرت المصادر أن الهادي عزم على خلع أخيه الرشيد بعد وقت ليس بالكثير ، وكما هو متوقع فإن أنصاره الذين كانوا يخشون على فقدان نفوذهم إذا وصل الرشيد إلى الخلافة،قاموا بتحريضه على العمل وتحسينه أمثال يزيد بن مزيد وعبد الله بن مالك وعلي بن عيسى وغيرهم .. [1] . وحُرِمَ هارون من امتيازاته كولي للعهد واستعملت ضده وسائل مختلفة من الضغوط والإهانات . وحاول الناس تجنبه خوفاً من غضب الهادي .

1 - الطبري ،المصدر المتقدم، ج٥،ص١٦٩٥ وما بعد .

ما هو موقف الرشيد وشيعته من الهادي ؟

مــع أن الهـــادي كان في منصب الخلافة والمفروض أنه في موقع الأقوى فلم يكن الرشـــيد وشـــيعته بالموقـــع الأضعف ، فقد كان إلى جانب الرشيد أمه الخيزران، ويحيى البرمكـــي ، وربما هذا كان كافياً،لأن الخيزران كانت تسيطر على القصر وتعلم خفاياه، وقد تعاون معها يحيى البرمكي . ولعل هذا يفسر خشية الهادي منها، ومحاولة قتلها .

ومن الواضح أن الهادي ارتكب خطأ كبيراً ، عندما أبقى يحيى البرمكي في معية الرشيد(لم يكن الصراع سياسياً وحسب ،بل تحول إلى صراع فكري أيضاً)[1] ،لأن الهادي حين أراد أن يعزل الرشيد عن ولاية العهد ، ويعين ابنه جعفراً أظهر الرشيد رغبة في التنازل، ولكن يحيى البرمكي منعه من ذلك، مقوياً عزمه ، باعثاً الأمل في طموحه القليل [2] . وقد حاول الهـــادي أن يســـتغل نفوذ يحيى البرمكي ،على هارون فطلب إليه إقناع هارون بالتنازل ، واقترح على الهادي أن يترك المسألة للوقت،وأشار إلى أنجعفر لا يزال صغير السن بعد ،ولا يستطيع القيام بأعباء السلطة في حالة وفاة الهادي ، وأشار على الخليفة أن يعينه ولياً للعهد بعـــد الرشيد إذا أصر . ونبَّه الخليفة إلى الأمراء الهاشميين الطموحين الذين يترقبون تصدع الفـــرع العباسي الحاكم ،لينتهزوا الفرصة ،ويثبوا على الخلافة ، ووعده بعد ذلك أنه سيأخذ البيعة لجعفر بعد بلوغه وأنه حينذاك سيقنع هارون بالتنازل عن حقه .[3]

إلا أن اقتناع الخليفة لم يطل حيث عاد إلى الضغط على هارون بالتنازل عن حقه،ولذلك تـــرك هـــارون بغداد بحجة العبيد وسافر إلى قصر مقاتل في الجزيرة . ولكنه استدعي إلى بغداد وسجن مع مربية يحيى بن خالد البرمكي .

---

1 – الدوري:الجذور التاريخية للشعوبية،ص٢٢-٢٣.

– الليثي:الزندقة والشعوبية،القاهرة،ص٨ومابعد.

2 – انظر الطبري،المصدر المتقدم ، ج ٥،ص ١٦٩٥، ذكرأنهارون قد طابت نفسه بالخلع وقال :أليس يترك لي الهنيء والمريء،في الرقة ،فهما يسعاني وأعيش مع ابنة عمي .

3 – ابن الأثير ،المصدر المتقدم،ج٥،ص٢٧١-٢٧٠ .

انظر – الطبري،المصدر المتقدم ،ج٥،ص١٦٩٥ ذكر أن يحيى البرمكي استطاع أن يكسب إلى جانبه ابراهيم الحراني وعن طريقه عين كاتبه اسماعيل بن صبيح في الديوان وكان الأخير يطلعهم شيئاً فشيئاً على نوايا أنصار الهادي وخططهم .

ويـــبدو أن الهادي كان عازماً على قتل الفضل وأخيه الرشيد ، لكن المنية وافته قبل تحقيق مبتغاه [1] .

موت الهادي المفاجئ :

عـــند هذه الحقبة يصبح الموقف غامضاً، وتختلف الروايات في تصويره . فقد توفي موسى الهـــادي بعيســـاباذ[2] سنة ١٧٠هــ/٧٨٨م ، واختلف في السبب الذي كان به وفاته ، فقـــال بعضهم:كانت وفاته من قرحة كانت في جوفه ، وقال آخرون : كانت وفاته من قبل جَوار لأمه الخيزران كانت أمرقمن بقتله لأسباب قد ذكرناها آنفاً .

وتكاد تجمع المصادر على أن الخيزران كان لها دور في وفاة ابنها موسى الهادي . فالهـــادي لم يكـــن يشكو من داء أو عله ، ومرضه المفاجئ على هذا الأرجح وراءه يد فاعلـــة،حـــيث لايستبعد أن تكون الخيزران قد أراد ت التخلص منه ،وذكرت المصادر أن الخيزران خافت على ولدها هارون فدست بعض الجواري، فجلسن على وجهه فمات[3] .

---

1 – الطبري ،المصدر المتقدم،ج٥،ص١٧٠٤ .

حول وفاة الهادي انظر : اليعقوبي،المصدر المتقدم ،ج٢،ص٤٠٥-٤٠٦ .

– سمط النجوم العوالي ، المصدر المتقدم،ج٣، ص٣٩٩،٣٩٨ .

الغبر في خبر من غبر،المصدر المتقدم ، ج١، ص٢٥٨ .

2– عيساباذ : محلة كانت شرقي بغداد وقد بنى بها المهدي قصره الذي سماه السلام وقد خربت .

3– الأخبار الطوال،المصدر المتقدم،ص٣٨٦.

– ابن الأثير،المصدر المتقدم،ج٥،ص٢٧٢-٢٧١ .

– تاريخ ابن خلدون ،المصدر المتقدم،ج٣،ص٢٧٢-٢٧١.

– سمط النجوم العوالي ،المصدر المتقدم ، ج٣،ص٣٩٨/٣٩٩ .

– الغبر في خبر من غبر،المصدر المتقدم ، ج١،ص٢٥٨ .

– ابن الخطيب العمري:الروضة الفيحاء في تاريخ النساء،ط١،بيروت،٢٠٠٠،ص٣١٨.

– السيوطي ،المصدر المتقدم ،ص٢٦٥.-عبد المنعم ماجد:العصر العباسي الأول،القاهرة،ط٣،١٩٨٤،ص١٨٧.

– الخضري بك(محمد):الدولة العباسية ،ط٢بيروت٢٠٠٠،ص٨٨.

– مصطفى(شاكر):في التاريخ العباسي دمشق ١٨٦٥م ،ج١،ص١٦٥.

– حسن ابراهيم حسن، المرجع المتقدم ،ص٤٣.

– نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب، المرجع المتقدم ،ص٨٠.

– بروكلمان (كارل):تاريخ الشعوب الإسلامية ،ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين،ط٥ بيروت،١٩٦٨،ص١٨٥.

وربمـــا هـــذه الرواية أكثر إقناعاً ، حيث أن الخيزران لم تكن لترضى بهذا الوضع ، الذي ســـلب منها النفوذ والقوة والذي سوف يسلبها ولدها الرشيد ومرشحها للخلافة والتي كانـــت تأمـــل في أن يكون هو الخليفة قبل أخيه ، ولكن مشروعها أخفق بوفاة المهدي، فســـارعت لتحقيق الفرصة الأخيرة لكسب السلطة والنفوذ في قتل ولدها .وما يؤكد هذا القـــول أنهـــا أرسلت في طلب الفضل بن يحيى الذي كان في السجن (والذي أراد حزب الهـــادي والذين اجتمعوا على مبايعة ابنه جعفر ،على قتله أي يحيى البرمكي) ،خشية على أنفســـهم لو صار الأمر للرشيد[1] .و ذكر الطبري:(...أنه لما مات موسى ،جاءت خادمة الخيـــزران خالصة ،فقالت لها:مافعل الناس،قالت ياسيدتي:مات موسى ودفنوه ،قالت إن مات موسى فقد بقي هارون ...وأمرت بالرحيل إلى بغداد) .[2]

لاشك أن موت الخليفة الهادي كان ظاهرة مهمة في التاريخ العباسي ، ليس فقط لما تحمله من المعاني حول ولاية العهد ،ولكنها كذلك تحمل في طياتها بذور تدهور الأسرة العباسية . فقد وقع الهادي ضحية مؤامرات البلاط ، وتدخل الحريم في السياسة، والصراع الخفي على السلطة بين التكتلات السياسية المختلفة . لقد كان الهادي مصمماً أن يحكم بحزم وقوة ،دون أن يسمح لأيةَ قوى بالتأثير عليه ،ولكنه لم يستطع التغلب على الخيزران وحزبها .

---

1 - الطبري ،المصدر المتقدم، جـــ ٥ ، ص ١٦٩٧ .

- انظر اليعقوبي ،المصدر المتقدم، جـــ ٢ ، ص ٤٠٥ .

2 - الطبري ،المصدر المتقدم، جـــ ٥ ، ص ١٦٩٧ .

الفصل الثالث :

- موقف الرشيد من الذين ساهموا في وصوله إلى الخلافة .
- أسباب مبايعة الرشيد بولاية العهد لكل من الأمين والمأمون .
- كتابة العهد وتعليقه في الكعبة .
- غرض الرشيد من كتابة العهد .
- تدبير الأخويين بعضهما لبعض أوصل إلى درجة الحرب الأخوية .
- الطور الدبلوماسي السلمي .
- طور النزاع المسلح .
- ملاحظات حول الحرب الأخوية .

موقف الرشيد من الذين ساهموا في وصوله إلى الخلافة

مـــات الخليفة موسى الهادي كما ذكرنا في الفصل السالف،وكان لابد أن يقوم مقامه خليفة.**فمن هو الخليفة الجديد** ؟ أهو جعفر بن الهادي ، الذي بايع له بولاية العهد عصـــبة أبيه الذين تجرؤوا على الرشيد ،وصرحوا بذلك في وجهه ؟((فإنه ركب يوماً هو وجعفـــر هـــذا ركوبتين ، ومرّا في طريق من طرق عيساباذ حتى انتهى بهما الطريق إلى قنطرة، لا يمران عليها إلا واحدا بعد واحد؟- أي متتاليين-همَّ رجل يقال ((أبو عصمة)) وأخذ بلجام دابة هارون ، وزجره : وقال له :مكانك حتى يجوز ولي العهد ، جعفر بن الهادي، فقال هارون السمع والطاعة للأمير ووقف حتى جاز جعفر))[1] .

فهل يبق هؤلاء الناس على ولائهم لجعفر بعد قتل أبيه ؟

إنهـــم لم يكونوا كذلك ،وظهر الضعف الخلقي المذري الذي لا يختص به عصر دون عصر ، فإن أحد هؤلاء المتحمسين له في عهد أبيه الذين كانوا يصفقون له ويهتفون باسمـــه وليا للعهد- هو الذي هجم في الليلة التي مات فيها الهادي على دار جعفر وأخذ جعفراً من فراشه وقال له : ((والله لأضربن عنقك أو تخلعها ، حتى إذا أصبح الصباح : وذهـــب الناس إلى دار جعفر ،وجدوا الأبواب مغلقة ،ورأوا جعفراً يطل عليهم من أعلى الدار وينادي :يا معشر المسلمين ، من كانت لي في عنقه بيعة فقد أحللته منها : والخلافة لعمى هارون ،ولاحق لي فيها))[2] .

وهكذا خلع عنه الثوب من ألبسه إياه،ونزع عنه القلادة من طوقه بها ، ولم يبق حوله واحدا ممن كانوا حوله زمن أبيه . أما يحيى بن خالد فقد كان يقف وحده في وجه الهادي ينصح له ألا ينقل ولاية العهد من هارون أخيه إلى جعفر ابنه ،مع أن هارون نفسه

---

[1]-الطبري ، المصدر المتقدم ،ج٥،ص١٧٠٥.
-ابن الأثير، المصدر المتقدم،ج٥،ص٢٧٨.
-ابن كثير، المصدر المتقدم،ج١٠،ص١٦٠.

[2]- الطبري ، المصدر المتقدم،ج٥،ص١٧٠٥.
-ابن الأثير، المصدر المتقدم،ج٥،ص٢٧٨.
-ابن كثير، المصدر المتقدم ،ج١٠،ص١٦٠.

كـــان بــــرم بــــه وبرم بالخلافة،وتمنى أن يخرج منها،كما تمنت ذلك أمه،لولا موقف يحيى وصلابته في الحق ،وافق صاحبه أو لم يوافق.

أنفض الناس إذن من حول جعفر،حتى المتحرجون منهم والمتأثمون الذين أقسموا الأيمـــان المغلظـــة ألا يخلعوا هذه البيعة من أعناقهم ، وكل ما فعله هؤلاء أنهم شاوروا الفقهـــاء في إيمـــانهم ،فأفتاهم الفقهاء أنهم خارجون منها إلا المشي إلى بيت الله فليس فيه حيلة .

وأما يحيى فإنه لم يكد يعلم بموت الهادي حتى ذهب إلى هارون مسرعاً،فوجده نائماً في لحاف،فأيقظه وقال له : قم يا أمير المؤمنين،فقال له الرشيد : كم تروعني إعجابا منك بخلافتي،وأنت تعلم حالي عند هذا الرجل – يعني الهادي – فإن بلغه هذا فما تكون حالي؟فقـــال له يحيى:هذا الحراني وزير موسى وهذا خاتمه . فلما سمع الرشيد هذا قعد في فراشه ونظر فيما حوله فرأى يحيى جذلان فرحاً، ورأى الحراني في يده الخاتم- فَصدَّق أنه سيصــــبح خلـــيفة المسلمين [1]، فقال ليحيى : أشر على ،فأشار عليه يحيى بما رآه، وأصبح خليفة بفضل رجل أخلص له في الشدة،وعرض حياته للهلاك مرات.ومن المرجح أن يحيى هـــذا فعـــل ما فعل ليس من أجل شخص الرشيد وحسب بل لتحقيق أهدافه الرامية إلى الســـيطرة على السلطة والنفوذ من خلال حكم هارون ،الذي كان توجب عليه أول ما يعمل ،أن يعرف ليحيى فضله وأن يضعه في المكان الذي ينبغي أن يكون فيه من الخلافة ، ويتناسب مع إخلاصه وتضحيته وكفايته،لذلك لم يكن عجباً منه أن يقلد يحيى الوزارة ، وأن يقـــول له:قد قلدتك الرعية ،وأخرجته من عنقي إليك ،فاحكم في ذلك بما ترى من الصـــواب واستعمل من رأيت ،واعزل من رأيت ،واقض الأمور على ما ترى .ثم دفع إليه هارون الخاتم،فصارت له ((وزارتان : وزارة الخاتم ،ووزارة التدبير))[2]..

---

[1]- الطبري، المصدر المتقدم،ج٥،ص١٧٠٥.

أنظر:-ابن الأثير ، المصدر المتقدم،ج٥،ص٢٧٧.

-ابن كثير ، المصدر المتقدم،ج١٠،ص١٦٠.

[2]- الطبري ، المصدر المتقدم ،ج٥،ص١٧٠٥.

-ابن الأثير، المصدر المتقدم ، ج٥،ص٢٧٨.

- سمط النجوم العوالي ، المصدر المتقدم،ج٣،ص٤٠٣.

و بالطبع كان على هارون أيضاً أن يعرف لأمه الخيزران فضلها في توليه الخلافة،وفي استخلاصه من يد الهادي وقسوته ،فخولها حق النظر في الأمور كلها،إلا أن مدتها لم تطل ،فقد ماتت سنة١٧٧هـ بعد أن مكنت ليحيى. فحزن الرشيد عليها حزنا شديدا،وأبدى جزعه و لم يستره ،((..فقد رآه الناس وهو يلبس جبة ،ويشد وسطه بطليسان خز أزرق ،ويسير في جنازتها حافياً يعدو في الطين متعلقاً بقائمة نعشها ..))[1].

إذاً لقد استطاع يحيى بن خالد البر مكي تحقيق مشروعه في التخلص من موسى الهادي مستعينا بالخيزران التي كانت فيما يبدو لها نفوذ كبير في القصر، ومن خلال هذا النفوذ سيطرت وأعوانها على السلطة ،وقد كانت تؤيد خالد البر مكي وتستشيره في أمورها،وقد كانت عازمة على قتل كل من وقف ضد الرشيد ،لكن يحيى منعها من ذلك ونصحها بالتخلص منهم بطريقة أخرى ،وذلك بإرسالهم إلى الجهاد ،فعدلت عن رأيها .

وتعاظمت سلطة يحيى ونفوذه زمن الرشيد حتى أصبح يسيطر على مقاليد الأمور كلها في الدولة ،بيد أن الأمور تغيرت قليلا بعد وفاة الخيزران،حيث سلم الرشيد خاتم الوزارة إلى الفضل بن الربيع ((كان الرشيد يحب ابن الربيع ويحب أن يوليه عملا من الأعمال الكبيرة في الدولة لكفايته وقدرته ،ولكن الخيزران كانت لا تحب ذلك ،ولا تريد أن يكون الأمر والنهي إلا لها ولمن يطيعها،وينفذ رغبتها،مثل يحيى بن خالد،لهذا كانت تعارض في أن يتولى ابن الربيع عملا أيا كان ،وكان الخليفة يسكت على مضض وحسرة حتى إذا ماتت دعى الرشيد ابن الربيع ،وقال له:وحق المهدي ،إني لأهم لك بشيء من التولية وغيرها ،فتمنعني أمي ،فأطيع أمرها ،فخذ الخاتم من يحيى)) . ومنذ ذلك الوقت والوقائع أخذت تتغير ،فقد ظهر منافس ليحيى البر مكي وكان عليه أخذ كافة الاحتياطات من أجل المحافظة على نفوذه ،وخاصة أن هذا المنافس تدعمه زوجة الرشيد زبيدة ومن وراءها الحزب الهاشمي الذي لم يكن يستهان به في تلك المدة .

-السيوطي، المصدر المتقدم،ج١،ص٢٩٤.

[1]- الطبري ، المصدر المتقدم،ج٥،ص١٧٠٧.

-ابن الجوزي ، المصدر المتقدم،ج٨،ص٣٤٨.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، المصدر المتقدم ،ج٢،ص٧٢.

-البغدادي، المصدر المتقدم ،ج٥،ص٢٩١.

وكان البلاط العباسي بدأ يشهد مولد حزبين واضحين متنافسين ،هما الحزب العربي وتتـــزعمه زوجة الرشيد والحزب الخراساني يتزعمه البرامكة .وقد أرادت الكتلة الهاشمية وعلى رأسها زبيدة ،أن تسجل نصراً سياسياً تعده من حقها ضد الكتلة الأخرى،بإعلان ولاية العهد لمحمد الأمين(الهاشمي الأب والأم).

و ذكرت المصادر أن خال الأمين عيسى بن جعفر بن المنصور طلب من الفضل بن يحيى أن يعلـــن محمـــد الأمـــين ولي العهد أثناء زيارته لخرا سان ،فقام الفضل هذا بتوزيع الهدايا وإعلان محمداً وليا للعهد[1]،ومما لاشك فيه أن سعي عيسى لتحقيق ذلك إنما تم بتدبير أخته زبيدة وأنه كان يتكلم باسمها، زد على ذلك أن الرغبة في مبايعة الأمين بولاية العهد كان يتفق وهوى بني هاشم الذين كانوا يؤثرون محمد بن زبيدة العربية على المأمون ابن مراجل الفارسية .

واســـتطاع عيسى بفضل حديثه مع الفضل أن يكسب تأييد البرامكة لقضية ولاية الأمـــين للعهـــد ولا ينبغـــي أن ننسى أن البرامكة كانوا يحرصون على إرضاء زبيدة [2]، وكســـبها إلى جانـــبهم خوفاً من أن يدفعها موقف مضاد إلى جانب عدوهم الفضل بن الربيع الذي يقوى بها.

وتم لعيسى ما أراد فعمل البرامكة على أخذ البيعة للأمين ،وهكذا عقد الرشيد ولاية العهد لابنه محمد بمدينة السلام ولقبه بالأمين [3]،وكان عمره يومئذ خمس سنوات ،ثم أخذله البيعة من القواد والجند سنة ١٧٥ هـ/٧٨١م ،وضم إليه العراق والشام.

---

[1]- الطبري ، المصدر المتقدم ،ج٥،ص ١٧٠٨.

[2]-حول زبيدة أنظر أخبار النساء في الأغاني ، المصدر المتقدم،ص٢٤.

- الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، المصدر المتقدم ،ص٣٣٩.

- نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب، المرجع المتقدم ،ص٨٢ وما بعد .

- كحالة (عمر):أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام،مؤسة الرسالة ،د.ت ،ج٢،ص١٧ .

- جواد (مصطفى):سيدات في البلاط العباسي دار الفكر ،بيروت،د.ت،ص٤٥.

[3]- الطبري ، المصدر المتقدم،ج٥،ص ١٧٠٨.

- اليعقوبي ، المصدر المتقدم،ج٢،ص٤٠٨.

- تاريخ ابن خلدون ، المصدر المتقدم ،ج٣،ص٢٧٤.

-ابن الجوزي ، المصدر المتقدم ،ج٩،ص١٠.

ومـــع أن المأمون كان هو الأكبر والمفروض أن ولاية العهد له أولاً إلا أن ذلك لم يكـــن يرضي زبيدة وحزبها الهاشمي ، وتشير موافقة الرشيد في عقد البيعة للأمين أولاً على مدى تأثير زبيدة عليه .

وكان الأمين في حجر الفضل بن يحيى أما المأمون كان في حجر محمد بن خالد بن برمك فـــنقله الرشيد إلى جعفر البر مكي الذي أشار عليه بأن يعهد للمأمون بالبيعة بعد محمد ، فقـــام جعفـــر بالأمر حتى عقد له وشخص به من الرقة إلى بغداد ،وأخذ الإيمان على بني هاشم ووجوه القوم بها وكاتب العمال في جميع النواحي بذلك .

وعلـــى هـــذا النحو بايع الرشيد لعبد الله بولاية العهد بعد محمد وسماه المأمون[1]، وولاه خرا سان وما يتصل بها إلى همذان وتم ذلك في سنة ١٨٢ هـ/٧٨٨م

ولا نشك في أن جعفر كان يرمي من وراء بيعة الرشيد للمأمون بولاية العهد بعد أخيه الأمين إلى خطة بعيدة المدى هدفها إثارة التراع بين الأخوين أو بمعنى أصح إضرام نار الفتنة بين الحزب العربي والحزب الخراساني الأمر الذي أدى إلى تمزيق الوحدة السياسية للدولة ،وظهور الفرس على حساب الخلافة .و ذكر الجهشياري ((..أن جعفر ابن يحيى طَالبَ محمد لما حلف المأمون في البيت الحرام أن يقول :خذلني الله إن خذلته))[2] فقال ذلك ثلاث مرات ،وهكذا عقد الرشيد للأمين والمأمون والعهد لاثنين من الأمراء بالنسبة للدولة العباسية ،كان أشد خطراً، لأنه كان يؤذن بانفصال وحدة العنصرين العربي والفارسي.

-الجومرد (عبد الجبار):هارون الرشيد ،بير وت ،١٩٩٩،ص١٣٦، وما بعد .

[1]- اليعقوبي، المصدر المتقدم ،ج٢،ص٤١٥. الطبري ، المصدر المتقدم،ج٥،ص١٧٢١.

[2]- الجهشياري، المصدر المتقدم ،ص١٧٥.

- أحمد شلبي ، المرجع المتقدم،ج٣،ص١٦٣.
- فيليب حتي ،أدوارد جرجي ،جبرائيل جبور:تاريخ العرب ،بيروت ١٩٩٠،ص٣٨٥ وما بعد .

أسباب مبايعة الرشيد بولاية العهد لكل من الأمين والمأمون :

اختلف المؤرخون في إيجاد السبب الذي دفع بالرشيد الى عقد ولاية عهد المسلمين للأمـــين قبل المأمون ،ويحاول بعضهم تعليل ذلك بأن الأمين عربي الأب والأم وأن الرشيد بعد حادثة البرامكة كان أميل للعنصر العربي .

وذكـــر الطـــبري بأن سبب البيعة للأمين :((..وكانت جماعة من بني العباس قد مـــدوا أعناقهم إلى الخلافة بعد الرشيد لأنه لم يكن له ولي عهد ،فلما بايع له أنكروا بيعته لصغر سنه .))[1].

ولا نـــدري الســـبب الحقيقي الذي دفع الرشيد إلى المبايعة للمأمون بعد الأمين على الرغم من إدراكه لما قد يؤدي إليه ذلك .

وذكرت المصادر أن ذلك كان بتأثير جعفربن يحيى البرمكي كما روى الطبري على لســـان الأمين: ((إن رأي الرشيد (في بيعة المأمون) كان غلطة شبهها عليه جعفر بن يحيى بسحره واستماله برقاه))[2].

وقـــد يكون الرشيد مدفوعاً في ذلك برغبته في حصر الخلافة في أولاده وأوردت المصادر العربية سبباً آخر لمبايعة الرشيد للمأمون وهو انحلال أخلاق الأمين ونبل صفات المأمون، وروى المسعودى عن الأصمعي أنه قال: ((ينما أنا أسامر الرشيد ذات ليلة رأيته قد قلق قلقا شديدا، فكان يقعد مرة ويضطجع مرة ، وهو يبكي ثم أنشأيقول :

قلد أمور عباد الله ذا ثقة | موحد الرأي لانكس ولابرم
واترك مقالة أقوام ذوي خطلٍ | لا يفهمون إذا ما معشر فهموا

فلمـــا سَمعت منه ذلك علمت أنه يريد أمراً عظيما .ثم قال لمروان الخادم :عليَّ بيحيى البرمكي فما لبث أن أتاه ،فقال يا أبا الفضل ،إني قد عنيت بتصحيح هذا العهد ،وتصيره إلى مـــن أرضى سيرته ،وأحمد طريقته وأثق بحسن سياسته ،وآمن ضعفه ووهنه ،وهو عبد الله وبـــنو هاشم مائلين إلى محمد بأهوائهم وفي محمد مافية من الانقياد لهواه ،والتصرف مع طبيعته ،والتبذير لما حوته يده،ومشاركة النساء والإماء في رأيه،وعبد الله المرضي الطريقة ،

---

[1]-الطبري،المصدر المتقدم ، ج٥،ص١٧٠٨.

[2]- الطبري ،المصدر المتقدم ، ج٥،ص١٧٦٥.

الأصيل الرأي ،الموثوق به في الأمر العظيم ،فإن مِلت إلى عبد الله أسخطت بني هاشم ،إن أفردت محمد بالأمر لم آمن تخليطه على الرعية فأشر عليَّ في هذا الأمر برأيك مشورة يعم فضلها ونفعها ،فإنك بحمد الله مبارك الرأي ،لطيف النظر .فقال يحيى يا أمير المؤمنين ،إن كل زلة مُستقالة ، وكل رأي يتلافى خلال هذا العهد ،فإن الخطأ فيه غير مأمون ، والزلة فيه لا تستدرك ،وللنظر فيه مجلس غير هذا ،فعلم الرشيد أنه يريد الخلوة فأمرني بالتنحي فقمـــت وقعدت ناحية وكنت أسمع كلامهما ،فما زالا في مناجاة ومناظرة طويلة ،حتى قُضـــي اللـــيل ،وافترقا على عقد الأمر لعبد الله بعد محمد ...))[1] وعلى هذا النحو بايع الرشـــيد لعبد الله بولاية العهد بعد محمد وسماه المأمون وولاه خراسان وما يتصل بها إلى همذان وتم ذلك في سنة ١٨٢ هـ/٧٨٨م.

وتحتاج هذه الرواية إلى إعادة النظر فلا يستبعد أن تكون هذه الرواية موضوعة من قـــبل البرامكة أو غيرهم لتشويه صورة الأمين،وبيان أفضلية المأمون وأنه الأجدر لمنصب الخلافة .

من المستبعد أن تكون أخلاق الأمين السبب في هذه البيعة إذ كان من صغر العمر (١٣ســـنة)بحيث لا يعرف خيره من شره ولا ميوعته من حزمه .وأورد ابن قتيبة خبراً لم أجده عند غيره :أن الرشيد عقد للمأمون ثم للأمين من بعده [2].

ولعـــل الأرجح أن الرشيد قام بهذا الفعل لإرضاء كلا الحزبين العربي والخراساني واللذان كان لهما نفوذ متقارب فيما يبدو ،ولا يمكن أن نتجاهل دور زبيدة زوج الرشيد في تقديم الأمين على المأمون.

---

[1]- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المصدر المتقدم،ج٢،ص٢٧٣،٢٧٢.

أنظر حول موقف يحيى من بيعة المأمون :

- برانق (محمد أحمد):البرامكة في ظلال الخلفاء،دار المعارف ،مصر ،١٩٦٥،ص٣٢ وما بعد .

[2]-وهو تحريف ظاهر .وثمة اتفاق بين المؤرخين على أن الرشيد بايع لعبد الله بعد أخيه محمد الأمين ،أنظر الإمامة والسياسة ،ج١،ص٢٣٣.

ولم يكتفِ الرشيد بعقد البيعة للأمين والمأمون بل عقد لابنه القاسم أيضاً سنة ١٨٩هـ/ ٧٩٥م ،ولقبه المؤتمن ،ثم ولاه الجزيرة والثغور والعواصم ،وكان لا يزال صغيراً في حجر مربيه عبد الملك بن صالح.

وذكر الطبري أن الرشيد عقد للقاسم بتأثير عبد الملك بن صالح العباسي الذي كتب للرشيد :

يا أيها الملك الذي لو كان نجما كان سعدا

اعقد لقاسم بيعة واقدح له في الملك زندا

الله فرد واحدا فاجعل ولاة العهد فردا

((فكان ذلك أول ما حض الرشيد على البيعة للقاسم)) ،كما قال الطبري[1] .

أما الدوافع الحقيقة فقد تكون ناجمة عن ظهور حزب من بني العباس لا يميل لا إلى الأمين ولا إلى المأمون ويخشى عواقب الصراع بينهما .

ولا يستبعد أن يكون عبد الملك بن صالح قد أراد من وراء عقد البيعة للقاسم التمكين لنفسه لاسيما إذا علمنا كما روى الطبري ((.. أنه كان يطلب الخلافة ويطمع فيها ،وأن الرشيد غضب عليه وحبسه ..))[2] .

وهكذا قسم الرشيد الدولة بين أبنائه الثلاثة ،وهيأ بذلك عوامل المنافسة والحسد بينهم ،وألقى بذور الفتنة التي قامت بين الأمين والمأمون،وأضعفت الحزب العباسي .

وقد وصف الطبري شعور الناس على اختلافهم في تولية الرشيد عهده فقال: ((.. ولما قسم الرشيد دولته بين أولاده الثلاثة ،قال بعض العامة : قد أحكم أمر الملك ، وقال بعضهم ألقي بأسهم ، بينهم وعاقبة ما صنع في ذلك مخوفة على الرعية))[3] .

---

[1] --الطبري ، المصدر المتقدم،ج٥،ص١٧٢٢.

أنظر:- اليعقوبي ، المصدر المتقدم ،ج٢،ص٤٢٥.

-ابن كثير ، المصدر المتقدم،ج١٠،ص١٨٧.

[2]- الطبري ، المصدر المتقدم ،ج٥،ص١٧٣٢.

[3]- الطبري ، المصدر المتقدم،ج٥،ص١٧٢٣.

كتابة العهد وتعليقه في الكعبة :

في عـــام مائة وستة وثمانين للهجرة ، حج هارون الرشيد ، وكتب في مكة ثلاثة عهـــود لأبنائه ، أو بالأحرى ثلاثة عهود بأسماء أبنائه ، وكان الرشيد قبل ذلك قد عهد بولاية العهد بعد الأمين إلى المأمون ثم إلى القاسم بعد المأمون ، حتى إذا حج عام ١٨٦ هـ /٧٩٢م جعـــل كلا من الأمين والمأمون يكتب عهدا على نفسه في قيامه بواجبات عهده وفي قبوله بما اشترط عليه،وعلق هذه العهود في الكعبة بعد أن أشهد عليها القضاة والقواد والعمال ،أحد هذين العقدين بتوقيع محمد الأمين وبلسانه ، والآخر بتوقيع المأمون ، نشَهِد كـــل مـــنهما على نفسه أمام الشهود العدول والقضاة والقواد بوفائهما لما في الكتابين . وأول هـــذين الكتابين ورد في الطبري [1].ونقتطف منه بعض الأقوال ، **قال** : ((بسم الله الـــرحمن الـــرحيم : هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين كتبه محمد بن هارون أمير المؤمـــنين في صـــحة من عقله وجواز من أمره ، طائعاً غير مكره ، إن أمير المؤمنين ولاني العهـــد من بعده وصير البيعة لي في رقاب المسلمين جميعا ، وولى عبد الله بن هارون أمير المؤمـــنين العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين وتسلم طائعا غير مكره ، وولاه خراسان وثغـــورها وكورها وحربها وجندها وخراجها وطرزها وبريدها وبيوت أموالها وصدقاتها وعشـــرها وجمـــيع أعمالها في حياته وبعده ... فإن حَدَثَ بأمير المؤمنين حدث الموت ، وأفضـــت الخلافة إلى محمد ابن أمير المؤمنين فعلى محمد إنفاذ ما أمره به هارون ... ليس لمحمد بن أمير المؤمنين أن يحول عنه (عن أخيه المأمون) قائداً ولا مقوداً ولا رجلاً واحداً ممـــن انضم إليه من أصحابه الذين ضمهم إليه أمير المؤمنين ؟ ولا يحول عبد اللّهعن ولايته الـــتي ولاه إياها هارون من ثغور خرا سان وأعمالها كلها .. ولا يفرق أحدا من أصحابه وقواده عنه ، ولا يولي عليه أحدا . ولا يبعث عليه ولا على أحد من عماله وولاة أموره بـــنداراً (مفتشا) ولاماحا سباً ، ولا عاملاً ، ولا يدخل عليه في صغيرة من أمرهِ ولا كبير ضـــرراً ...فإن أراد محمد بن أمير المؤمنين خلع عبد الله بن أمير المؤمنين عن ولاية العهد

---

[1]- الطبري ، المصدر المتقدم،ج٥،ص ١٧٢٢وما بعد.

أنظر اليعقوبي ، المصدر المتقدم ،ج٢،ص٤١٦ وما بعد.

من بعده ، أو عزل عبد الله بن أمير المؤمنين عن ولاية خرا سان وثغورها وأعمالها ... أو صـــرف أحد من قواده .. أو أن ينتقصه قليلاً أو كثيراً مما جعله له أمير المؤمنين ... فلعبد الله بـــن هـــارون أمير المؤمنين الخلافة بعد أمير المؤمنين ، وهو المقدم على محمد بن أمير المؤمنين ، وهو ولي الأمر من بعد أمير المؤمنين و له الطاعة من جميع قواد أمير المؤمنين ، وأنـــتم في حل من البيعة التي في أعناقكم لمحمد بن أمير المؤمنين هارون إن نقص شيئاً مما جعله له أمير المؤمنين هارون ...)) إلى آخر ما ورد في هذا الكتاب .

ويظهـــر من هذا النص واضحا التشديد على الأمين في القيام بالوفاء للمأمون وذهب إلى درجة جعل فيها الأمين خارجاً على الخلافة بعيداً عنها إن هو انتقص شيئا مما في الكتاب . ولا يستبعد أن يكون هذا الكتاب قد كتب بعد مقتل الأمين لتبرير خروج المأمون عليه ، فـــلا يعقل أن الرشيد طلب من ابنه الأمين كتابة مثل هذا الشرط على نفسه ،وكأنه يقر بإنفصـــال المأمـــون واســـتقلاله في خراسان ،بل يعزز هذه الاستقلالية من خلال تلك الشـــروط المجحفة بحق الأمين ،والملاحظ في كلا الكتابين هو التشديد على حق المأمون في الانفـــراد بخراسان ،وأنه ليس للأمين أي سلطة على أخيه في تلك المنطقة ،والمفيد ذكره هـــنا أن خراسان كانت تمثل الحزب الخراساني القوي ،ولاننسى أن الثورة العباسية قامت مرتكزة على هذا الحزب .

أمـــا الكتاب الآخر،ففيه التشديد أيضا، إلا أنه مبني على قيام الأمين بوفاء عهده. يقول في الكتاب عن لسان عبد الله المأمون : ((.. فشرطت لأمير المؤمنين وجعلت له على نفســـي أن أسمـــع لمحمد وأطيع .. وأنفذ كتبه وأموره ،وأحسن مؤازرته وجهاد عدوه في ناحيتي ، ما وفى لي بما شرط لأمير المؤمنين من أمري .. فإن احتاج محمد بن أمير المؤمنين إلى جند وكتب إلي يأمرني بإشخاصه إليه .. فعليّ أن أنفذ أمره ولا أخالفه .. الخ)) هذا ملخـــص ما كتبه المأمون للأمين . وظاهر الأمر في هذين الكتابين أن الرشيد شدد البيعة لكلا الأخوين على الصورة التي ذكرناها ، وكتب كتاباً بعد ذلك عندما عاد إلى الأنبار . كتـــبه إلى الولاة والعمال يخبرهم بما تمّ . و ذكر فيه أنه فعل هذا ،ليمنع كيد الحاسدين ، وليوقف حقد وسعاية من يحرّك بين الأخوين ، وليحدّ من أثر الشغب الذي قد يثيره بعض الناس .

ما هو غرض الرشيد من كتابة العهد ؟

والسؤال الآن : ما الذي دعى الرشيد إلى عمل هذين الكتابين ، وإلى الوقوف هذا الموقف ؟ إن الحوادث التي جرت قبل ذلك تفسر لنا الأمر .

في عـام ١٧٣ هـ/٧٧٩م كان الرشيد قد اشتمّ من بعض بني العباس رغبتهم في أن تكون الخلافة لهم من بعده ،وكان بنو العباس قد بلغوا في عهد الرشيد عدداً كبيراً ، ولـيس بين أيدينا إحصاءات عنهم في عهد الرشيد. إلا أن المأمون أحصاهم بعد ذلك . فكان عددهم جميعاً ثلاثة وثلاثين ألف شخص بين ذكر وأنثى[1] ، ولو أن عددهم في عصر الرشـيد كـان نصـف هـذا العدد هم كثيرون وذوو بأس ، وأراد الرشيد أن يوقف اجـتماعهم فبحث عن ولي للعهد ، فأقبلوا عليه مع زبيدة يرجونه بأن تكون ولاية العهد للأمـين دون المأمـون . وكـان الأمين في الخامسة من العمر ، ثم تفاقم بعد ذلك أمر الـبرامكة كما نعرف . وأصبحت الدولة في أيديهم وصار كل شيء لهم ، فثارت ثائرة العباسـيين ، إلا أنهـم ما كانوا يستطيعون شيئاً ، فكوّنوا لأنفسهم نوعاً من العصبية ، والـتفوا حول زبيدة امرأة الرشيد،والتفوا حول الأمين فقد وجدوا فيه الصفات المطلوبة، فهو هاشمي من الأب والأم ، وزبيدة ما كانت تحب البرامكة .

شـعر الـبرامكة بهـذا الخطر ، فوسوسوا للرشيد بأن يولي ولاية العهد من بعد الأمين للمأمون ، أخذ الرشيد برأيهم. فولاه ذلك سنة مائة وثلاث وثمانين للهجرة ، وصار كل مـن الحـزبين يجتمع حول ولي العهد ، ويوجهه وجهته ،فالعباسيون ومعهم زبيدة التفوا حول الأمين ، ومعهم الفضل بن الربيع[2] عدوالبرامكة ؟

أما المأمون فحوله جعفر بن يحيى البر مكي ، وحوله البرامكة .ازداد التنافس بين الحزبين وأضـمر الشـر كل منهما لصاحبه ، وشعر بذلك الرشيد ، والحزبان هما أولا : حزب عباسـي ، وثانيا حزب برمكي وكان الرشيد أمام أمرين لتحقيق رغبته:أولهما أن يزيح من الطريق عوامل الفساد بين الأخوين ، وهو لا يستطيع أن يزيح العباسيين ، وامرأته من

---

[1]- الطبري ، المصدر المتقدم ،ج٥،ص١٨٣٣.

- تاريخ الموصل، المصدر المتقدم ،ص٣٣٩.

[2]- ابن عبد ربه :العقد الفريد ، ص١١٥.

حزبهم ، لكنه يستطيع أن يزيح البرامكة وقلبه ممتلئ منهم ولا يجد حزب الأمين في المأمون عدواً .وبإزاحتهم أيضاً يعود الأمر إلى يديه.

فيصـــبح الخلـــيفة الفعلي بعد أن غدا الخليفة الاسمي . وثاني الأمرين آتٍ من أن المأمـــون سيبقى وحيداً أمام أخيه دون حزب يعاضده إذا أزيح البرامكة ،فعلى الرشيد أن يـــوازن بين الأخوين ،ويكون ذلك بإعطاء المأمون قوة يواجه بها الأمين ، وهنا لابد من الإشـــارة إلى أن الرشيد تخلص من قادة الحزب الخراساني وليس من الحزب كله ولهذا فأن القادة الجدد لهذا لحزب (الفضل بن سهل ، والحسن بن سهل)وقفوا إلى جانب المأمون وساهموا بشكل كبير في نصرته.

كـــان الرشيد قد ولى المأمون خرا سان ،ولكن ماذا يستطيع المأمون أن يفعل بخراسان إن استولى أخوه الأمين على الخلافة ؟فكر الرشيد فرأى أن يضم إليه جيشه ،وهو في معظمه جيش خراساني ،ورأى أن يؤكد على الأمين أن هذا الجيش بكامله (قواده وأمواله) للمأمـــون ،ولا يســـتطيع الأمين أن يأخذ منه شيئاً،وبذلك تتساوى الكفتان ولا ترجح إحداهما على الأخرى ،فاللأمين العراق إلى المغرب،وللمأمون خرا سان وجيش خرا سان ،

واحتاط الرشيد بأخذ العهود والمواثيق أن يفي بعضهم لبعض ،ولذلك كان كتابة العهد وتعليقه في الكعبة توثيقاً لذلك العهد .ولكن ما قيمة هذا الاحتياط أمام سلطة الملك وســـلطانه ،ومطامـــع الإنسان التي لا حد لها؟وما قيمة هذه العهود والمواثيق وقد أثبت الـــتاريخ في جل مراحله أنه لا عهود ولا مواثيق إلا عند الضعفاء من الأمم والأفراد ، أما الأقـــوياء وذوي الســـلطان والـــبطش فهـــي عندهم ليست بعهود ولا مواثيق ،إنما هي (قصاصـــات ورق) لا أكثـــر ولا أقـــل ،وقد يفتي بأنها(قصاصات ورق) أولئك الذين أكدوها وشهدوا على صحتها ،وتضامنوا في البر والوفاء لأصحابها!

وقد كان الخلفاء قبل الرشيد يحتاطون لكل بيعة بأخذ العهود والمواثيق .ومع هذا لم ينفع هذا الاحتياط أيام بني أمية ولا أيام بني العباس.

وبعد أن انتهى الرشيد من كتابة العهد .كتب إلى الأمصار بذلك كله وأمر العمال أن يعلنوه للناس ،ويثبتوه في الديوان ، فأخذت البيعة كما قال اليعقوبي ((على الناس كلهم حتى في الأسواق))..أما الكتابان الأصليان فقد أمر بتعليقهما في الكعبة .

والنقد الداخلي لنصوص الكتابين كما أوردها الطبري تكشف أن بعض التعديل والإضافة على الأقل قد دخل عليهما، و أنهما في شكلهما متحيزان للمأمون التحيز الواضح ، ويستبين الزيف الداخل عليهما في عدد من النقاط التي إنما نبتت مشاكلها وظهرت بعد موت الرشيد ومنها :

أ ــ إصرار الكتابين على منح المأمون فقط - دون الأمين -التأكيدات والضمانات بجميع حقوقه في ولاية العهد و في خرا سان وفي الأموال والحاشية.

ب - إصرارهما أيضا على منح المأمون في خرا سان الاستقلال الكامل الذي يقطعها انقطاعاً تاماً عن الدولة، وهذا ما لا يمكن أن يقرره الرشيد .

ج ــ إعطاء العذر الشرعي للمأمون في أخذ الخلافة فوراً إن انتقصه أخوه الأمين قليلاً أو كثيراً مما أعطاه الرشيد.

د ــ التأكيد أكثر من مرة على أن المأمون يفي للأمين ما وفى له أخوه فان انتقصه شيئا فلا وفاء.

هـ-أدخل على الكتابين تحديد ولاية خرا سان والكور التي أضيفت إليها ليكون ذلك تسديداً للمشكلة التي قامت فيما بعد بين الأخوين على سلخ بعض الكور المضافة إلى تلك الولاية .

و-ذُكر في كتاب المأمون عهد ((قر ماسين)) وهذا العهد إنما كان سنة ١٨٩/٨٠٧م.[1]

ي-ذُكرت في كتاب الأمين بيعة القاسم وجعل للمأمون أن ينفذها أو يلغيها بينما لم يذكر من ذلك شيء في كتاب المأمون الذي قال إن للأمين ((إن أراد أن يعين من يشاء من ولده لولاية العهد والخلافة من بعده))! فكأن الفقرة بالقاسم إنما أدخلت لإيجاد العذر الشرعي للمأمون لأنه لم يجعل القاسم خليفة بعده .

وعلى أي حال فقد علق بعض المؤرخين على العهد المثلث وقسمة الدولة بتخطئة الرشيد كابن الأثير .وإذا كان هؤلاء إنما يحكمون بعد أن سجل التاريخ ما جرى من القتال الأخوي فان أراء المعاصرين أنفسهم انقسمت ــ على ما يظهر ــ بشأن خطوة الرشيد هذه،وقد شعر بعضهم بأخطار ذلك يقول الطبري : ((و لما قسم الأرض بين

---

[1]-اليعقوبي ، المصدر المتقدم،ج٢،ص٤٢٥.

أولاده الثلاثة قال بعض العامة : قد أحكم أمر الملك .وقال بعضهم:بل ألقى بأسهم بينهم وعاقبة ما صنع في ذلك مخوفة على الرعية ...))[1]وقال شاعر من شعر وافر :

رأى الملك المهذب شر رأي ... بقسمته الخلافة والعبادا

أراد بها ليقطع عن بنيه ... خلافهم ويبتذلوا الودادا

فقد غرس العداوة غير آل ... وأورث شمل إلفتهم بدادا

فويل للرعية من قليل ... لقد أهدى لها الكرب الشدادا

ستجري من دمائهم بحور ... زواخر لا يرون لها نفادا

والطبري ذكر من نصوص العهد مثلاً قوله : ((ليس لمحمد ابن أمير المؤمنين أن يحول عنه عـــن المأمون قائداً ولا مقوداً ولا رجلاً واحداً ممن ضم إليه من أصحابه الذين ضمهم إليه أمـــير المؤمنين ولايحول عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولايته التي ولاه إياها هارون ... ولا يولي عليها أحداً و لا يبعث عليه و لا على أحد من عماله وولاة أموره بندرا ولا محاسبا ولا عـــاملاً و لا يدخل عليه في صغير من أمره ولا كبير ، ولا يحول بينه وبين العمل ني ذلك كله برأيه وتدبيره ...))[2]ومثل هذه الوثيقة يمكن أن تعد جزءاً من قصة انقسام دار الخلافـــة العباســـية . ولو أنها طبقت بحذافيرها لكانت نواة لقيام دولتين عباسيتين ! وقد لاحظ ذلك المعاصرون وعبر عنه الأمين بقوله : ((لا يجتمع فحلان في أجمة))[3] .

إن الرشيد نفسه قد وضع أول خطوط النضال الأخوي الذي أراق دم الأمين .

وفي ضوء تلك الوقائع يتضح لدينا أن كلا الحزبين الخراساني والعربي كان لهما دور كبير ونفـــوذ واسع في بلاط الرشيد ،وبهذا النفوذ استطاع كلا الطرفين أن يضغط على الرشيد ويحصـــلا على مطالبهما،ولايستبعد أن يكون الحزب الخراساني هو الذي دفع بالرشيد إلى تقســـيم دولـــته بـــين أولاده فجعل للمأمون شرقي البلاد من همذان،وللمؤتمن الثغور والجزيرة ،وللأمين العراق و الحجاز والشام ومصر...و فصل بين سلطاني الأمين والمأمون

---

[1]- الطبري المصدر المتقدم ،ج٥،ص١٧٢٢.

- العباسيون الأوائل ،المرجع المتقدم ،ج٢،ص٢٢٧.

[2]-الطبري ، المصدر المتقدم،ج٥،ص١٧٢٢ وما بعد .

[3]-ابن الأثير ، المصدر المتقدم ،ج٥،ص٣٦٣.

في مناطقهما كل الفصل بشكل يصعب معه ارتباطهما إذ لم يدع لأحدهما مطلقاً من علاقة مع الأخر . وهنا من المؤكد أنهم على علم بأن الأمين سوف يقوم بخلع أخيه المأمون فسعوا إلى ترتيب الأمور بما يخدم مصالحهم ،والتهيؤ للأيام المقبلة والتي تحمل معها رياح الحرب التي أصبحت وقودها جاهزة .

ويبدو أن الرشيد قد فطن لهذا الأمر فحاول حسب رأيه أن يبعد كل ما يفسد بين الأخوين وربما كان هذا أحد أسباب نكبة البرامكة فقد تضمنت نسخته التي كتبها إلى العمال :((ويستخير الله أمير المؤمنين في ذلك ويسأله العزيمة له على ما فيه الخيرة لهما ولجميع الأمة ...وصلاح ذات بينهما وتحصينهما من كيد أعداء النعم ،ورد حسدهم ومكرهم وبغيهم وسعيهم بالفساد بينهما))[1].

لكن ونتيجة لما جرى من صراع بين الأخويين فإن احتياطات الرشيد لم يكن لها نفع ومن ثم فإن الأمين والمأمون كلاهما وجد منذ يفعا حزبين جاهزين لهما :فالهاشميون والعرب سعوا لخلافة الأمين وعلقوا الآمال عليه .وكان لهم تأثيرهم في الدولة حتى اعترف بذلك الرشيد حين ولاه واعترف الفضل بن سهل بذلك حين حذر المأمون منهم وهو ما يزال في بغداد قبل وفاة الرشيد فقال له :((سله أن يشخصك معه (مع الرشيد) فإنه عليل وكان الرشيد قد أمره البقاء في بغداد .وغير مأمون إن يحدث عليه حادث ، أن يثب عليك أخوك بخلعك وأمه زبيدة وأخواله من هاشم . والفرس (وعلى رأسهم الفضل ابن سهل عَدّوا المأمون ابن أختهم . وكان الفضل حين جعل يشد من عزيمته كان يقول له : ((إنك بين أخوالك أصبر وأنا أضمن لك الخلافة))[2].

وقد انقاد الأ خوان لدسائس الحاشية فقاد المعركة السياسية وراء الأمين الفضل بن الربيع . وقادها من خلف المأمون الفضل بن سهل [3]. فحاشية الأمين دفعته لنقض العهد (شهد بذلك اليعقوبي و الجهشياري والطبري في نصوص واضحة) ولكن يظهر أن فكرة النقض كانت قائمة ، من قبل ، في نفس الأمين (ذكروا أنه حلف بالوفاء في الكعبة وهو ينوي الغدر وأنه قال لا يجتمع فحلان في أجمة... وإنه حين بلغه قرب وفاة والده أرسل

---

[1]- الطبري ، المصدر المتقدم،ج٥، ص١٧٢٥.

[2]-الطبري، المصدر المتقدم ،ج٥،ص١٧٦٠.

[3]-اليوزبكي (توفيق سلطان):الوزارة وتطورها في العصر العباسي ،جامعة الموصل ١٩٧٦،ص٦١ وما بعد .

1

كتباً سرية ليرد الجيش إلى بغداد مع أن الرشيد أوصى به للمأمون..)ولم يكن لأحد من حاشيته وزن كبير إذ ذاك ،وهنا لابد من وقفة في مسألة ترك الجيش مع المأمون ،فمن المؤكد أنه بحاجته أو ربما ليكمل المهمة التي توجه إلى خراسان من أجلها ،ودليلنا على ذلك هو ذهاب الرشيد مع جيشه إلى خراسان ، فمن الواضح أن الرشيد ذهب إلى هناك في مهمة عسكرية ،وإلا فلماذا توجه الرشيد إلى خراسان وبصحبته الجيش ؟فهل كان هناك خطر خارجي قادم من بلاد ما وراء النهر؟ وإذا كان كذلك فلماذا أغفلته المصادر حيث لا توجد روايات تثبت أن هناك خطر من وراء النهر ، كان الخطر غالباً يأتي من بيزنطة ،وربما كان الخطر من خراسان نفسها . والمهم في الأمر أن الرشيد بنفسه هو الذي توجه بالجيش إلى خراسان ،ولكن الفضل بن الربيع أعاده إلى بغداد، وبدأت الفتنة بين الأخويين .

وبالمقابل طمع الفضل بن سهل لصاحبه بالخلافة وليس دون ذلك وكثيراً ما شدد من عزيمة المأمون ونصحه بالعناد،وألف حوله الأنصار وأجاب وفود الأمين بدل منه.

تدبير الأخوين بعضهما لبعض أوصل لدرجة الحرب الأخوية:

استند الأمين في عمله إلى أن بغداد العاصمة في يده وأن الكتلة العربية تعمل بجانبه،وإلى أن جيوش الدولة تأتمر بأمره،ولقب الخلافة له،وسلطتها المطلقة تمنحه أن يتصرف كما يشاء .بينما استند المأمون إلى خرا سان و إلى العهد القانوني الذي منحه إياه الرشيد والي جيش خرا ساني فقط .وكان ظاهرا منذ البدء إن زمام الموقف بيد الأمين – ولعل هذا كان سبباً في إهماله أخذ أخيه بالحزم –غير أن المأمون وأصحابه عدلوا الكفة بالعمل المنظم الدقيق وبالدعاية الواسعة .

ومن المناسب أن نسجل هنا أن الأمين ،في محاولة خلع أخيه المأمون لم يأت بجديد في السياسة العباسية . ولكنه اتبع السنة التي استنها المنصور ثم اتبعها الخلفاء الذين توالوا بعده حتى الأمين .

أبو جعفر المنصور هو الذي حول الخلافة لابنه المهدي وطرد عنها ابن أخيه عيسى بن موسى على الرغم وبالتهديد والوعيد ،والمهدي حولها لابنه الهادي وزاد فعهد لأخيه الرشيد معه طارداً عنها عيسى نفسه .ولم يكن سوى يوم أو بعض يوم بين الهادي

1-ابن الأثير ،المصدر المتقدم ،ج٥،ص٣٦٣.

وبين قتل أخيه الرشيد وإعلان البيعة لابنه جعفر لولا أن العمر انقطع به ...والرشيد نفسه أعطى الخلافة لابنه ثم لابنه الثاني ثم للثالث وألقى بالسجن ذلك الذي فكر فيها من أقربائه (عـــبد الملك بن صالح).وسوء حظ أو سوء تدبير الأمين هو الذي جعله يخفق فيما نجح فيه السالفون له.

وبالمقابـــل ويبدو من عدد من القرائن أن المأمون لم يكن بعيداً عن التفكير ومنذ وقت مبكر جداً في الوصول إلى الخلافة وفي انتزاعها من أخيه .

فإنـــه مقابل تفكير هذا الأخ في خلعه عن ولاية العهد ألغى اسمه عن الطراز والنقود وقطع عـــنه البريد منذ١٩٤/٨٠٩م كما تسمى في الوقت نفسه بإمام ليتوازى معه في اللقب بل يركز صاحب كتاب العيون والحدائق أن المأمون ((..تسمى سنة ١٩٥ هـ/٨١٠م أمير المؤمـــنين وانقطع ذكر الأمين من جميع أعمال خرا سان ...))[1] ثم ما كاد جيش المأمون ســـنة ١٩٦ هـ/٨١١ م يسجل نصراً على جيش الأمين حتى زحف المنتصرون إلى بغداد فحاصـــروها . ولم يحاول المأمون –وقد امتد الحصار سنتين – أن يفاوض أخاه أو يقيم صـــلحاً يـــؤكد فيه حقه في ولاية العهد لأن الخلافة كانت قد أضحت مطمعه، و روى الطـــبري على لسان الفضل بن سهل إذ قـال :((..كنا قد وجهنا هر ثمة ،واحتشدنا في السلاح مدداً..فقلت للمأمون لا تبرح أبداً حتى يسلم عليك بالخلافة ،فقد وصيت لك ، ولا نأمن أن يطلب الصلح بين الأخوين..))[2].

وطال الحصار فلم يفكر المأمون في أنه إنما يحارب صاحب البيعة الشرعية وأنه هو نفسه لاحق له في الخلافة مع وجود الأمين .وحين استسلم الأمين لجيش المأمون ما كان لقادة هذا الجيش أن يقتلوه لولا أن تعليمات المأمون إليهم كانت تأمرهم بذلك وذكر البلخي صـــاحب كـــتاب البدء والتاريخ: ((أن طاهر أرسل يستأمره في قتل محمد –فبعث إليه بقميص غير مقور–فعلم أنه يأمره بقتله–..))[3].

[1]- العيون والحدائق ، المصدر المتقدم،ص٣٢٣.

[2]-الطبري، المصدر المتقدم ،ج٥،ص١٧٦٨.

[3]- البلخي :البدء والتاريخ ،بورسعيد ،د.ت،ج٦ ،ص١١٠.

ولعلـــنا نذكر أن قائد جيش الأمين كان يحمل معه عند مسيره إلى خرا سان قيداً من الفضة لتقيد المأمون ،وفي المقابل كان نصيب الأمين في بغداد القتل على يد جنود المأمون، وهكذا فإن المأمون بدلاً من أخذ ولاية العهد أخذ الخلافة نفسها وروح أخيه.

وقد شوهت الدعاية المأمونية سمعة الأمين في عهد ه ثم لدى المؤرخين من بعده ، روى المسعودي :((أن محمداً كان في نهاية الشدة والقوة والبطش والبهاء والجمال ،إلا أنه كان عاجز الرأي ضعيف التدبير ،غير مفكر في أمره)) وحدثنا المسعودي أيضاً عن لهو الأمين وعبثه أثناء حصار بغداد [1].وتناولت المصادر لهو الأمين وعدم اكتراثه بنبأ هزيمة عيسى ومقتله [2] (في الواقع لا يمكن قبول هذا الخبر وأمثاله ،إلا بشيء من التحفظ .فإن خليفة يسمع مثل هذا النبأ العظيم ويعلم أن وراءه الفصل في مصير سلطانه ثم لا يأبه له ، لا يكفي أن يوصف بالإهمال والجهل ،بل هو جدير بما فوق ذلك ،بالسفه والبلاهة ومحال على الرشيد الذي عرف بالحزم ،وجودة الحس ،والتأني في الأمور ،أن يسند هذا السلطان العظيم من بعده لسفيه أبله .

ولا يستبعد أن يكون وراء عدم اكتراثه هو عدم تصديقه للخبر للوهلة الأولى ،وقد كان طيب القلب ،يعفو حتى على الخارجين عليه والمسيئين إليه .وإن موقفه مع حسين بن علي بن ما هان مشهور،[3]وكذلك موقفه مع أسد بن يزيد أحد قادته ،حينما طلب إليه أن يدفع له ولدي المأمون ليكونا أسيرين في يده ،فإن أعطاه المأمون الطاعة فبها ،وإلا عمل فيهما بحكمة وأنفذ فيهما أمره !فقال له الأمين : أنت أعرابي مجنون ،أدعوك إلى ولاء أعنة العرب والعجم ،...وتدعوني إلى قتل ولدي، وسفك دماء أهل بيتي !إن هذا للخرق والتخليط[4]! هذا الموقف النبيل ،دليل على سلامة طويته ،وطهر سجيته ،وقد كان الأمين فصيحاً بليغاً وكيف لا وقد كان تلميذ الأحمر والكسائي وقطرب وحماد من فحول اللغة،

---

[1]- الذهب ومعادن الجوهر، المصدر المتقدم ،ج٣،ص٤٠٣،٤٠٢.

أنظر الطبري ، المصدر المتقدم،ج٥ ،ص١٨١٨ وما بعد.

المنتظم لأبن الجوزي ، المصدر المتقدم،ج٩ ،ص٢٢٤.

[2]- الطبري ، المصدر المتقدم ، ج٥ ،ص ١٧٦٩.

[3]- الطبري ، المصدر المتقدم، ج٥،ص١٧٨٤.

[4]- الطبري، المصدر المتقدم، ج٥،ص١٧٧٩.

وجهابذة البيان ، وأساتذة الأدب من منثور ومنظوم فصيح بليغ!بيد أن حظه الحالك ورياء مشير به ،وضعف إرادته ،وخور عزيمته ،ونصيب المغلوب من الدعوة عليه ،والحملة الموجهة إليه قد ضربت على سيرته فإذا بها شو هاء مزرية.

بينما تحدثنا المصادر عن قابليات المأمون منذ صغره وبحزمه ونسكه ..((ذكروا للرشيد قوله عنه : أتعرف فيه حزم المنصور، ونسك المهدي، وجرأة الهادي ولو شاء أن انسبه في الرابعة لي لفعلت وإني لأقدم محمد بن زبيدة وإني لأعلم أنه متبع هواه ولكن لا أستطيع غير ذلك)) [1].ولا شك أن خلافة المأمون الطويلة وسمعته العلمية الرائعة قد انعكست على ماضيه قبل الخلافة وزادت في تألقه وفي تعصب العلماء له ،بينما ظل الأمين المهزوم سيئ السمعة يسميه التاريخ (بالفاسق) و (المخلوع) ، ويتهم بشتى التهم .فلا يجد مع قصر عهد ه ومطاعن أخلاقه وهزيمته في النهاية ، من يدفع تحيف الدعاية التي أسهمت في تشويه صورة الأمين خلال مدة النزاع نفسها حتى ـ كما يقول الجهشياري.:((سارت الركبان في الآفاق بغدر محمد وبحسن سير ة المأمون فاستوحش الناس منه وانحرفوا عنه وسكنوا إلى المأمون ومالوا إليه))[2] .

مـــر النزاع بين الأخوين ،ككل نزاع غيره ،في طورين،طور دبلوماسي سلمي حاول به الأمـــين الوصـــول إلى ما يريد بالسياسة والمراسلة وقابله المأمون بالمطاولة . ثم جاء دور السيف بينهما بعد ذلك .

[1]- ابن كثير، المصدر المتقدم،ج ١٠،ص١٦٥.

أنظر:- ابن الجوزي، المصدر المتقدم، ج٩،ص٩.

- سمط النجوم العوالي ، المصدر المتقدم،ج٣،ص٤٤٠.

[2]-الجهشياري ، المصدر المتقدم ،ص٢٤٥.

الطور الدبلوماسي السلمي:

فَصله الطبري[1] تفصيلا واسعا ودراسته تعطينا فكرة عن الجو السياسي ومناوراته في ذلك العصر، وقد قاد العملية الدبلوماسية والسياسية لدى الأخوين . وزيراهما : الفضل ابن الربيع لدى الأمين والفضل بن سهل لدى المأمون، لدرجة أن بعض الكتاب عَدّ المعركة الأخــوية معركة بين الفضلين . وقد وردت أخبار مراسلات الأخوين في الطبري دون تــرتيب تاريخـــي ،ولعلنا إذا اعتمدنا على محتوياتها وعلى شيء من المنطق ، نستطيع أن نعطيها ذلك الترتيب المتسلسل ، ونلخص هذا الطور بالنقاط التالية :

ا ــ حاول الأمين أن يأخذ الحيطة ويركز كل القوى بيده حين عرف علة أبيه في طوس . وهكـــذا بعـــث من يأتيه بأخباره وبكتب ظاهرة يسأل فيها عن صحة الخليفة ، وأخرى باطنة إلى القوم والعسكر بالعودة إلى بغداد [2]،ومحاولة الأمين تجريد أخيه من القوة، و هذا الشكل لم يخف على الرشيد نفسه الذي جدد البيعة للمأمون، وأوصى له بالجيش .

لكن الرشيد توفي ، ووجود الفضل بن الربيع في القوات العباسية كان كافياً لإعادتها إلى بغداد دون أن تعرج على المأمون الذي عقد مجلساً لبحث الأمر ،ولكن الفضل بن سهل حَذر المأمون من ملاحقتها لئلا تقبض عليه وتقدمه هدية لمحمد ،وقد بعث وراءها برسولين

---

[1]- أنظر الطبري، المصدر المتقدم ، ج٥ ،ص ١٧٥٧وما بعد.
- ابن كثير ، المصدر المتقدم، ج١٠،ص٢٢٣ وما بعد .
- البدء والتاريخ ، المصدر المتقدم، ج٦،ص١٠٧ ومابعد .
- العبر في خبر من غبر ، المصدر المتقدم،ج١ ،ص٣١٦ وما بعد .
-ابن الأثير ، المصدر المتقدم،ج٥،ص ٣٦١ وما بعد.
-ابن الجوزي المنتظم ، المصدر المتقدم،ج١٠ ،ص٤ وما بعد .
-ابن الأعثم ،الفتوح ، المصدر المتقدم ،ج٣ ،ص٤٢٥.
-أحمد فريد الرفاعي،المرجع المتقدم ،ج١،ص٢٢٢ وما بعد .
-العش ، المرجع المتقدم ،ص٨٥ وما بعد .

[2]-يشير موقف الأمين هذا أنه كان يبيت الغدر في نفسه ودون أن تكون هناك علاقة للفضل بن الربيع في هذا الأمر ،فقد كان بعيدا عن بغداد .أنظر الطبري، المصدر المتقدم ، ج٥ ،ص ١٧٥٧وما بعد.
-ابن الأثير ، المصدر المتقدم، ج٥،ص٣٦١.
- ابن كثير ، المصدر المتقدم،ج١٠،ص٢٢٣.
-ابن الجوزي ، المصدر المتقدم،ج١٠،ص٤،٥.

عــوملا مــن الفضــل بن الربيع أسوأ المعاملة ... فأكد ذلك للمأمون ضرورة بقائه في مرو..منذ الأيام الأولى .

ـ حاول المأمون بالمقابل توطيد مركزه ، وذلك باسترضاء الخراسانين ليكونوا معه فكَرم القــواد والملوك (الأرستقراطية)والفقهاء وتألف الشعب بالعدل وبتخفيض ربع الخراج . حتى سر بذلك الناس وقالوا حسب رواية الطبري ((..ابن اختنا وابن عم رسول الله))[1].

ومن جهة أخرى حافظ المأمون - ولكن في السنة الأولى من حكم الأمين فقط بالطبع— على مظاهر الولاء لأخيه وتواترت كتب المأمون إلى محمد بالتعظيم والهدايا إليه من طرف خرا سان !

٢ـ بــدأ الأمــين مشروعه في بسط نفوذه أولا على أخويه ثم عزلهما من ولاية العهد أو تقديم ابنه عليهما، بدأ بالقاسم فعزله عن الجزيرة سنة ١٩٣/٨٠٨م ، ثم عزله عن الولاية جمــيعا سنة ١٩٤/٨٠٩م، وولى مكانه خزيمة بن حازم، ثم استقدمه لبغداد ، ثم عزله من العهد في السنة نفسها [2].

وقد تم ذلك دون ضجة أو كبير عناء لقلة أنصار القاسم الذي لحق بأخيه المأمون في خراسان ١٩٧ /٨١٢م،فقد ولاه على جرحان،لكن المأمون أدرك منذ سمع بعزل القاسم ،كنه المشروع،فقطع البريد عن أخيه محمد، ومحا اسمه عن الطراز إيذاناً له بعدم الموافقة ،أو على الأقــل بالاســتنكار، وضرب الدنانير والنقود بخرا سان ((وأمر ألا يثبت فيها اسم محمد الأمين))[3].

ط-ظهرت للأمين ضرورة إضعاف أخيه والحد من نفوذه ،وكاد يطلب منه بعض أرض ولايته ،ولكن القاسم بن صبيح نصح الأمين ألا يفعل لئلا يتأكد لدى المأمون سوء الظن

---

[1]- أنظر الطبري، المصدر المتقدم ، ج٥ ،ص١٧٦٠.

- المقفى ، المصدر المتقدم ج٤،ص٢٦٥.

- تاريخ الموصل، المصدر المتقدم ،ص٣١٨.

- ابراهيم سلمان الكروي : نظام الوزارة في العصر العباسي الأول ،الكويت.١٩٨٣،ص١٤١ ومابعد .

[2]- أنظر الطبري ، المصدر المتقدم، ج٥ ،ص١٧٦٠.

[3]- أنظر الطبري ، المصدر المتقدم، ج٥،ص١٧٦١.أنظر :

-شما (سمير)،أحداث عصر المأمون كما ترويها النقود ،الأردن ،١٩٩٥،ص٥٠.

ويأخذ من ذلك حذره ((ولكن تكتب إليه حاجتك إليه وشوقك إلى قربه ..ومشورته))، ((فـــإذا قـــدم إليك وفرقت بينه وبين جنده ظفرت به وصار رهنا في يديك))[1] .وأرسل الأمـــين وفداً بهذه الرسالة ،فأكرمه المأمون وحار ماذا يجيب أخاه ،ولكن الفضل بن سهل شـــد من عزيمته ونصحه بتقوية الجيش وبالاعتذار عن المسير .ودبج للاعتذار رسالة جاء فيها ((إن الإمام الرشيد ولاني هذه الأرض على حين كلب من عدوها (لا نعلم من هو العـــدو الذي قصده المأمون فالمصادر لم تورد أن هناك خطر قادم من بلاد ما وراء النهر) ..ومـــتى زلت عنها لم آمن انتقاض الأمور فيها، وغلبة أعدائها عليها بما يصل ضرره إلى أمير المؤمنين حيث هو فرأى أمير المؤمنين أن لا ينقض ما أبرمه الإمام الرشيد))[2] .

٣_عـــاد الأمين إلى رأيه الأول فطلب أن يتجافى له المأمون عن بعض كور خرا سان وأن يرســـل إلـــيه العمال من قبله وأن يقيم عامل بريد لديه .فاضطرب المأمون وعقد مجلس شـــورى قرر له أن يوافق .إلا أن الفضل بن سهل رأى الرفض قائلاً ((هل تثقون بكفة (كـــف الأمين)بعد إعطائه ذلك وألا يتجاوز بالطلب ؟إنه يطلب ما ليس له بحق ،وكان الـــرفض ،وكتب المأمون يقول لأخيه :لو لم يكن ذلك مثبتاً بالعهود والمواثيق المأخوذة ثم كـــنت على الحال التي أنا عليها من إشراف عدو مخوف الشوكة ، وعامة لا تتآلف عن هضـــمها ،وأجناد لا يستتبع طاعتها إلا بالأموال ، لكان في نظر أمير المؤمنين لعامته وما يجب من لم أطرافه ما يفرض عليه أن يقسم له كثيراً من عناية ،ويستصلحه ببذل كثير من ماله .فكيف بمسألة ما أوجبه الحق والعهد..))[3] الخ !

٤ ــ عاد الأمين فأكد الطلب مع وفد أوصاه بنشر بذور الخلاف على المأمون في

---

[1] -الأخبار الطوال، المصدر المتقدم،ص٣٩٤ .

[2] -ابن الأثير، المصدر المتقدم ،ج٥ ،ص٣٦١.

[3] - الطبري ، المصدر المتقدم، ج٥ ،ص ١٧٥٧وما بعد.

- ابن كثير ، المصدر المتقدم، ج١٠،ص٢٢٣ وما بعد .

- البدء والتاريخ ، المصدر المتقدم،ج٦،ص١٠٧ ومابعد .

- الغبر في خبر من غبر ، المصدر المتقدم،ج١ ،ص٣١٦ وما بعد .

- ابن الأثير، المصدر المتقدم ،ج٥،ص ٣٦١ وما بعد.

- ابن الجوزي، المصدر المتقدم ،ج١٠ ،ص٤ وما بعد .

خرا سان ،وكتب إليه:إن الرشيد أضاف إلى خرا سان ((كوراً من أمهات كور الأموال لا حاجــة لــك فــيها، فالحق أن تكون مردودة في أهلها ... وأن تأذن لقائم بالخبر يكون بحضــرتك يؤدي لنا علم ما نعني به من طرفك... فاثن على همتك أثن عن مطالبتك)).

ولكــن الوفد أحيط به منذ وصل حدود أرض المأمون ، فلم يدعه الفضل بن سهل يقابل أحداً غير المأمون .وسماه أمام الوفد (بالإمام)ومنعه أن يناقشه ،وكلف المأمون الوفد بتأدية رســالة إلى الأمــين يقول فيها : لا تبعثني يا بن أبي على مخالفتك.وأنا مذعن بطاعتك، وأرضى حكم الحق في أمرك أكن بالمكان الذي أنزلني به الحق فيما بيني وبينك...وقال : أعلموه أني لا أزال على طاعته حتى يضطرني بترك الحق الواجب إلى مخالفته ...)).

٥-بعــث الأمين بكتاب غضوب ملأه بالتهديد قال : ((...بلغني كتابك غامطاً لنعمة الله علــيك، معترضاً لحراق نار لا قبل لك بها ... وإن كان قد تقدم متقدم فليس بخارج عن مواضــع نفعك .. فاعلمني رأيك)). فاجاب المأمون :... أولى به (بالأمين) أن يدير الحق في أمــره ،ثم يأخذ به ،و يعطي من نفسه،وأما ما وعد من بر طاعته و أوعد من الوطأة بمخالفته فهل أحد فارق الحق في فعلة فأبقى للمتبين موضع ثقة بقوله ؟)) .

٦ - أوفــد الأمين-حين صرح الخلاف _ وفداً سياسياً من ثلاثة رجال عليه العباس بن موســى بن عيسى يطلب إلى المأمون تقديم موسى بن الأمين بين يديه، ويذكر له أن جد العــباس (عيســى بن موسى)قد تنازل عن ولاية العهد مرتين .و لكن الفضل بن سهل استطاع أن يمنع النقاش في الأمر قائلا: ((اسكت ! لقد كان جدك بين أ يديهم أسيراً ، وهــذا بــين أخواله وشيعته ،واستطاع فوق هذا أن يمني بالوعود رئيس الوفد ويأخذ منه البيعة للمأمون وجعل منه عيناً له في بلاط الأمين !.. يكتب إلينا (أي إلى الفضل بن سهل) بالأخبار ويشير علينا بالرأي))[1] .

---

[1]- الطبري ، المصدر المتقدم، ج٥ ،ص ١٧٥٧وما بعد.

- ابن كثير، المصدر المتقدم، ج١٠،ص٢٢٣ وما بعد .

- البدء والتاريخ ، المصدر المتقدم، ج٦،ص١٠٧ ومابعد .

- الغبر في خبر من عبر ، المصدر المتقدم،ج١ ،ص٣١٦.

- ابن الأثير ، المصدر المتقدم،ج٥،ص ٣٦١ وما بعد.

- ابن الجوزي المنتظم ، المصدر المتقدم،ج١٠ ،ص٤ وما بعد .

٧ -رأى الأمين أخيراً وضع أخيه أمام الأمر الواقع ، فأوقف الدعاء للمأمون ،و أعلن بيعة ابنه موسى الناطق بالحق بدلاً منه،وضرب لذلك دراهم ودنانير تذكارية .

مـــنذ هذه اللحظة انتقل النزاع إلى طوره الثاني المسلح . على انه من الضروري أن نلاحظ إن النزاع الدبلوماسي بقي قائماً خلال الحرب الأخوية ، فالمأمون يلقب نفسه - حـــتى قبل أن يخلع ولاية العهد -بالإمام لا بالخليفة ،فإن الجماعة الإسلامية لم تعتد حتى تلك الحقبة ظهور خليفتين في وقت معا(عدا الثورة العباسية سنة ١٣٢ هـ/٧٥٠م) ويتريث المأمـــون بالخلع أشهراً متخوفاً ،من ذلك ثم يجهر بالخلع سنة ١٩٦ هـ/٨١١م حين انتصر جيشه على جيش علي بن عيسى قائد أخيه[1] .

تلك أول مرة اتخذ فيه العباسيون لقب الإمام بعد إبراهيم الإمام ، (و لعل المأمون رأى فـــيه توكيداً للسلطة الدينية التي يحتاجها في نضاله) . وأرسل إلى أعيان العسكر في بغداد يســـتميلهم .كما كتب المأمون إلى قائد أخيه علي بن عيسى بن ما هان بأن الأمين حل عقـــدة أنت شددتها (لأن علياً هو الذي أخذ البيعة للمأمون في ولاية العهد)،و خطب في الخراسانيين يمنيهم بوعود هي أكثر مما مناهم به أسلافه يوم الدعوة العباسية .

((قال : أيها الناس إني جعلت لله على نفسي، إن استرعاني أموركم ،أن أطيعه فيكم ولا أســـفك دمـــاً عمداً لا تحله حدوده ولا أخذ لأحد مالا ولا أحكم بهواي في غضبي ولا رضاي .. جعلت كله لله عهداً مؤكداً وميثاقاً مشرداً... فإن غيرت أو بدلت كنت للغير

---

[1]- الطبري ، المصدر المتقدم، ج٥ ،أحداث ١٩٦.
- ابن كثير ، المصدر المتقدم،ج١٠،أحداث سنة١٩٦ .
- االبدء والتاريخ، المصدر المتقدم ،ج٦، أحداث ١٩٦. ومابعد.
- الغبر في خبر من غبر ، المصدر المتقدم،ج١ ، أحداث ١٩٦ .
- ابن الأثير، المصدر المتقدم، ج٥، أحداث ١٩٦.ابن الجوزي المنتظم ،المصدر المتقدم،ج١٠، أحداث ١٩٦.
- M.a.shaban,islamic history,london ,p41-54

مستأهلا وللنكال متعرضاً))[1] . ولهذا العهد شأنه في المستقبل إذ أن إخفاق المأمون في تحقيقه سيقطع آخر صلة بين خرا سان و العباسيين.

و ظهر من تصرفات المأمون حتى في نهاية الأمر أنه لم يكن واثقاً من النجاح، ولقد حاول الهرب حين شغب عليه الجند بمرو . بينما ظهر من تصرفات الأمين واصحابه أنهم كانوا واثقين من الظفر ٠حتى إن زبيدة أرسلت القيود الفضية لتكبيل المأمون ،و أعطت التعليمات لقائدها بكيفية معاملته معاملة تليق بابن ملك .و لم يلجأ الأمين إلى الدس على أخيه لدى قواده إلا حين حاصروا بغداد (فقد كان في بداية أمره واثقاً من نصره ولذلك لم يكن مضطراً لاستخدام مثل هذه الأساليب ،واستهان بقوة أخيه فلم يكن هناك ذاك التخطيط الذي تستحقه تلك الحرب ،فكانت هزيمته في نهاية الأمر) و حينذاك فقط كتب إلى طاهر بن الحسين يقول : ((ما قام قائم بحقنا وكان جزاؤه إلا السيف)) و يعلق طاهر على ذلك سنة ((ما هذا كتاب مضعوف ولكنه كتاب مخذول !)) [2].

---

[1]- الطبري ، المصدر المتقدم، ج٥ ،ص ١٧٥٧وما بعد.

- ابن كثير ، المصدر المتقدم،ج ١٠،ص٢٢٣ وما بعد .

- البدء والتاريخ، المصدر المتقدم، ج٦ ،ص١٠٧ ومابعد-الغبر في خبر من غبر، المصدر المتقدم ،ج١ ،ص٣١٦ وما بعد .

- ابن الأثير ، المصدر المتقدم ،ج٥،ص ٣٦١ وما بعد.ابن الجوزي المنتظم ، المصدر المتقدم،ج١٠ ،ص٤ وما بعد .

[2]- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المصدر المتقدم ،ج٣ ،ص٤٠٤.

طور التراع المسلح:

و هو مفصل في الكتب[1] ويمكن تلخيص مراحل الحرب وأطوارها فيما يأتي :كان الأمين بالطبع هو الذي سوف يتخذ خطوة اللجوء إلى السلاح لحل الخلاف لكونه الخليفة والرجل الأقوى،ولأن المأمون معتصم منه بولايته البعيدة ولهذا سير قائده: علي بن عيسى ابن ما هان إلى خرا سان، وعقد له، وأعطى الجند مالا عظيما بعد أن عقد مجلساً عاماً قرأ فيه في مسجد الجامع على الناس نقض أمر أخيه لعصيانه .

وحمـــل علي بن عيسى قيداً من الفضة لتقييد المأمون،أما وصية الأمين له فكانت سياسته حازمة : ((اكرم من خرج إليك من قواد خرا سان وضع عن أهل خرا سان، ربع الخراج (ولـــو وهب لهم الخراج كله لمدة سنة لظفر ..كما قال المأمون)[2]ولا تبق على أحد يشهر عليك سيفاً أو يرمي عسكرك بسهم .ولا تدع عبد الله (المأمون)يقيم إلا ثلاثاً من يوم أن تصل إليه حتى تشخصه إليَّ فإذا اشخصته فليكن مع أوثق أصحابك عندك ...))[3].

وقـــد اشترك في الجيش عناصر عربية قوية من كبار القواد واجتازوا الطريق إلى همذان و منها إلى الري. و لم ينتظر علي بن عيسى ورود النجدات له من جنوب إيران واشتبك عند الري، في معركة مع قائد جيش المأمون طاهر بن الحسين شوال هـ١٩٥ / ٨١٠م.

---

[1]- ابن كثير ، المصدر المتقدم،ج١٠،ص٢٢٣ وما بعد .

-البدء والتاريخ، المصدر المتقدم، ج٦،ص١٠٧ ومابعد .

-الغبر في خبر من غبر ، المصدر المتقدم،ج١ ،ص٣١٦ وما بعد .

-ابن الأثير ، المصدر المتقدم،ج٥،ص ٣٦١ وما بعد.

-ابن الجوزي ، المصدر المتقدم، ج١٠ ،ص٤ وما بعد .

-أبو الفداء : مختصر تاريخ البشر ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت .١٩٥٦م ،ص٢٧ وما بعد .

-ابن العمراني ، المصدر المتقدم،ص٥١ وما بعد .

-الأربلي :الذهب المسبوك من سير الملوك ، ، المصدر المتقدم ،ص١٧٥ وما بعد .

-حسن ابراهيم حسن،المرجع المتقدم ،ج٢،ص١٤٧ وما بعد.

- دولة بني العباس ،المرجع المتقدم ،ج١،ص٤٢٨. -في التاريخ العباسي ،المرجع المتقدم ،ج١،ص١٨٤ وما بعد .

- سرور (محمد جمال الدين):الدولة العربية الإسلامية ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،٢٠٠١م،ص٣٢٤ ومابعد .

[2]- الجهشياري ، المصدر المتقدم،ص٢٥٥.

[3]- الطبري ، المصدر المتقدم،ج ٥،ص١٧٧٣ وما بعد .

وحاول طاهر المراوغة وتكرار قصة صفين إذ علق عهد البيعة على الرماح ،ونادى على عيســـى : ((ألست أنت الذي أخذ البيعة من الناس لعبد الله (المأمون)). [1] ثم جاءت المعـــركة بنتيجة غير منتظرة إذ هُزم جيش الأمين وقُتل علي بن عيسى فما وصلت الأنباء إلى المأمـــون هـــو حـــتى قعد للتهنئة ،ثم أعلن بعد أشهر خلع أخيه الأمين ، ودعىلنفسه بالخلافة في خرا سان ،وتحول الجيش المدافع إلى جيش مهاجم يسير في منطقة الجبال باتجاه العراق ....وفي هاتين المبادرتين السريعتين من إدعاء الخلافة والهجوم العسكري على بغداد بعد اتخاذ لقب الإمام دليل على أن المأمون وحزبه كانا يبيتان مشروع الخلافة من قبل،وما كـــان موقفهما السلبي قبل ذلك سوى مرحلة تكتيكية . فما إن سنحت الفرصة لتحقيق المشروع حتى بادرا بأسرع مما ينتظر إلى استغلالها أوسع الاستغلال.

إذا كـــان في معركة ابن عيسى وطاهر بعض الشبه من معركة ابن هبيرة وقحطبة الطائي في الثورة العباسية فإن الفرق كبير بين الجيش الزاحف الآن ومعظم عناصره إيرانية فارســـية وذلك الجيش الثائر الذي كانت معظم عناصره عربية خالصة وإذا كان ثمة من تـــأثير فارســـي في التاريخ العباسي فيمكن أن نعد هذه المسيرة باسم المأمون هي نقطته الانقلابية الهامة .

وعلـــى أي حـــال فإن هذه المسيرة الثانية من خرا سان و التي جاءت بعد حوالي خمس و ستين سنة من المسيرة الأولى ،كانت هي الثورة الخراسانية الثانية التي حاولت أن يكون لها النفوذ والسلطة على الحكم العباسي و إن انقلب المأمون نفسه عليها فيما بعد .
وصـــل جـــيش المأمون-إلى همذان ثم حلوان ــ على الطريق ذاتها التي كان قد سار عليها قحطـــبة من قبل . وانتقلت الحرب من الهجوم على مداخل في خرا سان إلى الدفاع عن مـــداخل العراق من ناحية الجبال ... وجمع الأمين آخر قواه لصد جيش طاهر بن عيسى

[1]ـ ابن كثير ، المصدر المتقدم،ج١٠،ص٢٢٣ وما بعد .
ـ البدء والتاريخ ، المصدر المتقدم ،ج٦،ص١٠٧ ومابعد.،العبر في خبر من غبر ، المصدر المتقدم،ج١ ،ص٣١٦ وما بعد .
-ابن الأثير ، المصدر المتقدم ،ج٥،ص ٣٦١ وما بعد.
-ابن الجوزي المنتظم ، المصدر المتقدم،ج١٠ ،ص٤ وما بعد .

جـــند عشرين ألفا من العرب بقيادة أحمد بن مزيد وعشرين ألفاً من الأبناء بقيادة عبد الله ابـــن دحية بن قحطبة الطائي . ولكن الجيشين وصلا خانقين ثم اختلفا وعادا دون لقاء طاهـــر الذي سلم ما بإمرته من البلاد لقائد جديد بعثه المأمون هو هر ثمة بن أعين وانحدر إلى الأهواز ليدخل العراق من الجنوب .

فانتصـــر هناك على محمد بن يزيد المهلبي ،و أنفذ العمال إلى البحرين و عمان واليمن و مكـــة والمدينة، وعبر البلاد إلى واسط بينما كان هر ثمة بن أعين يدخل العراق عن طريق حلـــوان ويضـــع الحصار على بغداد بعد أن هزم لواء عقده الأمين لجيش يقابله دونها. وعلـــى بغداد وافاه جيش طاهر و لم يكن تقدم هذه الجيوش سهلاً فيما يظهر لأنها قضت في ذلـــك معظـــم سنة ١٩٦ هـ /٨١١م. لم يكن حصار بغداد هيناً ولا كان الدفاع عنها ضعيفاً فقد قضى المحاصرون في ذلك سنة ١٩٧ هـ /٨١٢م أيضاً. وحفرت الخنادق ، وبنـــيت الحيطان ،وهدمت الدور بالمجانيق والعرادات ، وسمحت الحرب للعيارين بفرصة ذهبية لممارسة اللصوصيه والفوضى ،وتتالت المعارك على الأبواب و المواقع .. حتى انتهى الأمر أخيراً باستسلام بغداد . بعد أن فقدت الأمن والمؤونة والقوى واستأمن قائد الأمين الأساسي خزيمة بن خازم للجيش المحاصر .أما الأمين فلقي مصر عه ٤صفر ١٩٨هـ / ٨١٣م وهو في طريقه للاستئمان عند هر ثمة بن أعين ... فقد دبر طاهر مقتله .و في هذه المؤامرة كاد هر ثمة نفسه يغرق في دجلة ؟ وبينما نصب رأس الأمين على باب الأنبار طارت الرسل إلى المأمون بالفتح ،فلم يدر هو وأصحابه رغم الفرح به ، كيف يصوغون الاعـــتذار أمام الناس عن مقتل الأمين !يقول الطبري :... لما بعث طاهر بن الحسين برأس محمـــد (الأمـــين)إلى المأمون بكى ذو الريا ستين (الفضل بن سهل) وقال : ((سل علينا ســـيوف الناس وألسنتهم ! أمرناه أن يبعث به أسيراً فبعث به عقيراً))[1] .وقال المأمون : ((قـــد مضى ما مضى فأحتل في الاعتذار منه)) . وجاء أحمد بن يوسف بشبر من قرطاس فـــيه أما بعد : ((فإن المخلوع كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة ،فرق الله بينه

[1]- الطبري ، المصدر المتقدم،ج٥ ،ص١٨١٨.

ويبـــنه في الولاية والحرمة لمفارقة عصم الدين وخروجه من الأمر الجامع للمسلين ... فلا طاعة لأحد في معصية الله ... وقد قتل الله المخلوع !...))[1].

وبما أن نكث العهد معصية دينية عاقبها الله ، انتهى الفصل الأخير من الدعاية المأمونية ضد الأمين ومن أمر الأمين نفسه !

الملاحظات حول تلك الحرب الأخوية :

١ ــ مــبالغة الكــتاب في تقليل جيش المأمون جعلوه (٣٨٠٠) أمام جيش الأمين الذي ذكروا أنه كان ٤٠ ألفا.

٢ــ ضعف معنويات جيش الأمين .ومن آيات ذلك أن علي بن عيسى لم يكن يقيم وزناً لطاهر بن الحسين ،وأحمد بن مزيد الذي رجع دون قتال .ثم كثرة الدخلاء على الجند فيه من , اللصوص والشطار.

٣-أفسد الأمين جنده بكثرة العطاء دون أن يتأكد من ولائهم وقد شغبوا بعد مقتل عيسى قائد هم فزاد في عطائهم .

٤ــ قــيام الاضطرابات في العاصمة بغداد نفسها و كان المفروض أن تكون العاصمة بعد كل شيء حصن الأمين وموئله.

٥ ــ خطأ الأمين في تولية علي بن عيسى لحرب الخراسانيين وهو عدوهم منذ زمن الرشيد

٦-كــان المأمــون بالمقابل موفقاً في القواد وقد قال الأمين : ((...كان المأمون لو اجتهد بنفســه و تولى الأمر برأيه بالغ عشر ما بلغه طاهر ...»[2].كما أنه كان متجانس الجيش، وجنده يدافع عن وعود يمني قال نفسه بها.

٧ــ انتقضــت قبيل حصار بغداد وخلاله ، بعض الأقطار على الأمين .فقد خشي عاملا البصرة والكوفة (وهما منصور بن المهدي والعباس بن موسى الهادي) أن تعدو خيل طاهر ابــن الحسين عليهما بعد أن أدخلت من الأهواز إلى واسط فبايعا المأمون ،وكتب بالبيعة صــاحب الموصــل (المطلب بن عبد الله)، وجمع داود بن عيسى بن موسى عامل مكة

---

[1] - الطبري ، المصدر المتقدم،ج٥ ،ص١٨١٨.

[2]-مروج الذهب ومعادن الجوهر، المصدر المتقدم،ج٣،ص٤١٨.

والمدينة الناس وأهل الشرف والفقهاء فَذَكَرهم عهد الرشيد وإحراق الأمين له وأنه غدر فبايعوا المأمون وذهب داود إلى مرو فعاد منها بخمسة مائة ألف درهم ...

ووجه طاهر بن الحسين من بغداد يزيد بن جرير القسري على اليمن عاملاً فاستطاع أخذ البيعة للمأمون ..[1] وقد أثر ذلك كله في خذلان الأمين العسكري عدا المعنوي .

٨_أخفقت قبل أن تتحرك محاولة شامية لإنقاذ الأمين فقد كتب إليه عبد الملك بن صالح سنة ١٩٦ هـ/٨١١م ،وكان قد أخرجه من السجن سنة ١٩٣ هـ/٨٠٩م ،إن أهل الشام مسارعون إلى طاعتي فإن وجهني أمير المؤمنين اتخذت له جنداً تعظم نكايتهم في كلام طويل ٠٠))[2]،وكان الوعد حينما أطلقه الأمين من السجن أن يقوم بالمناصحة والولاء ((فولاه الأمين الشام واستحثه فلما قدم عبد الملك الرقة أرسل كتبه ورسله إلى رؤساء وأجناد الشام ووجوه الجزيرة فلم يبق من يرجى ويذكر بأسه إلا سارع فوعد الناس ومناهم فقدموا عليه رئيس بعد الآخر ،وفوج بعد فوج فأجازهم وخلع على كل من قصده وأجازه ثم .. اختلف جماعة من الجند (الخراساني والشامي) فأعان كل فريق صاحبه وتضاربوا بالسيوف،ونشبت الحرب وتفاقم الأمر فنادى الناس : الهرب أهون من العطب والموت خير من الذل. النفير النفير قبل أن ينقطع الشمل.وكان عبد الملك مريضاً. فمات في تلك الأيام ...))[3]،وكان الأمين قد عزم الاتجاه إلى الشام ولكن جواسيس طاهر منعوه ونصحوه بطلب الأمان[4]. وهكذا أخفقت النجدة التي كان من الممكن أن تغير في مجرى الأحداث لو أنها تمت .

٩- أتت الحرب الأخوية على بغداد التي حوصرت عامين وخرب قسم كبير منها أو احرق وقتل أهلها و ترك لنا الشعراء صورة جهمة لكل ذلك.

---

[1]- ابن كثير ، المصدر المتقدم، ج١٠،ص٢٢٣ وما بعد .

- البدء والتاريخ ، المصدر المتقدم ،ج٦،ص١٠٧ ومابعد-العبر في خبر من غبر ، المصدر المتقدم،ج١ ،ص٣١٦ وما بعد .

-ابن الأثير ، المصدر المتقدم،ج٥،ص ٣٦١ وما بعد.

-ابن الجوزي المنتظم ، المصدر المتقدم،ج١٠ ،ص٤ وما بعد .

[2] - الطبري، المصدر المتقدم،ج٥ ،١٧٨٢.

[3]- الطبري، ، المصدر المتقدم،ج٥ ،١٧٨٢.

[4] - الطبري ، المصدر المتقدم،ج٥،ص١٨٠٥.

١٠- يبدو أن النزاع الأخوي لم يقتصر على الأخوين وحدهما ولا على مناطقهما في - خراســان والعراق،ذكر اليعقوبي حين تعرض لوفاة عبد الملك بن صالح العباسي سنة ١٩٩/ ٨١٤م في الرقة ، اضطراب الناس وتحزبهم وحربهم بعضهم لبعض في الجزيرة و العواصم و الــثغور . يقــول ((واضطرب البلد بعد وفاته . وتغلب كل رئيس قوم عليهم . وصار الـــناس حزبين : حزب يظاهر بمحمد وحزب يظاهر بالمأمون . فلم يبق بلد إلا وبه قوم يتحاربون .لا سلطان يمنعهم ولا يدفعهم))[1] .

١١- قــد نستطيع تلخيص حرب الأخوين ونتائجها بكلمة كلود كاهن الذي قال :إن جــيش (المأمــون) لم يجد مشقة كبرى في عقد عرى التفاهم مع الأوساط الإيرانية في بغداد ،بينما عجز الأمين عن إخماد المنازعات القبلية بين العرب الذين استنجد بهم .فوقع في ضـــيق شديد وحوصر في بغداد مما اضطره إلى توزيع السلاح على العامة الذين أبدوا ضروباً من الشجاعة اليائسة التي بقيت دون جدوى ...واستولت خرا سان مرة ثانية على مقاليد الأمور وكان هذا الانتصار أعمق أثراً منه في المرة السابقة،لأنه تحقق على حساب النصف العربي من السكان و لم يتم بمؤازرتهم الجزئية ...))[2] .

١٢- أدى اعتماد الأمين على عناصر (العامة) في بغداد إلى تكتيلها وشعورها بقوتها ولهذا فإنها سوف تظهر خلال العهود المقبلة ولمدة قرون كجماعة مسلحة وذات تأثير مباشر في الأحــداث المخــتلفة ولا سيما عند الأزمات . وسينجم عن وجودها ــ وهو وجود يــرجع في أســبابه وجذوره إلى المستوى المعاشي المتدنّي الذي تعيشه وإلى فقد فرص العمل، وإلى التفاوت الطبقي المالي خاصة ــ الكثير من المآسي و النكبات في بغداد.

١٣ ــ قتل الأمين في النهاية وهزم الحزب الأميني،ولما كان أغلبه من العرب فقد أدى ذلك إلى اخــتلال التوازن بين القوى العربية والإيرانية في الدولة زمن المأمون ...مما مهد للجوء المعتصم من بعد إلى عنصر جد يد هو العنصر التركي .

---

[1]-اليعقوبي ، المصدر المتقدم ،ج٢،ص٤٤٠.

[2]-كاهن كلود :تاريخ الشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية، ترجمة بدر الدين القاسم،دار الحقيقة ،بيروت ١٩٧٢، ج١،ص١٠٨.

فهل انتهت بانتهاء الخلاف الأخوي مشكلة ولاية العهد ؟

لقـــد حاول المأمون محاولة غريبة في ذلك إذ حول، لمدة قصيرة ،ولاية العهد إلى العلـــويين ممثلين في شخص علي الرضا العلوي (الإمام الثامن للشيعة الاثنى عشرية)ولبس المأمـــون الخضـــرة بدل السواد كما يقال ، وأشخص إليه ذلك الإمام من المدينة إلى مرو وقربه وزوجه ابنته في رمضان سنة ٢٠١ هـ /آذار سنة ٨١٨ م ثم مالبث أن توفي ذلك الإمام فهل فعل ذلك متأثرا بالترعة الفارسية المتشيعة أم هناك أسباب أخرى وهل له يد في وفاة الإمام ؟ هذا ما سوف نحاول بحثه في الفصل الآتي .

الفصل الرابع :

- أوضاع البلاد عقب اعتلاء المأمون الخلافة .
- دوافع المأمون لعقد البيعة لعلي الرضا .
- رأي المؤرخين في إسناد ولاية العهد لعلي الرضا .
- صدى البيعة لعلي الرضا بولاية العهد في بغداد .
- سيطرة إبراهيم بن المهدي على بغداد والكوفة وما يليهما .
- صدى تعين إبراهيم بن المهدي ولياً للعهد على الخليفة المأمون؟ وهل كان على عِلم بما يجري في بغداد ؟
- وفاة علي الرضا .

- أوضاع البلاد عقب اعتلاء المأمون الخلافة :

قـتل الأمـين وجلس المأمون على كرسي الخلافة بعد حرب دموية بين الأخوين اسـتمرت سنوات، فهل انتهت مشكلة ولاية العهد بعد ذلك ؟أم هل استطاع المأمون أن يجد حلا لهذه القضية ؟.

قـام المأمون بإسناد ولاية العهد لعلي بن موسى الكاظم، وبذلك يكون قد نقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي ، فهل استطاع بهذا الفعل إيجاد حل لمشكلة ولاية العهد ؟!

وهـل عقدها للرضا لأنه كان يؤمن بأحقية آل البيت بالخلافة ؟وإذا كان قد عقدها للرضا إيماناً بأحقية آل البيت فلماذا اتخذ الخضرة شعاراً له ،وهي لباس كسرى والمجوس ، و لم يتخذ البياض وهي لبسة علي وولده ؟

أم أن هـذا الفعـل إنمـا كـان بتأثير الفضل بن سهل ،وإرضاء لأهل خراسان المتشـيعين، علماً بأنه دخل في حرب مع أخيه من أجل الحفاظ على حقه بالخلافة كما ذكرنا ذلك آنفا ،هذه الحرب التي أودت بحياة الأمين وأوصلت المأمون إلى هذا المنصب !؟

استلم المأمون زمام الحكم بعد حرب دامية استمرت خمس سنين ،قتل فيها آلاف القـادة والجـنود، وحدث تفتت في التحالف العباسي ،وانقسم إلى قسمين، مؤيدين ومعارضين لحكم المأمون .

ونتـيجة لانقسـام الأمة بين معارض ومؤيد ، فقد تفاعلت روح الثورة والتمرد في نفوس بعض المسلمين، من قبل الثوار ومن قبل الموالين لأخيه الأمين .

فقامت ثورات عديدة ضده نذكر منها:

ثورة نصر بن شبث العقيلي سنة (١٩٨ هـ /٨١٣م) حيث أظهر نصر بن شبث العقيلـي الخلاف في حلب ،وتغلّب على ما جاورها من البلدان ،وكان يقول: ((إنما محـاربتي إياهم محاماة عن العرب لأن بني العباس يقدمون عليهم العجم))[1] ، ولم ينته خلافه إلا في سنة (١٩٩ هـ /٨١٤م) بعد القضاء عليه[2].

وفي السنة نفسها حدثت فتنة في الموصل بين اليمانية والترارية ، قتل فيها من الترارية نحـو ستة آلاف .وفي سنة (١٩٩ هـ/٨١٤م) انفجرت المعارك بين بني ثعلبة وبني أسامة[3].

وكانـت سنة (١٩٩ هـ/٨١٤م) فاتحة لثورة عظيمة قادها العلويون،حيث خرج أبوالسـرايا السـري بـن منصور الشيباني بالعراق ومعه محمد بن ابراهيم بن إسماعيل الحسـني ، ضـرب أبـو السرايا الدراهم بالكوفة وسيّر جيوشه إلى البصرة وواسط ونواحيها .

1- ابن الأثير ،المصدر المتقدم،ج٥ ،ص ٤٢٠.

2- ابن الأثير ،المصدر المتقدم ،ج٥،ص ٤٦٩.

- اليعقوبي ، المصدر المتقدم،ج٢،ص ٤٦٠ .

- تاريخ مدينة دمشق ، المصدر المتقدم ،ج٢٩، ص٢٣٢.

- ابن الجوزي ،المنتظم ، المصدر المتقدم،ج١٠ ،ص١٤٩.

- تاريخ الموصل ، المصدر المتقدم ،ص٣٣٤.

- ابن العديم :بغية الطلب في تاريخ حلب ،١٢ ج،تحقيق د.سهيل زكار ،دار الفكر ،١٩٨٨م ،ج١ ،ص٢٦٥.

- مقاتل الطالبين ، المصدر المتقدم،ص٥١٨ وما بعد .

3- تاريخ الموصل، المصدر المتقدم،ص ٣٣٢ ـــ ٣٣٦ .

وتوزعت الثورة على عدة جبهات :

جبهة البصرة بقيادة العباس بن محمد بن عيسى الجعفري.وجبهة مكة بقيادة الحسين ابن الحسن الأفطس .

وجبهة اليمن بقيادة إبراهيم بن موسى بن جعفر (عليه السلام)،وجبهة فارس بقيادة إسماعيل بن موسى بن جعفر (عليه السلام).وجبهة الأهواز بقيادة زيد بن موسى بن جعفر (عليه السلام).

وجبهة المدائن بقيادة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن(عليه السلام).واستمرت هذه الثورة أكثر من سنة إلى أن قضي عليها[1].

وفي سنة (٢٠٠ هـ /٨١٥م) خرج محمد بن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ولكنّه استسلم وأرسل إلى المأمون[2].

وكان لثورات العلويين أثر كبير في تخلخل الأوضاع الداخلية وإرباك المواقف العسكرية والسياسية.

وفي سنة (٢٠١ هـ /٨١٦م) أصاب أهل بغداد بلاء عظيم حتى كادت تتداعى بالخراب، وجلا كثير من ساكنيها بسبب النهب والسبي والغلاء وخراب الدور[3].

وفي مقابل الاضطراب في الوضع الداخلي كانت هنالك تحدّيات خطيرة تواجه الحكومة العباسية، فالدول الكافرة والمشركة تتحيّن الفرص للقضاء على الحكومة وعلى

---

[1]- ابن الأثير، المصدر المتقدم، ج٥،ص٤١٦ وما بعد .

- تاريخ الموصل، المصدر المتقدم،ص٣٣٨ وما بعد .

[2] - ابن الأثير ، المصدر المتقدم، ج٥،ص٤٢١.

[3]- العبر في خبر من غبر، المصدر المتقدم ،ج ١ ،ص٢٢٧.

الوجود الإسلامي، وهي تعدّ العدّة لوقتها المناسب، ولهذا أعلن المأمون العفو العام عن قادة الثورات .

وبعد سنتين من سيطرة المأمون على زمام الحكم، وبالتحديد في سنة (٢٠٠ هـ / ٨١٥م) أقدم المأمون على فعل غريب حيث كتب إلى الإمام الرضا (عليه السلام) يدعوه للقدوم إلي خرا سان، فاعتل (عليه السلام) بعلل كثيرة، واستمر المأمون يكاتبه ويسأله حتى علم (عليه السلام) أنّه لا يكف عنه، فاستجاب له، فسار عن طريق البصرة والأهواز وفارس حتى وصل إلى مرو، وهنالك عرض عليه المأمون أن يتقلّد الخلافة والإمرة، فأبى (عليه السلام) ذلك، وجرت في هذه القضية مخاطبات كثيرة دامت نحواً من شهرين، وكان الإمام (عليه السلام) يأبى أن يقبل ما يعرض عليه، فلما كثر الكلام والخطاب في هذه القضية، قال المأمون : فولاية العهد، فأجابه الإمام (عليه السلام) بعد الإلحاح والتلويح بالقتل إلى ذلك . وشرط (عليه السلام) بعض الشروط وقال (عليه السلام) : ((أني ادخل في ولاية العهد على أن لا آمر ولا أنهى ولا أقضي ولا أغير شيئاً مّما هو قائم وتعفيني من ذلك كله[1]))فأجابه المأمون إلى ذلك، فتمّت ولاية العهد في الخامس من رمضان سنة (٢٠١ هـ/٨١٦م)[2]لعلي بن موسى الكاظم (و هو ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن حسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه [٣]) وكان يلقب بالرضا[1] ، وهو الإمام

---

[1]- القمي (محمد علي الحسين أبي جعفر الصدُق):عيون أخبار الرضا ،جزأين،بيروت ،د.ت، ج١، ص١٦١ وما بعد.(وسيرد عيون أخبار الرضا) .

[2]- عيون أخبار الرضا ، المصدر المتقدم،ج١،ص١٦١.

[3]-المقفى ، المصدر المتقدم،ج٤،ص٢٨٣ وما بعد.

أنظر : - البدء والتاريخ، المصدر المتقدم ،ج٦،ص١١١.

الثامن عند طائفة الإمامية الاثني عشرية (وتدعى أحياناً الشيعة الجعفرية نسبة إلى الإمام جعفر الصادق الإمام السادس) ، وأنه زوجه ابنته أم حبيب سنة ٢٠٢هـ.

- دوافع المأمون لعقد ولاية العهد إلى الإمام الرضا :

ربما لم تكن دوافع المأمون من جعل الإمام (عليه السلام) ولياً لعهده نابعة من ولائه لأهل البيت (عليهم السلام)؛ لأن مغريات السلطة والرئاسة متغلبة على جميع الولاءات والميول، ولم يكن المأمون صادقاً في ولائه، وكان ميله للعلويين اصطناعاً كما ذكر ابن العماد [1]، ولا يمكن التصديق بعمق الولاء حتى يكون دافعاً للتنازل عن الحكم وتسليمه إلى الإمام الرضا (عليه السلام) أو توليته للعهد من بعده، فهل يُعقل أن يضحّي المأمون بالحكم الذي قتل من أجله الآلاف من الجنود والقادة، وقتل أخاه وبعض أهل بيته، ثم يسلّمه إلى غيره ؟!

- اليعقوبي،المصدر المتقدم ،ج٢،ص٤٤٨.
- ابن الأثير، المصدر المتقدم ،ج٥،ص٤٢١.
- العبر في خبر من غبر ، المصدر المتقدم،ج١ ،ص٣٣٥.
- ابن وادران(تاريخ العباسيين،تحقيق د.المنجي الكعبي ،بيروت ١٩٩٣م،ص٢٩١.
- السمعاني :الأنساب ، المصدر المتقدم،ج١،ص٨٥.
- النجوم الزاهرة ، المصدر المتقدم،ج٤،ص٧٧.
- تاريخ خليفة بن خياط ، المصدر المتقدم،ج١،ص٤٧٠.
- تاريخ ابن خلدون، المصدر المتقدم ،ج٣،ص٣١٠.
- تاريخ الموصل ، المصدر المتقدم،ص٣٤١.
- تاريخ ابن خلدون، المصدر المتقدم ،ج٢،ص٢١٠.
- ابن الجوزي،المنتظم ، المصدر المتقدم،ج١٠ ،ص٩٣ .
- النعمان بن محمد التميمي المغربي :شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، ج١١، مؤسسة النشر الإسلامي ،د.ت،ص٣٣٩وما بعد.(وسيرد شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار) .
- عيون أخبار الرضا ،المصدر المتقدم ،ج١، ص ١٥١ومابعد .

1- شذرات الذهب ، المصدر المتقدم ،ج٢،ص٢.

وبالفعل لم يدم الأمر طويلاً، ورحل الإمام (عليه السلام) إلى ربّه والمأمون حي يرزق، فلا يستبعد أن تكون دوافع المأمون نابعة من مصلحة حكمه ومستقبل أهل بيته، وهو حال جميع أو اغلب الحكام المتعاقبين على دفة الحكم، وإلا فما معنى الإلحاح على الإمام (عليه السلام) حتى وصل إلى درجة التلويح بل التصريح بالقتل ـ كما سيأتي ـ ويمكن تحديد دوافع المأمون بالنقاط التالية :

- تهدئة الأوضاع المضطربة:

كانت الأوضاع في عهد المأمون مضطربة للغاية، فبعد قتال دام مع أخيه واستيلائه على الحكم فوجئ بعدة ثورات وحركات مسلحة، ومنها ثورات العلويين، وكان المعارضون لحكمه منتشرون في جميع الأمصار الإسلامية، وقد وضّح المأمون حقيقة الأوضاع قائلاً : ((والله ما أنزلت قيساً من ظهور خيولها إلاّ وأنا أرى أنّه لم يبق في بيت مالي درهم واحد ... وأمّا اليمن، فوا الله ما أحببتها، ولا أحبتني قطّ، وأمّا قضاعة فسادالها تنتظر السفياني، حتى تكون من أشياعها، ولمّا ربيعة فساخطة على ربّها مذ بعث الله نبيّه من مُضر))[1].

وقد خلخلت الثورات المسلحة الوضع العسكري والسياسي، فقد نُظر في الدواوين فوجد من قتل من أصحاب السلطان في وقائع أبي السرايا مائتا ألف رجل[2]

1- ابن الأثير ، المصدر المتقدم ،ج٥،ص٤٨٥.

2 - مقاتل الطالبين ،ص٥٥٠.

- ابن كثير ، المصدر المتقدم ،ج١٠،ص٢٤٣.
- العبر في خبر من غبر ، المصدر المتقدم،ج١ ،ص٣٢٩.
- المنتظم ، المصدر المتقدم،ج١٠،ص٧٥.
- شذرات الذهب ، المصدر المتقدم ،ج١،ص٣٥٦،

كسب تأييد أنصار الشيعة :

فقد أراد المأمون من تقريب الإمام (عليه السلام)، وتولّيه العهد أن يستقطب أعوانه وأنصـــاره، ويوقف زحفهم ونشاطهم العسكري، بل يستميلهم إلى جانبه ليتفرّغ إلى بقية الثائرين والمتمردين الذين لا يعتد بهم قياساً للثوار العلويين .

أراد كســـب الأغلبية العظمى من المسلمين لارتباطهم العاطفي والروحي بالإمام (علـــيه السلام) وخصوصاً أهل خرا سان الذين أعانوه على احتلال بغداد، وكان لهم الدور الأكبر في انتصاره على أخيه .

وهـــذا هو الدافع الأقوى ،إذ أن أهل خرا سان كانوا يكنون الكثير من المحبة والولاء لأهل البيت ، ويستطيع المأمون بهذا الفعل أن يكسب تأييد آل البيت وأنصـــارهم ، و لا أدل على ذلك من الدور الكبير الذي ساهم به الرضا في تسكين الســـائرين بعد مقتل الفضل بن سهل، فقد كان الوسيلة الوحيدة لنجاة الخليفة وتهدئة الخواطر[1] .

وبتقريب الإمام (عليه السلام) كان يمكنه امتصاص نقمة المعارضة، وتفويت الفرصة عليها للمطالبة بالحكم، وشق صفوفها عن طريق تقريب البعض وإقناعهم بترك الثورة المسلحة دون البعض الآخر .

ولـــذا أظهر المأمون استعداده للتنازل عن الحكم، ليقوم الإمام الرضا (عليه السلام) بالتصدّي له، وحينما رفض الإمام (عليه السلام) استلام الحكم عرض عليه ولاية العهد فاضطره إلى قبولها، والإمام (عليه السلام) موضع قبول ورضى من قبل جميع المسلمين .

---

[1]- القمي :عيون أخبارالرضا ،المصدر المتقدم ،ج١،ص١٧٤.

وقبوله للعهد ـــ في رأي المأمون ورأي كثير من المسلمين ـــ يعني اعترافه بشرعية حكم المأمون، والرضا الظاهري بتقبّل ولاية العهد، يعني رضاه عن الحكم الواقع وعدم معارضته له، ورضاه هو رضا الأمة التي تواليه عاطفياً وفكرياً.

رأي المؤرخين في إسناد ولاية العهد لعلي الرضا :

يوجد اختلاف بين المؤرخين في تفسير إسناد ولاية العهد لعلي الرضا، فمعظم المصادر : ذكرت أن السبب هو اعتراف المأمون بأحقية آل البيت بالخلافة ،حيث لم يجد أفضل منه علماً ولا نفعاً ولا ورعا ولذلك أسند له الخلافة ، فمعظم المصادرذكرت أن المأمون قام بعقد البيعة اعترافا منه بأحقية آل البيت في الخلافة ،أي قد عاهد الله إن أنتصر على أخيه الأمين أن يجعلها لأكثر الناس صلاحاً فلم يجد أفضل من علي الرضا [1].

أما المصادر الشيعية فلها رأي مخالف ، فهي عُدت أن هذا الأمر كان فيه حيلة، فالقاضي أبي حنيفة التميمي ذكر : ((أن المأمون وقع على رجل من الشيعة فكاسره [2]، فقامت الحجة عليه ،وانقطع ،وأراه القبول لما أجابه ،وجعل يستحثه عن إمام الزمان عندهم فأومى له علي بن موسى بن جعفر بن محمد ،فرأى أنه قد ظفر ببغيته ،ودبر أمراً، وأراد الحيلة فيه أن يظهره ويدعو إليه ،ثم يعمل في قتله ،ولم يطلع أحدا من الناس على باطن مراده في ذلك كي لا يفشو ذلك عنه ،غير أنه دعا الفضل بن سهل فقال له :هل أنت مانعي من أمر أردته فأخبره الأمر فوافقه، أما الحسن بن سهل فأنكره عليه ،وعظم دولة بني العباس وقدر المأمون ،وذكر ما يتخوفه من الانحراف إن فعل ما ذكر ..لكن المأمون أصر على موقفه فوافقه الحسن ..ثم كان قد ذكر أن عليا رفض الأمر ،وجعل الفضل يراسله ويكاتبه في أن يبايع له وهو في كل ذلك يأبى ، ثم لقيه الفضل بنفسه في

---

[1]-الطبري،المصدر المتقدم،ج٥،ص١٨٣٧.

أنظر: - المقفى الكبير،المصدر المتقدم ،ج٤،ص٢٨٣.

- ابن العمراني ،المصدر المتقدم،ص٦٠ ،٦١.

- ابن وادران :تاريخ العباسيين ،المصدر المتقدم،ص٢٨٨.

- ابن طباطبا ،المصدر المتقدم،ص٢١٧.

[2]-أي خاصمه.

ذلــك ،فقــال له :إن أمير المؤمنين أعطى الله عهدا أن يصير هذا الأمر في خير من يعلم، وليس ذلك إلا أنت،ومع ذلك امتنع ،وأدخله المأمون إلى نفسه ،فقال له يا أبا الحسن إني أعطـيت الله عهدا ،ولست تاركه حتى أُصيِّر هذا الأمر إليك من بعدي ،وقد علمت أن عمــر بن الخطاب أدخل عليا في الشورى ،وأمر بضرب عنقه إن لم يصر إلى أمره ...و لم يزل به حتى أجابه وذلك بعد قدومه سنة إحدى ومائتين))[1].

بيــنما ذكــر القمي أن علي الرضا كان يعلم ما سيؤول إليه ،فقد روى عنه عليه السلام: ((حدثني أبي ،عن آبائه عن أمير المؤمنين علي عليهم السلام ،عن رسول الله صلى علــيه وسلم أني أخرج من الدنيا قبلك مسموما مقتولا ...،وأن المأمون أجبره على قبول ولاية العهد ..))[2] .

وأورد القمي خبراً عن الفضل بن سهل بن نوبخت أو ابن أخ له المنجم ،وهو منجم مأموني كبير القدر في صناعته يعلم المأمون قدره في ذلك ،وكان لا يقد م إلا عالماً مشــهوداً لــه بعد الاختبار، وكان المأمون قد رأى آل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مــتخفين مــن خوف المنصور ومن جاء بعده من بني العباس ، ورأى العوام قد خفيت عنهم أمورهم بالاختفاء، فظنوا بهم ما يظنون من الأنبياء ويتفوهون في صفتهم بما يخرجهم عــن الشــريعة من التغالي . فأراد معاقبة العامة على هذا الفعل ،ثم فكر أنه إذا فعل هذا بالعــوام زادهم إغراء به ، فنظر في هذا الأمر نظراً دقيقاً وقال : لو ظهروا للناس ورأوا فسق الفاسق منهم وظلم الظالم ،لسقطوا من أعينهم ولانقلب شكرهم لهم ذما، ثم قال : إذا أمرناهم بالظهور خافوا واستتروا وظنوا بنا سوءا .

وإنما الرأي أن نقدم أحدهم ونظهر لهم إماما . فإذا رأوا هذا أنسوا وظهروا وأظهروا ما

---

[1]- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار،المصدر المتقدم، ج١١، ص٣٣٩وما بعد .

[2]- عيون أخبار الرضا ،المصدر المتقدم، ج١، ص ١٥١ومابعد .

أنظر :-(القنوجي)صديق بن حسن :أبجد العلوم ،تحقيق عبد الجبار زكار ،عدد الأجزاء ٣،دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨،حيث يذكر ((نقل أن الخليفة المأمون لما عهد بالخلافة من بعده إلى علي بن موسى الرضا وكتب اليه كتابه عهده كتب هو في آخر ذلك الكتاب نعم إلا أن الجفر والجامعة يدلان على أن هذا الأمر لا يتم وكان كما قال لأن المأمون استشعر لأجل ذلك فتنة..))،ج٢،ص٢١٤.

-ابن العمراني :الأنباء ،المصدر المتقدم ،ص٦١.

عندهم من الحركات الموجودة في الآدميين ، ويتحقق للعوام حالهم وما هم عليه مما خفي بالاختفاء.

فـــإذا تحقق ذلك أزلت من أقمته ورددت الأمر إلى حالته الأول . وقوي هذا الرأي عنده، وكتم باطنه عن خواصه ،وأظهر للفضل بن سهل أنه يريد أن يقيم إماما من آل أمير المؤمـــنين (علي بن أبي طالب) صلوات الله عليه ! وأفكر هو وهو فيمن يصلح ، فوقع إجماعهما على الرضا، وكان الفضل بن سهل قد قرر ذلك ورتبه ،وهو لايعلم باطن الأمر وأخذ في اختيار وقت لبيعة الرضا، فاختار طالع السرطان وفيه المشتري . ((قال عبد الله ابـــن سهل نوبخت هذا: أردت أن أعلم نية المأمون في هذه البيعة ، وأن باطنه كظاهره أم لا ،لأن الأمر عظيم ، فأنفذت إليه في هذه قبل العقد رقعة مع ثقة من خدمه ، وقلت له : إن هذه البيعة في الوقت الذي اختاره ذو الرياستين لا تتم بل تنقض ، لأن المشتري ، وإن كان في الطالع في بيت شرفه ، فإن السرطان برج متقلب ، وفي الرابع ــ وهو بيت العافية المـــريخ ، وهو نحس ، وقد أغفل ذو الرياستين هذا ،فكتب المأمون إليّ : قد وقفت على ذلـــك ، أحسن الله جزاءك ! فاحذر كل الحذر أن تنبه ذا الرياستين على هذا ، فإنه إن زال عـــن رأيه علمت أنك أنت المنبه له . وكان ذو الريا ستين قد تنبه لذلك ورجع عن عـــزمه ، فما زلت أصوب رأيه الأول خوفاً من اتهام المأمون لي . وما أغفلت أمري حتى مضى أمر البيعة ، فسَلِمت من المأمون))[1] .

وروى أحد الشيعة[2] أن دوافع المأمون لتعيين علي الرضا ولي عهد له هي:

١. إن القـــواعد الشعبية كانت تنظر بنظرات من الشك إلى خلافة المأمون ، بعد أن قتل قائـــد جيوشه خليفتها الشرعي الأمين ،وفقد المأمون رصيده عندها،فأراد المأمون كسبها بهذا التعيين .

٢. إن الشيعة لم يكونوا يؤمنون بحق المأمون الشرعي بالخلافة، فقاموا بانتفاضات عديدة ،

---

[1]- عيون أخبار الرضا ،المصدر المتقدم،ج١،ص١٥٩.

أنظر:- حسن ابراهيم حسن،ج٢،ص١٥٣.

[2]-عامل الاديب:الأئمة الأثني عشرية بيروت ،١٩٨٥،ص١٩٧ وما بعد .

أنظر:- شما(سمير)،أحداث عصر المأمون كما ترويها النقود ،ص١٠٢.

فقام بتهدئة الخواطر إظهاراً أن الإمام علي الرضا قَبِل ولاية العهد طمعا في الدنيا و بذلك يخسر علي الرضا محبة الشعب[1] .

وروى بعض المؤرخين أن بيعة المأمون لعلي الرضا وليا لعهده ، وأمره بطرح السواد شـــعار العباسيين لم يكن من تفكير ذاته وأن الفضل بن سهل كان وراء هذه المناورة . نظـــرا لما كان يتمتع به هذا الوزير من قوة النفوذ والسيطرة حتى على الخليفة المأمون ، وعـــبر الجهشياري عن ذلك بقوله:((إن الفضل بن سهل هو الذي شجع المأمون ، أن يجعل علي بن موسى الرضا ولي عهد المسلمين والخليفة من بعده))[2] .

وهـــناك رواية ذكرها القمي تبين بوضوح أن الفضل بن سهل حاول كما حاول غـــيره من رجال الدولة العباسية وخاصة من ذوي المناصب من الفرس نقل الخلافة إلى العلـــويين فذكر :((أن الفضل بن سهل قد قصد مع هشام بن ابراهيم الرضا عليه السلام فقـــال له يابن رسول الله ،جئتك في سر فأخل لي المجلس ، فأخرج الفضل يمينا مكتوبة بالعتق والطلاق وما لا كفارة له وقالا إنما جئناك لنقول كلمة حق وصدق ، وقد علمنا أن الإمرة أمرتكم والحق حقكم يابن رسول الله، والذي نقوله بألسنتنا عليه ضمائرنا وألا ينعتق ما نملك ،والنساء طوالق ،وعلي ثلاثين حجة راجلا أنا على أن نقتل المأمون ونخلع لك الأمر حتى يرجع الحق إليك))[3] .

وقـــد تجرأتبعض الشخصيات العربية كنعيم بن حازم أن يناقش الفضل بن سهل في هذا التصرف الذي كان يرمي من ورائه تحويل الخلافة إلى الفرس بقوله له : ((إنك إنما تريد أن تزيل الملك من بني العباس إلى ولد علي ،ثم تحتال عليهم ،فتصير الملك كسر ويا ، ولـــولا أنك أردت ذلك لما عدلت عن لبسة علي وولده ، وهي البياض ، إلى الخضرة ، وهي لباس كسرى والمجوس،ثم أقبل على المأمون فقال :الله الله يا أمير المؤمنين ،لايخدعنك

---

[1] -أنظر عيون أخبار الرضا ،ص١٥١،١٥٢.

[2] -الجهشياري ، حيث يخبرنا عن النفوذ الذي كان الفضل بن سهل يتمتع به حيث كان يجلس على كرسي مجنح يحمل فيه إذا أراد الدخول على المأمون فلا يزال عليه حتى تقع عين المأمون عليه ،فعندها ينزل فيمشي،ص٢٥٣.

[3] - عيون أخبار الرضا،ج١،ص١٧٧.

عن دينك وملكك ،فإن أهل خراسان لايجيبون إلى بيعة رجل تقطر سيوفهم من دمه ،فقال له المأمون :انصرف ،و لم يظهر له غضباً)) [1] .

وهنا لابد من القول بأن أهل خراسان قد أصيبوا بخيبة أمل بعد نكبة البرامكة ،فوجدوا في المأمون المسوغ الشرعي لأهدافهم فوقفوا إلى جانبه حتى كان النصر الذي عدّوه ما كان لولا دعمهم ،ثم أرادوا أن يحولوا الخلافة إلى آل البيت ، لكن علي الرضا رفض الأمر وقبل بولاية العهد .

أمــا شــاكر مصطفى فيقول في هذا الموضوع :((أنه يجب أن نفتش عن تفسير الإنقــلاب العلوي في تفكير المأمون،وفي تلك الصلة القوية التي كانت قائمة منذ حوالي القــرن ما بين الشيعة الزيدية وبين المعتزلة من جهة ، وبينها وبين جماهير الفقهاء في العالم الإسلامي من جهة أخرى .

فــإن الزيدية كانت تتبنى فكرها الفلسفي الفقهي على أساس الاعتزال وكانت نظرية الــزيدية في الإمامة متطابقة وهي تعطيها لأجدر الناس بها دون اعتبار للفرع النبوي الذي ينتسب له[2] .

ولاشك أن المأمون الذي وجد نفسه خارج النظرية العباسية ووجد انكماش الجماعة العباسية كلها عنه أراد أن يثبت حقه في الخلافة عن طريق تبني الاعتزالي –الزيدي –الذي يسوغ إمامته ويوحد بين مختلف الاتجاهات الإسلامية ،وقد أراد تأكيد ذلك بإعطاء ولاية العهــد لأبرز أبناء البيت العلوي في ذلك الوقت كبرهان على حق الإمامة للأفضل وعلى ضرورة توحيد الاتجاهات الإسلامية .واختار لهذه العملية السياسية –الدينية علي الرضا مع أنه ليس من الزيدية ولكن من الفرع الجعفري .

---

[1] – الجهشياري ،المصدر المتقدم،ص٢٥٦.
أنظر اليوزبكي :الوزارة ،المرجع المتقدم،ص١٠٩.

[2] – تاريخ ابن خلدون ،المصدر المتقدم،ج٣،ص٢١٦.
– سمط النجوم العوالي :المصدر المتقدم ،ج٣،ص٣٥٧.
– دولة بني العباس ،المرجع المتقدم،ج١ ،ص٤٥٣.
– كاهن (كلود) ،تاريخ الشعوب الإسلامية ،المرجع المتقدم،ج١،ص١٠٩.

ولم يكن المأمون صاحب مذهب الاعتزال،بل لقد أعدّ هذا المذهبَ عددٌ كبَير من المتكلمين في البصرة وبغداد منذ زمن ،وعلى رأسهم أبو هذيل العلاف والنظام[1] الذي تتلمذ عليه بعض الشيء .

وطالما أن هارون الرشيد قد أساء الظن بالمعتزلة ،وكذلك فعل الأمين ،فمن المسلم به أن المعتزلة كانت في جانب المأمون الذي قرب إليه - منذ وصوله بغداد - أحد دعاتهم المتشددين وهو ابن أبي دؤاد وجعله قاضي قضاته .

والنزعة الاعتزالية عند المأمون ليس مردها فقط إلى هذه المناسبة ،إذ لو تمت المصالحة بينه وبين المعتدلين من آل البيت ،لكان معناه ولاء هؤلاء العلويين لصالحه الخاص أولاً، فيكون له الحق في توجيه الأمة الإسلامية إلى تفهم شريعتها وعقيدتها ،ويكون بوسعه آنئذ أن يفرض عليها عقيدة رسمية ،وهي بطبيعة الأمر عقيدة المعتزلة الذين نشروا بين الناس نظرية في الإمامة ،تخول الإمام — الذي يتحلى بالصفات المطلوبة — أن يكون له أثر راجح يتجاوز إجماع الفقهاء .وهذا الموقف الذي وقفته الزيدية وهم من أشد أتباع المعتزلة. ومجمل القول إن تأييد المأمون للمعتزلة معناه ضمناً العودة إلى تلك المحاولة المخفقة التي حاولها منذ مدة مع علي الرضا فيكسب الزيدية إلى جانبه،هذا من جهة ،ومن جهة ثانية يدعو هذا الموقف إلى عقد الإمامة لمن كان أجدر الناس بها ،فهو يؤيد الإمام حينئذ مهما كان الفرع الذي ينتسب إليه .

والواقع أننا لم نشهد اندلاع فتنة زيدية واحدة طالما استمر نفوذ المعتزلة ،في حين سوف تنشب فتن زيدية عديدة بعد سقوط المعتزلة مباشرة.

لاشك أنه كان للفضل بن سهل الفارسي دور كبير في حمل المأمون على مبايعة علي الرضا بولاية العهد ، فقد كان صاحب النفوذ والقوة (وخاصة بعد انتصار المأمون على الأمين ،فقد زادت هذه القوة ،ولا يستبعد أن يكون المأمون قام بهذا العمل إرضاء له ولشيعته ،ومن غير الممكن أن يكون الفضل بن سهل غير راضٍ عن هذه البيعة)، وبذلك يكون قد حقق خطته وخطة الشعوبيين الفرس ،ذلك لان الفرس كان يرضيهم أن يكون إمام المسلمين ا ، وطالما قاتلوا في هذا السبيل وناصروا بني علي ، فرأوا في ذلك
من آل فاطمة الزهراء

[1]- البدء والتاريخ ، ،المصدر المتقدم،ج٥،ص١٤٢.

فرصتهم للظفر بالخلافة دون حرب أو قتال ، وساعد على ذلك أن المأمون كان يؤثر عليا علـــى غـــيره من الخلفاء الراشدين ، وكان يرى أنه أحق بالخلافة منهم ، وقد يرجع هذا النظر إلى أثر البيئة التي نشأ فيها المأمون ، فمن المعروف أن الذي أشرف على تربيته في بـــادئ الأمـــر جعفر البر مكي ، ثم انتقل إلى الفضل بن سهل ، وكلهم كان ممن يتشيع فتمكن منه الميل إلى الشيعة بطبيعة الحال ، بخلاف ما ذهب إليه آباؤه من محاربتهم .

و نرى أنه من الطبيعي أن يتأثر المأمون بالبيئة التي عاش فيها فكما يقال الإنسان ابن بيئـــته ،لكن الأمر هنا يختلف فالسلطان له قوانين خاصة به تحكمه ، وخاصة مع المأمون الذي قَاتَل أخاه من أجل حقه في الخلافة ،فهل من المعقول أن يتنازل عنها بهذه البساطة ! وروى ابن قتيبة حديثا عن رسول الله صلى عليه وسلم يقول:((حدثنا سلم ابن قتيبة عن ابـــن ذئب عن المقبري عن أبي هريرة قال :قال :رسول الله صلى عليه وسلم ستحرصون علـــى الإمارة ،ثم تكون حسرة وندامة يوم القيامة ،فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة))، ويذكـــر في موضع آخر((إنما مثل السلطان في قلة وفائه للأصحاب، وسخاء نفسه عمن فقد منهم مثل البَغِيِّ والمكتِّب ،كلما ذهب واحد جاء آخر))[1] .

وروى عـــن عـــبد الملك بن مروان أنه قال حين قتل مصعب بن الزبير : ((فقد والله كانت لحرمة بيننا وبينه ،ولكن هذا الملك عقيم ،لا رحم فيه))[2].

وفي الواقـــع لا نستطيع أن نجزم أن المأمون كان يهدف من وراء عقد البيعة لعلي الرضا إلى تدبير أمر ما أو حيلة ،والأكثر إقناعا القول أن هذا الأمر إنما بتدبير الفضل بن سهل ، وشـــيعته المؤيدين لأهل البيت ، أو نتيجة الضغط الذي مارسه هؤلاء على المأمون ،وقد كان هذا ربما من الأسباب التي دفعت بالمأمون إلى التخلص منه .

وهناك ملاحظة هامة يجب أن لا ننساها ،وهي أن طريقة المأمون في إعطاء ولاية العهد للرضا بشكل يكاد يكون إجبارياً قوله : ((لابد من قبولك ذلك ،فإني لا أجد محيصاً عنه))،تـــدل على اضطراره لهذه الخطوة ،فهل شعر بضعف مركزه حتى في خراسان بعد أن

1-ابن قتيبة :المعارف، ج١،ص٥١٠.

2-البغدادي،المصدر المتقدم،ج١٢،ص١٠٧.

أنظر :- ابن عساكر ،تاريخ دمشق ،المصدر المتقدم،ج٥٨،ص٢٣٥.

- ابن سعد :الطبقات الكبرى ،المصدر المتقدم،ج٥،ص٢٢٧.

خســـر تأييد العباسيين له، فأراد استغلال الميول الشيعية الناشئة هناك ؟والتي تفشت بعد يـــأس خرا سان من العباسيين ؟ أم أن الفضل بن سهل أراد تحويل الخلافة إلى آل علي تمهـيدا لتحويلها ملكا كسر ويأـكما حاول أبو سلمة أن يفعل من قبل عندما حاول أن ينقل الخلافة إلى آل البيت لكنه أخفق ـكما أقم في وجهه أمام المأمون إذ ذاك ؟

وأخيراً ومهما كانت الأسباب فإن المأمون قام بعقد البيعة لعلي الرضا، وجعله ولياً لعهده والسؤال هنا كيف تقبل العباسيون في بغداد هذا الأمر؟

_صدى البيعة لعلي الرضا بولاية العهد في بغداد :

أمـــا أهل بغداد فقد اختلفوا فيما بينهم منذ أن وصلهم كتاب الحسن بن سهل في ســـنة ٢٠١هـ/٨١٦م بين اتخاذ الخضرة أو السواد ، ففريق آثر المبايعة لعلي الرضا و لبس الأخضـــر ،وفـــريق لم يشأ أن يخرج الأمر من ولد العباس . إلا أن أفراد البيت العباسي اتفقوا على أن يبايعوا شخصاً منهم ويخلعوا المأمون ، وفي خلال هذه الاجتماعات كان اثـــنان مـــن أبـــناء المهدي وهما إبراهيم وأخوه المنصور قد أظهرا نشاطا ملموسا فكانا المتكلمين والمحرضين على خلع المأمون ،والبيعة لعباسي منهم .

ويبدو أن إبراهيم بن المهدي كان يسعى لأن يكون المختار لولاية العهد، فعندما علم باضـــطراب الأحـــوال في بغداد بادر بالقدوم إليها من البصرة . وأيا ما كان الأمر فقد حـــدثت فتنة خطيرة في بغداد نتيجة لمبايعة المأمون لعلي الرضا،وعلى الرغم من محاولات الحسن بن سهل السيطرة على الموقف والتغلب على الصعاب ، وزاد في دقة موقف المأمون أن الحسن بن سهل مرض مرضاً أبعده عن مسرح الأحداث .

وأخـــذت هذه الفتنة تقوى ويستفحل خطرها حتى كانت أوائل سنة ٢٠٢ هـ/٨٢٢م، عـــندما أجمع أهل بغداد على خلع المأمون وتولية عمه إبراهيم بن المهدي ولقبوه المبارك ، وقيل المرضي . وقد جمع الخطيب البغدادي اللقبين فقال سموه المبارك ويقال سمي المرضي[1] إلا أن ابن تغري بردى جاء بلقب آخر هو (المبارك المنير)[2].

---

[1] –البغدادي ،المصدر المتقدم،ج٦،ص١٤٢.

[2] –النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ،المصدر المتقدم،ج٢، ص١٧٢.

وإن ما دفعهم إلى مبايعة ابراهيم بن المهدي ما وعدهم به أنصاره من إعطاء كل من يبايع له بالخلافة ولإسحق بن موسى الهادي بولاية العهد عشرة دنانير في أول يوم من المحرم من السنة المقبلة فرضى بعضهم ورفض البعض الآخر .

ويتضح من سير الأحداث أن الأسرة العباسية ببغداد كانت صاحبة الأمر في اختيار الخليفة وليس لبقية الناس إلا أن يعطوا تأييدهم لمن يتم اختياره ويتفق العباسيون عليه . لذلك بذل العباسيون ببغداد جهودًا مضنية حتى لا يخرج أمر الخلافة من ولد العباس ليذهب إلى ولد علي ، لأن في خروج الخلافة منهم زوال كثير من الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها ، ويبدو أن اختيار إبراهيم بن المهدي خليفة لم يتم دون محاولات ماضية لاختيار غيره .

فقد ذكر اليعقوبي أن جماعة العباسيين في بغداد ذهبوا إلى محمد بن صالح بن المنصور، وحاولوا إقناعه بقبول الخلافة بعد أن خوفوه بنتائج زوالها عن بني العباس ، إلا أنه رفض قبولها ، على أساس أنه أول عباسي بايع المأمون في بغداد [1] .

كذلك حاولوا اختيار منصور بن المهدي ، إلا أنه أبى أيضا فجعلوه نائباً عن المأمون في بغداد إلى أن يعود إليها ، وذلك لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة هـ ٢٠١/٨٢١[2].

وظل منصور هذا زهاء ستة أشهر يقوم بمهمته قبل أن تتم البيعة لإبراهيم بن المهدي .

وكان أول من بايعه عبيد الله العباس بن محمد الهاشمي ، ثم منصور بن المهدي، ثم سائر بني هاشم ،.ثم القواد وكان المتولي لأخذ البيعة المطلب بن عبد الله بن مالك . أما الذين سعوا له في البيعة فهم السندي وصالح صاحب المصلى ، ومنجاب ، ونصير الوصيف وسائر الموالي[3].

= ـ البدء والتاريخ ،المصدر المتقدم، ج٦،ص١١١.

– ابن كثير،المصدر المتقدم ،ج١٠،ص٢٤٧.

– ابن الجوزي :المنتظم،المصدر المتقدم ،ج١٠،ص٩٤،٩٣.

[1]-اليعقوبي،المصدر المتقدم، ج ٢، ص٤٥٠.

– نظام الوزارة في العصر العباسي الأول ،المرجع المتقدم ،ص١٨٧.

– سرور (جمال الدين):الحياة السياسية ،المرجع المتقدم،ص٢٢٢.

[2]-الطبري ،المصدر المتقدم، ج٥ ص١٨٣٧ .

3 – تاريخ ابن خلدون،المصدر المتقدم، ج٢،ص٢١٠.

ويمكننا أن نضيف إلى هؤلاء أسماء أخرى وردت في كتب التاريخ، أمثال إبراهيم بن عائشة ، ومالك بن شاهين ، ومحمد بن إبراهيم الإفريقي جد الأغالبة ، والبغوي وعيسى ابن أبي خالد` وسعيد بن الساجور وأبي البسط [1].

أما أعيان المجتمع العباسي الذين أيدوا إبراهيم وبايعوه فيمن بايعه بالخلافة فكان في مقدمتهم الفضل بن الربيع الذي تولى حجابته طوال خلافته [2]، ونعيم بن حازم ، وكان وجهـا من الوجوه، وقائداً من قواد المأمون إلا أنه فضل الانضمام إلى إبراهيم هو ومن كان تحت إمرته من الجيش [3].

د ـ سيطرة إبراهيم بن المهدي على بغداد والكوفة وما يليهما :

وبعد أن تمت البيعة لإبراهيم بن المهدي كان عليه أن يبدأ بإرساء قواعد حكمه، وذلك بالسيطرة على الموقف،ومحاربة الفوضى المتمثلة بالثورات الآتية :

أولا ـ الثورة التي قام بها العامة من أهل بغداد من باعة وكسبة وصناع وما إلى ذلك :

بسـبب تدهور وضع البلاد السياسي بعد قتل الأمين سنة ١٩٩ هـ/٨١٤م [4] ، وانتشار الفتن والاضطرابات في البلاد وتفشى الفساد، وكثرة ظهور الشطار .

- الطبري ،المصدر المتقدم، ج ٥،ص١٨٣٨.
- ابن الأثير،المصدر المتقدم ،ج٥،ص٤٢٢.
- تاريخ خليفة بن خياط ،المصدر المتقدم ،ج١ ،ص٤٧٠.
- سمط النجوم العوالي ، ،المصدر المتقدم،ج٣،ص٤٣٨.
- أبو محمد بن أسعد (اليافعي):مرآة الجنان ،عدد الأجزاء ٤،دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة ،١٤١٣هـ.

المصدر المتقدم،ج٢،ص٢.

- النجوم الزاهرة ،المصدر المتقدم،ج٢،ص١٧٠.

1 - ابن طيفور :تاريخ بغداد ،بغداد ١٩٦٨،ص١٧٧.

2 - الجهشياري ،المصدر المتقدم،ص٢٥٨ .

3 -- الجهشياري ،المصدر المتقدم،ص٢٥٩.

4 - الطبري ، المصدر المتقدم،ج٥،ص١٨٣٥ ومابعد .

- الخضري ،تاريخ الدولة العباسية ،المرجع المتقدم، ص١٥٢.
- الكروي ،نظام الوزارة ،المرجع المتقدم،ص١٨٥ ومابعد .

ولما لم يكن في البلاد جيش يصونها ويحفظ كرامة أهلها ،فقد ظهر هؤلاء الأفراد وسموا أنفسهم المطوعة أي المتطوعون لحفظ الأمن في العاصمة ، وانتخبوا من بينهم رجلا يدعى خالد الدريوش من أهل بغداد ،ودعى هذا الزعيم جيرانه وأهل محلته لمعاونته على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولم تكن ثورته هذه موجهة ضد الحكومة بل كان يساند الحكومة في عمله ، ولذلك كان يسلم المفسدين الذين يلقى القبض عليهم إلى الجهات المختصة بعد أن يعاقبهم بالحبس أو الضرب .

ثم قام من بعده شخص آخر أشد خطورة منه اسمه سهل بن سلامة الأنصاري من أهل خرا سان ، وكان يسكن في محلة الحربية ببغداد . فتزعم هذه الفئة من الناس وأخذ يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،والعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلق مصحفا في عنقه، ثم بدأ بجيرانه يدعوهم للانضمام م إليه ،ثم بأهل محلته، ثم دعا الناس جميعا إلى ذلك الشريف منهم والوضيع . وجعل له ديوانا يثبت فيه أسماء من يدخل في جماعته .

فبايعه على ذلك خلق كثير من الناس ، واستطاع أن يحمي المارة في الطرقات ،وأن يحمي أصحاب البساتين من الضرائب التي كان يفرضها عليهم الأشقياء كل شهر .

وكان من مبادئ سهل محاربة من يخالفه سواء أكان من أصحاب السلطان أو من أفراد الناس،وهذه المبادئ بذلك تختلف عن المبادئ التي سار عليها خالد الدر يوش الذي كان يهدف إلى معاونة السلطات في القبض على أيدي المفسدين .

لقد انضم إلى سهل الأنصاري عدد كبير من الناس بما فيهم منصور بن المهدي وخزيمة ابن خازم ، واتخذ من مسجد الطاهريين بمحلة الحربية مقراً له في الرابع عشر من شهر رمضان سنة ٢٠١ هـ/٨١٦م.

وقام سهل بتحصين المحلات المؤدية إلى مقره ، وجعل أتباعه يحصنون سطوح المنازل المشرفة على الطرق استعدادا لمحاربة الحكومة . ثم ازداد خطر ابن سهل وجماعته وأصبح ضررهم أكثر من نفعهم ، لذلك كان همُّ إبراهيم بن المهدي خليفة بغداد الجديد القضاء على هذه الجماعة ، والسيطرة على الموقف .

ونجح إبراهيم في مسعاه فعلاً واستطاع جيشه مهاجمة مقر سهل ، وإلقاء القبض عليه وإيداعه السجن .

وظل سهل محبوساً طوال عهد إبراهيم، وعمل إبراهيم على الإفادة من وجود سهل في أسره بتحريض الناس على المأمون ،ومن ثم محاربته ، وذلك على أثر اقتراب المأمون من بغـداد . فكان يخرج نهاراً من سجنه يدعو الناس لمحاربة المأمون في مسجد الرصافة فإذا جـن الليل أعيد إلى سجنه ، وظل الأمر على ذلك الحال بضعة أيام ،حتى إذا كانت ليلة الاثنين لليلة خلت من ذي الحجة خُلِّيَ فذهب واختفى[1] .

ثانياً- ثورة أسد الحربي :

كان أسد من أصحاب إبراهيم بن المهدي أثناء توليه الخلافة ولكنه ثار في جماعة من الحربية على إبراهيم ، وقد أرسل إليه إبراهيم عيسى بن أبي خالد فقبض عليه وعلى ابن له وقتلهما وصلبهما [2] .

ثالثاً - ثورة مهدي بن علوان الشاري :

وثـار مهدي بن علوان الشاري (أو الحروري) بناحية عكبرا القريبة من بغداد في سنة ٢٠٣ هـ/٨٢٣[3].

وقيل أنه خرج بناحية بزرجسابور وهي قريبة من بغداد أيضاً[4]، وأنه سيطر على منطقة نهر بوق [5]و الراذانيين [6].

1_ ابن قتيبة ،المعارف ،المصدر المتقدم ،ص١٣٣

-أنظر الطبري ،المصدر المتقدم،ج٥،ص١٨٤٤،١٨٤١.

- ابن الأثير،المصدر المتقدم، ج٥، ص٤٤٢.

- تاريخ ابن خلدون،المصدر المتقدم ،ج٣،ص٣١١.

2- اليعقوبي ،المصدر المتقدم،ج٥، ص٤٥١

3-ابن قتيبة المعارف،المصدر المتقدم ،ص١٣٣.

4-ياقوت الحموي :معجم البلدان ،من طساسيج بغداد ،ج١٤،ص١٤٢.

5- ياقوت الحموي: المصدر نفسه ،ج٤،ص٥١٠وهي أصل منطقة بغداد نفسها .

6-- ياقوت الحموي: المصدر نفسه،ج٩،ص١٤،وهي منطقة تشمل قرى عديدة وتقع في الجانب الشرقي من بغداد .

وقـــد اختلفت الروايات في كيفية القضاء على مهدي الشاري، فابن قتيبة يذكر أن إبـــراهيم سير لمحاربته القائد أبا اسحق المعتصم بن الرشيد ،ولكن المعتصم فرّ أمام مهدي الشاري هارباً إلى بغداد [1].

أمـــا اليعقوبي فذكر أن إبراهيم سير إليه المطلب بن عبد الله ، ولكنه فرّ منه ورجع إلى بغـــداد فاضطر إبراهيم بن المهدي إلى إرسال أبي اسحق المعتصم الذي استطاع أن يهزمه ويرغمه على الفرار ، ثم ينجح في القبض عليه[2] .

وظـــل مهـــدي الشاري أسيراً عند إبراهيم حتى مجيء المأمون الذي أخرجه من السجن وألبسه السواد وأجلسه على بابه حتى مات [3].

رابعا- ثورة أهل الكوفة :

ثـــار أهـــل الكوفة بزعامة واليها العباس بن موسى بن جعفر العلوي الذي رفض الخضـــوع والطاعة لإبراهيم ، وكان يدعو للمأمون ولولي عهده علي بن موسى الرضا العلـــوي . وانقسم أهل الكوفة على أنفسهم إلى فريقين : الأول يؤيد الوالي العلوي وقد تأهب هذا الفريق للقتال تحت قيادته .

والثاني وهم المعارضون ،وينقسمون بدورهم إلى فرعين : فرع من غلاة الشيعة الذين تركوا مناصرة الوالي العلوي ،لأنه لم يدع لعلي بن موسى الرضا أولاً ولنفسه من بعده أو لأحد أهل بيته بدلاً من الخليفة المأمون . وفرع من المعارضين للوالي وهم العباسيون أهل الكوفة .

لـــذلك أرســـل إبراهيم إلى الكوفة جيشاً في سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م لمحاربة الوالي العباسي العلـــوي وأنصاره [4]،واشتبك الفريقان في معركة عنيفة دامت ثلاثة أيام اضطر في نهايتها بعض رؤساء الكوفة إلى طلب الأمان من قادة جيش إبراهيم فلبّوا طلبهم . ودخل الجيشُ الكوفة وأقيم على الكوفة والٍ جديد من أهلها هو الفضل بن محمد بن الصباح الكندي، ولكن إبراهيم شكّ في ولائه فأمر باستبدال هذا الوالي لميله إلى أهلها ، واسند ولايتها إلى

---

[1]- المعارف،المصدر المتقدم ،ص١٣٣.

[2]-اليعقوبي،المصدر المتقدم ،ج٢،ص٤٥١.

[3]- اليعقوبي ،المصدر المتقدم ،ج٥، ص٤٥١.

[4]- ابن الأثير،المصدر المتقدم ،ج٥،ص٤٤٢.

غسان ابن أبي الفرج ثم عزله ،وولاها سعيد ابن أخي الهول الذي استمر والياً عليها حتى نهاية حكم إبراهيم [1].

وهكـــذا استطاع إبراهيم السيطرة على بغداد والكوفة وأغلب مناطق العراق (عدا واسط التي كانت لا تزال في حوزة عسكر المأمون) [2].

صدى تعين إبراهيم بن المهدي ولياً للعهد على الخليفة المأمون؟ وهل كان على علم بما يجري في بغداد ؟

كان الفضل بن سهل يخفي عن المأمون حقائق الأخبار وما يجري في بغداد ،ولكن عندما استفحل الأمر في بغداد ، وفي سنة ٢٠٢ هـ/٨١٧م أخبر علي الرضا المأمون بما لم ينجح هر ثمة أن يخبره به[3]،وهو بما كان الفضل بن سهل يستر عنه من الأخبار، و بأن أهل بيـــته والناس قد نقموا عليه أشياء ،وأخبره أن الحرب قائمة بين إبراهيم بن المهدي الذي بايعـــه أهل بغداد بالخلافة،و بين الحسن بن سهل وأن الناس ينقمون عليه مكانه ومكان أخيه ومكان علي الرضا ومكان بيعة المأمون لعلي الرضا من بعده ... فلما تحقق ذلك عند المأمون أمر بالرحيل إلى بغداد، وكانت تلك بداية النهاية للفضل بن سهل .

حـــيث رتب مؤامرة للتخلص منه بأن أوعز إلى مماليكه أن يقتلوا الفضل بن سهل ، وتظاهر المأمون بالحزن على الفضل بعد مقتله .

وكان الحسن بن سهل قد كتب إلى أخيه الفضل ــ وقد أحس بما أضمره المأمون له من شـــر -ينصـــح له أن يحتاط لنفسه خشية الاغتيال وقال في كتابه : «إن نظرت في تحويل الســـنة ، فوجدت فيه أنك تذوق في شهر كذا يوم الأربعاء حر الحديد وحر النار، وأرى أن تحجـــم أنـــت وأمير المؤمنين والرضا من دخول الحمام في هذا اليوم ليزول عنك نحسه ودخـــل الفضـــل الحمام في يوم الأربعاء الذي حذره منه أخوه ، فقبض عليه جماعة من

---

[1] - الطبري،ج٥،ص ١٨٣٩ وما بعد.

[2] -اليعقوبي،المصدر المتقدم،ج٢،ص٤٤٥.

- ابن عساكر ،تاريخ دمشق ،المصدر المتقدم،ج٧،ص١٦٨.

[3] - الجهشياري ، المصدر المتقدم،ص١٦١.

الرجال واغتالوه))[1].

يظهر أن كتاب الحسن بن سهل لم يصل إلى أخيه الفضل قبل يوم الأربعاء المشؤ م ، أو أرغـــم على دخول الحمام بعد أن وصل إليه الكتاب . وإن صحت هذه الرواية ، فقد لهج الحسن بن سهل بما كان سائدا بين أفراد البيت العباسي ببغداد، وبما كان من هياجهم علـــى المأمـــون لتوليته رجلا من العلويين ، وعملهم على التخلص من المأمون والرضا والفضل . وكان للفضل بن سهل شيعة قوية تؤيده وتنصره .

فلمـــا رأوا مـــا حل به اتهموا المأمون ، ورموه بالاشتراك في المؤامرة ، وشغب قواده خراسان وجنودهم وغيرهم من أنصار الفضل على الخليفة وتجمعوا ببابه وهموا بإحراقه . ولمـــا رأى المأمـــون أن حياته مهددة بالخطر، طلب إلى علي الرضا أن يركب إلى الثوار ويصـــرفهم . وكان الرضا هو الوسيلة الوحيدة لنجاة الخليفة وتهدئة ا لخواطر، لمحبة أهل خراســـان له وصدقهم في الإخلاص لطاعته . ولا غرو، فإن إشارة واحدة كانت كفيلة بتهدئة خواطر الثائرين وعدولهم عن رأيهم[2] .

هكـــذا مـــات الفضل بن سهل وتفرق أنصاره ، ونجى الخليفة مما كان يتهدده من الخطـــر في ذلـــك الظرف العصيب . وبموت الفضل بن سهل لم يبق أمام المأمون إلا علي الرضـــا، وكـــتب إلى أخيه والي العراق الحسن بن سهل يعزيه ؟ وأنعم عليه وتزوج ابنته إكـــراما له . وفي الوقت نفسه أمر بالقبض على الفاعلين ، ولما تجرءوا بأن قالوا : ((إنا فعلنا هذا بأمرك)) أمر بقتلهم .

---

[1]-عيون أخبار الرضا ،المصدر المتقدم،ج١،ص١٧٣.
- المقفى ،المصدر المتقدم،ج٤،ص٢٨٤.
-أبو الفداء المختصر ،المصدر المتقدم،ص٣٢.
-تاريخ الموصل ،المصدر المتقدم،ص٣٤٣.
- اليوزبكي ،الوزارة ،المرجع المتقدم،ص١١٠ وما بعد .
- العش (يوسف)؛الخلافة العباسية ،المرجع المتقدم،ص٩١ وما بعد.
-سرور (جمال الدين)؛الحياة السياسية ،ص٢٣٠.
- شما (سمير)؛ أحداث عصر المأمون كما ترويها النقود، ،المرجع المتقدم ،ص٥٨.
[2]- عيون أخبار االرضا ،المصدر المتقدم،ج١ ،١٧٤.

استمر المأمون متوجها نحو بغداد ، ومر في طريقه بمدينة طوس حيث توفي الرشيد .وهناك دبر أمرا آخر ،فقد مات علي الرضا بشكل مفاجىء بطوس في سنة ٢٠٢ هـ/٨١٧م فصلى المأمون عليه ودفنه عند قبر أبيه الرشيد.

ولـمـا تـوفي كتب المأمون إلى الحسن بن سهل يعلمه بموت علي ، وما دخل عليه من المصيبة بموته ، وكتب إلى أهل بغداد وبني العباس والموالي يعلمهم بموته ، وانهم نقموا عليه لبيعته لعي الرضا وقد مات ، و يسألهم الدخول بطاعته .

ولاشـك أن موت علي الرضا وانتهاء البيعة لعلوي ،وكذلك مقتل الفضل ذي الرياسـتين في سـرخس في شعبان سنة ٢٠٢ هـ /٨٢٢م الذي أثار الكثير من الكراهية بسبب نزوعه إلى السلطة وتدابيره غير الموفقة ،وقتله هر ثمة بن أعين ،وإهانته من شهدوا ضـده بإخفائـه له حركات أهل بغداد ضد أخيه الحسن بن سهل والمأمون ، قد سهلا للمأمون عودته إلى بغداد وإرضاء البيت العباسي وأهل بغداد أن يكون هو الخليفة .

وفاة علي الرضا:

اختلفت كلمة المؤرخين في كيفية قتل الرضا فمنهم من ذكر أن المأمون دس له السم في عـنقود مـن العنب أوفي بعض الأشربة . وذُكِر أن المأمون أمر أحد رجاله أن يطيل أظافره وألا يطلع أحدا على ذلك . ثم استدعاه فأخرج إليه شيئا يشبه التمر هندي وقال لـه : «اعجـن هـذا بيديك جميعا)) ففعل ثم دخل علي الرضا فكلم المأمون بما أغضبه فصـاح المأمون بأحد غلمانه وأمره أن يقدم إلى الرضا ماء الرمان (أو عصير التمر هندي على الأصح) ثم قدمه المأمون للرضاء فمات بعد يومين .

وقـد ذكر ابن أبي الصلت « أنه دخل على الرضا وقد خرج المأمون من عنده فقال : يا أبا الصلت لقد فعلوها والله، وجعل يوحد الله .وقد روى هذا المؤرخ نفسه رواية أخرى عـن كيفية موت الرضا، فذكر أنه كان يحب العنب فأخذ له شيء منه فجعل في موضع اقماعـه الإبـر أياما»[1] ثم نزعت وجيء به إليه ، في كل منه ،وهو في علته التي ذكرناها

[1]- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار،المصدر المتقدم،ج١١،ص٣٤٣،وما بعد .

انظر : محسن الأمين :أعيان الشيعة ،دار التعارف للمطبوعات بيروت ،١٩٨٣،ج٢،ص٣٠.

فقتلته .

بينما المصادر الأخرى كابن الأثير وابن خلكان وأبو محمد بن أسعد اليافعي ذكروا بأنـــه مات مسموماً[1] على حين سكت معظم المصادر الأخرى الموثوق بها عن ذكرها، وأكتفوا بالقول أنه مات حيث أكثر من أكل العنب[2] .

لا يســتبعد أن المأمون لما رأى اختلال أمر السلطة،وانتفاض أهل بغداد عليه وخلعه وبيعــتهم لإبــراهيم بن المهدي، وكان سبب ذلك بيعته للرضا بولاية العهد وكان الناس ينسبون ذلك إلى الفضل بن سهل ،وكان الفضل يخفي اضطراب المملكة عن المأمون ربما خـــوفا من هذه النسبة أو حتى لا يذهب الخليفة إلى بغداد ، وبذلك يخسر الفضل النفوذ الذي يتمتع به في خرا سان .

علـــى أي حال فقد خاف المأمون ذهاب ملكه،ورأى أنه لا يكف عنه سوء رأي الـــناقمين منه إلا قتل الفضل بن سهل ،فبعث إلى الفضل من قتله في حمام،ولا يستبعد أن يكون قد دبر قتل الرضا ،فالملك عقيم لارحم فيه كما ذكرنا آنفاً .

- اليعقوبي ،المصدر المتقدم،ج٣،ص٤٥٣، ذكر أنه مات برمان مسموم.

[1]- ابن الأثير ،المصدر المتقدم، ج٨،ص٤٤٨.
- المقفى ،المصدر المتقدم،ج٤ ،ص٢٨٤.
- ابن خلكان ،المصدر المتقدم،ج٣،ص٢٧
- مرآة الجنان ،المصدر المتقدم ،ج٢،ص٢٢وما بعد.
- القنوجي :أبجد العلوم،ج٢،ص٢١٥.
- الصفدي (صلاح الدين بن ايبك)الوافي بالوفيات ،٢٩ جزء،تحقيق أحمد الأرناؤوط ، بيروت ،٢٠٠٠م،ج٢٢،ص١٥٥.
- البدء والتاريخ ،المصدر المتقدم،ج٦،ص١١١.
- مروج الذهب، ،المصدر المتقدم،ج٣،ص٤١٧.

[2]-الطبري ،المصدر المتقدم، ج٥،ص١٨٤٢.
- ابن كثير،المصدر المتقدم،ج١٠،ص٢٤٩.
- ابن الجوزي،المنتظم ،المصدر المتقدم،ج١٠ ،ص١١٥.
- تاريخ الموصل،المصدر المتقدم ،ص٣٥٢.
- تاريخ ابن خلدون،المصدر المتقدم،ج٣،ص٣١٣.

وسواء قلنا إن بيعة المأمون للرضا كانت من أول أمرها على وجه الحيلة ،أو قلنا إنها كانت عـــن حسن نية فلا يستغرب أن يدبر المأمون قتل الرضا ،لأن النيات يطرأ عليها ما يغيرها مـــن خـــوف ذهاب الملك الذي قتل الملوك أبناءهم وإخوانهم لأجله، والسبب الذي دعى المأمون إلى قتل الفضل هو الذي دعاه إلى سم الرضا ، فقتله للفضل الذي لاشك فيه يرفع الاســـتبعاد عن سمه الرضا،خاصة بعد ورود الروايات به ونقّل المؤرخين له واشتهاره حتى ذكرته الشعراء قال أبو فراس الحمداني[1] :

ناءوا بقتل الرضا من بعد بيعته وأبصروا بعض يوم رشدهم فعموا
عصابة شقيت من بعد ما سعدت ومعشر هلكوا من بعد ما سلموا

وهكذا نجحت سياسة المأمون ،فاغتيل الفضل بن سهل ،وقتل علي الرضا بالسم ، ودفن في سناباذ من أعمال طوس التي دفن فيها الرشيد، وحُرم ابنه محمد ولاية العهد بعد أبيه ،وعاد المأمون ثانية إلى السواد شعار العباسيين.

و قد اتفق المؤرخون [2]على أن المأمون أظهر عند وفاة الرضا أعمق مظاهر الحزن.

كانت سياسة المأمون نحو العلويين تنطوي على كثير من العطف والتسامح . و ظهر ذلك مما رواه ابن طباطبا عن خروج محمد بن جعفر الصادق على المأمون فقال : ((وفي أيامـــه خـــرج محمد بن جعفر الصادق عليهما السلام بمكة ، وبويع بالخلافة وسموه أمير المؤمنين . وكان بعض أهله قد حسن له ذلك ، حين رأى كثرة الاختلاف ببغداد وما بها من الفتن وخروج الخوارج .

---

[1]- الأمين (محسن):أعيان الشيعة ،المرجع المتقدم ،ج٢،ص٣١.

[2]- الطبري ،المصدر المتقدم،ج٥، أحداث ٢٠٣هـ.

- اليعقوبي ،المصدر المتقدم ،ج٢،ص٤٥٣.
- ابن الأثير،المصدر المتقدم،ج٥ ، أحداث ٢٠٣هـ.
- ابن كثير ،المصدر المتقدم،ج١٠ ، أحداث ٢٠٣هـ.
- عيون أخبار الرضا ،المصدر المتقدم،ج١، ٢٦٥ وما بعد .
- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ،المصدر المتقدم ،ج١١،ص٣٤٣.
- ابن وادران :تاريخ العباسيين ،المصدر المتقدم،ص٢٨٧.
- الصفدي ،أعلام النبلاء،المصدر المتقدم،ج٩ ،ص٣٩١.
- الخضري ،الدولة العباسية،المرجع المتقدم ،ص١٥٤.

وكان محمد بن جعفر شيخا من شيوخ آل أبي طالب ، يُقرأ عليه العلم . وكان قد روى عـــن أبيه عليه السلام علما جما . فمكث بمكة مدة ، وكان الغالب على أمره ابنه وبعـــض بني عمه ،فلم تحمد سيرتهما، وأرسل المأمون عسكرا فكانت الغلبة له ، وظفر به المأمون وعفا عنه))[1] .

ومهمـــا يكن من شي ء ، فقد أجمعت المصادر الشيعية والسنية على أن المأمون كان يعطـــف على العلويين ويرى أن الخلافة قد اغتصبت منهم ، وكان يعترف بحسن معاملة العلويين لأبناء عمهم العباسيين .

فقـــد روى السيوطي أن المأمون قال يوما وقد سئل عن سبب بره بالعلويين : ((وإنما فعلـــت ما فعلت لأن أبا بكر لما ولي لم يول أحدا من بني هاشم شيئا، ثم عمر ثم عثمان كـــذلك . ثم ولي علي فولى عبد الله بن عباس البصرة ، وعبيد الله اليمن ، ومعبدا مكة ، وقثم البحرين : وما ترك أحدا منهم حتى ولاه شيئا، فكانت هذه في أعناقنا حتى كافأته في ولده بما فعلت))[2] .

وليس أدل على حب المأمون لأولاد علي بن أبي طالب من هذه الوصية التي أوصى بها أخاه المعتصم قبل وفاته : «وهؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه ، فأحسن محبتهم وتجاوز عن سيئهم ، وأقبل من حسنهم ، وصلاتهم فلا تغفلها في كل سنة من محلها، فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى))[3] .

وقد ظل المأمون يعامل العلويين معاملة تتفق وما كان يعتقده في فضل علي بن أبي طالـــب ، إلى أن خرج في سنة ٢٠٧هـ /٨٢٢م ببلاد اليمن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بـــن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، فبعث إليه المأمون أحد رجاله في جيش كثـــيف فأمـــنه وعاد به إلى المأمون ، فأمر المأمون بمنع العلويين من الدخول عليه ،وحتم عليهم لبس السواد.

---

[1] – ابن طباطبا ،المصدر المتقدم،٢٠١.

[2] – السيوطي :تاريخ الخلفاء،المصدر المتقدم ،ص ٢٨٨.

[3] – الطبري ،المصدر المتقدم،ج٥،ص١٨٧٣.

وهكذا لم تحسم مع المأمون مشكلة ولاية العهد .وعلى الرغم من أنه خلع أخاه القاسم من بعده إلا أنه لم يعين أُحدا بعده .وظل على ذلك خمس عشرة سنة،حتى كان مرضه الأخير، فعهد بالأمر إلى أخيه محمد أبي اسحق المعتصم متجاوزاً في ذلك ابنه العباس على الرغم من حب الجند له.

وترك المأمون لأخيه وصية ضمنها خلاصة تجاربه السياسية يطلب فيها إليه : متابعة القول بخلق القرآن والاهتمام بجمهور الرعية ((الرعية الرعية ،العوام العوام ،فإن الملك بهم والترفيه عنهم ،والتعجيل بالرجوع إلى العراق ،والاهتمام بالثغور والعواصم والجد في محاربة الخرمية .....وأن لا يستوزر أحدا ،وأن يرفق بالعلويين ((فأحسن صحبتهم وتجاوز عن مسيئهم ،واقبل من محسنهم وصلاتهم فلا تغفلها في كل سنة عند محلها))[1] .

وهكذا لم تحسم مشكلة ولاية العهد مع المأمون ،فهل سوف تحسم مع المعتصم ؟
وما هي الدوافع التي دفعت بالمعتصم للاعتماد على عنصر جديد هو العنصر التركي ؟
وما هي النتائج المترتبة على الإكثار من العنصر التركي ،وانفراده على الساحة السياسية؟

---

[1]-الطبري ،المصدر المتقدم،ج٥،ص١٨٧٣.

الفصل الخامس :

- إدخال المعتصم لعنصر جديد في الجيش .
- أسباب أستكثار المعتصم من العنصر التركي في الجيش .
- نتائج ازدياد نفوذ الأتراك في الدولة .
- أخطاء المتوكل .

- إدخال المعتصم لعنصر جديد في الجيش .

خلف المعتصم المأمون على كرسي الخلافة ،وكانت أمه تركية، وقد أحدث تغيرا كـبيراً في مسرح الأحداث السياسية في العصر العباسي ،وذلك باستخدامه لعنصر جديد أدخلـه مسرح السياسة ألا وهو العنصر التركي ،حيث قام باستقدامهم في أعداد كبيرة وأدخلـهم في جيشـه واعتمد عليهم بشكل أساسي (ربما يتساءل أحدنا ما علاقة هؤلاء ببحثنا . ويلاحظ أن هناك علاقة كبيرة سنوضحها من خلال حديثنا عن الأتراك وازدياد نفـوذهم في الدولـة لدرجـة أهم أصبحوا هم الذين يعينون الخليفة أو يقيلوه) لدرجة أزعجت القادة العرب فقاموا بتحريض العباس بن المأمون على خلع عمه ،والدعوة لنفسه للتخلص من عمه وأتراكه فمن هم هؤلاء؟

ينتمـي هـؤلاء إلى البلاد الواقعة ما وراء النهر ، هذه المنطقة البدوية المحصورة بين هضبة بامير ،وبحر الخزر ،وبين أطراف آرال ،وخرا سان ،والتي ندعوها اليوم تركستان .

وأول مـا أتصـل المسلمون بتلك المنطقة أيام فتوح الوليد بن عبد الملك ،وقائده قتيبة بن مسلم الباهلي .

ومن الواضح أن الإسلام لم ينتشر هناك على نطاق واسع حتى عهد المعتصم ،حين ظهرت العلاقات الوثيقة بين بغداد وما وراء النهر .ولا يعني هذا أن المعتصم كان أول من استعملهم ،حيث نجد إشارات إلى وجود أتراك في الجيش العباسي قبل المعتصم .

فالطـبري ذكر في حوادث سنة ١٧٠ هـ/٧٨٦م أن طرسـوس عمرت على يد أبي مسلم فـرج الخادم التركي [1].ولكن لاشك أن استخدامهم لم يكن وفيراً.كما أن استخدامهم لم يكن طبق سياسة مرسومة .

---

[1]-الطبري ،المصدر المتقدم ،ج٥،ص١٧٠٦.

- بغية الطلب،المصدر المتقدم ،ج١،ص١٧٨.
- ابن الجوزي ،المصدر المتقدم ،ج٨،ص٣٢٩.
- ابن الأثير ، المصدر المتقدم ،ج٥،ص٢٧٩.
- ابن كثير ،المصدر المتقدم ،ج١٠ ،ص١٦١.

وذكـــر المقريزي أن المأمون كان أول من اتخذ من الخلفاء الأتراك للخدمة،فكان يشتري الغلام من الأتراك بمائة ألف ومائتي ألف [1].

ويظهـــر مـــن أخـــبار اليعقوبي والطبري أن المعتصم استخدم الأتراك قبل الخلافة. فالطبري ذكر في أخبار سنة ٢٠٢هـ /٨١٧م [2]خروج مهدي بن حلوان الحر وري وتوجه أبـــو إســـحاق بن الرشيد لإخماد ثورته ((ومع أبي إسحاق غلمان له من الأتراك ويقدر اليعقوبي عدد غلمانه الأتراك زمن أخيه المأمون بز هاء ثلاثة آلاف غلام تركي ..))

لا يستبعد أن المعتصم قام بشراء هؤلاء الأتراك ليكون لديه قوة يعتمد عليها عند الشـــدائد وذكـــر المسعودي : ((أن المعتصم كان يحب جمع الأتراك وشرائهم من أيدي مواليهم ،فاجتمع له أربعة آلاف ،فألبسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة ،وأبانهم بالزي عـــن سائر جنوده ،وقد كان قد اصطنع قوماً من حوف مصر ومن حوف اليمن وحوف قيس ،فسماهم المغاربة ،واستنقذ رجال من خرا سان من الفراغنة وغيرهم من الأشروسية فكثر جيشه..)) [3].

وخصص لهم ثكنات عسكرية مستقلة عن ثكنات الجيوش العربية والفارسية .

وقد اشتهر من هؤلاء الأتراك قواد قربهم المعتصم إليه ورفع من أقدارهم نخص بالذكر منهم: إيتاخ واشنلس.

كـــان هؤلاء الأتراك يجلبون إلى الدولة الإسلامية إما عن طريق الأسر أو عن طريق الحـــروب الـــتي كانت تقع بين العرب والترك على الحدود الشرقية،أوعن طريق الشراء،

---

[1]-المقفى الكبير ،ج٤ ،ص٣٤٢.

[2]-الطبري ،ج٥،ص١٨٣٨.أنظر اليعقوبي ،ج٢،ص٤٥١.

[3]- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٣،ص٤٦٥.أنظر:

- البدء والتاريخ ،المصدر المتقدم ،ج٦،ص١١١.
- ابن كثير ،المصدر المتقدم،ج١٠ ،٢٩٦.
- في التاريخ العباسي،المرجع المتقدم ،ص٣٣٠ومابعد .
- الكروي ابراهيم :نظام الوزارة المرجع المتقدم ،ص ٢١١ومابعد .
- سرور:تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الاتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري ،ط٣، القاهرة ١٩٦٧،ص٢٣.

-اليوزبكي :الوزارة ،المرجع المتقدم ،ص١١٩ وما بعد .

ومـــنهم من كان يرسل إلى الخلفاء العباسيين في جملة الهدايا التي يرسلها الولاة من بلاد ما وراء النهر،وعلى هذا النحو وفد إلى بغداد من بلاد الشرق كثير من الأتراك .

- أسباب أستكثار المعتصم من العنصر التركي في الجيش

لفهـــم الســـبب الذي من أجله قام المعتصم باستكثار هؤلاء ،نرجع بالعهد إلى المأمون ،فنجد الخليفة خيب أمل الخراسانيين بنكبته لبني سهل ،وتركه مرو ،وكذلك قضى علـــى آخـــر إمكانيات التعاون بين العباسيين وأهل خرا سان،هذا إلى أن العرب ،وهم أنصار الأمين ،ظلوا على الهامش في عهده ،فلما صارت الخلافة للمعتصم ،التف قسم من العـــرب حول العباس بن المأمون ،فوجد المعتصم أن يلجأ إلى ذلك العنصر الجديد ،الذي كـــان يحـــبه ،كحل وحيد ،فيجعل منه الركن العسكري للدولة ،لاسيما والدولة مهددة بـــثورة بابك ،وبخطر البيزنطيين على الحدود،وبتذمر أهل الشام ومصر .واضطرابات الزط في الســـواد .وكـــان بروز هذا العنصر الجديد ضربة سياسية عنيفة للعرب وقوادهم ظهر استياؤهم منها في تلك المؤامرة المخفقة التي ذهب ضحيتها العباس بن المأمون وعجيف بن عنبسة معاً.

لـــذلك نرى المعتصم لم يعد يثق بالعرب بسبب التفافهم حول العباس بن المأمون في سنة٢٢٢هـ /٨٣٨م ومناداتهم به خليفة بدلا من المعتصم .

في سنة ٢١٩هـ/٨٣٥م جعل المعتصم إمارة مصر العامة لاشناس ،فأخذ يرسل الولاة من قبله ،وكان اسم اشناس يذكر في خطبة الجمعة مع الخليفة ،وقد ضربت السكة باسمه أيضـــاً كما نقش اسمه على الموازين والمكاييل.وبقي الحال إلى حين موت اشناس في سنة ٢٣٠هـ/٨٤٦م في خلافة الواثق .

وتعـــدّ تولية اشناس لمصر بداية لإدخال عنصر جديد في الدولة وذلك بتكوين جيش من الأتراك .

-فقد المعتصم ثقته بأهل خرا سان و لم يعد يأمن لهم أو يركن إليهم بعد أن قتلوا الأمين .

-كانـــت تتوفـــر في المعتصم كثير من طباع الأتراك من حيث القوة والشجاعة والاعتداد بقوة الجسم ولذلك عرف بالخليفة القائد.

-السبب الأقوى والذي نرجحه أنه كان بحاجة إلى قوة عسكرية مطيعة تأتمر بأمره مع تلك الظروف التي ذكرناها ،فلم يجد خيراً من الأتراك (أخواله) الذين لم تكن لهم حسب اعتقاده مصالح قومية أو أمجاد قديمة .

- نتائج ازدياد نفوذ الأتراك في الدولة

لابد قبل أن نتحدث عن النتائج من أن نذكر أن الأتراك كانوا شعباً بدويا وميزته الوحيدة شجاعته العسكرية .فقد كان لايفهم الأسس المعنوية للدولة العباسية ،ولاخبرة له في الإدارة ،وليس له أي ثقافة .ويجب أن نلاحظ الفرق بين هؤلاء الأتراك والفرس الذين اشتركوا في الحكم العباسي .فقد كان الفرس أمة متحضرة،ذات أنظمة وتقاليد وأدب وتراث قديم ،ساعد العباسيون في الحكم .أما الأتراك فكانوا ،كما سماهم الجاحظ (بدو عجم) وقد بين أنهم : ((لا يميلون إلى صناعة أو زراعة أو ثقافة)) [1] ولذلك فإن تسلطهم على الخلافة العباسية كان تهديداً مباشراً لمؤسساتها ونظمها وثقافتها .

- أصبح الأتراك آفة على أهل بغداد الذين عانوا من عنتهم وجورهم شيئاً كثيراً ،وفي ذلك يقول المسعودي: ((إن الأتراك كانوا يؤذون العوام بمدينة السلام بجريهم الخيول في الأسواق،وإلحاق الأذى بالضعفاء والصبيان فكان أهل بغداد يثورون على بعضهم فيقتلونهم إذا صدموا امرأة أو شيخاً كبيراً أوصبياً أو ضريراً)) [2].

وقد زاد الطبري هذه المسألة بياناً فقال: ((إن غلمانه الأتراك كانوا لا يزالون يجدون الواحد بعد الواحد منهم قتيلاً في أرباضها،وذلك أنهم كانوا عجماً جفاة ، يركبون الدواب فيتراكضون في طرق بغداد وشوارعها ،فيصدمون الرجل والمرأة، ويطئون الصبي فيأخذهم الأبناء ،فينكسونهم عن دوابهم ويجرحون بعضهم ، فربما هلك من الجراح بعضهم ، فشكت الأتراك ذلك إلى المعتصم وتأذت بهم العامة ، فذكر أنه رأى المعتصم راكباً منصرفاً من المصلى في يوم عيد أضحى أو فطر.فلما صار في مربعة الحرشي، نظر إلى شيخ قد قام إليه فقال له : يا أبا إسحاق ! فابتدره الجند ليضربوه، فأشار إليهم المعتصم فكفهم عنه ؟ فقال الشيخ : ما لك ؟ قال : ((لا جزاك الله عن الجوار خيراً،

---

[1]- الجاحظ : رسائل الجاحظ ،مناقب الترك ، المجموعة الوطنية للتقنية ٢٠٠٣م،مكتبة الإيمان ،ص٤٣.

[2]-مروج الذهب ومعادن الجوهر،المصدر المتقدم ،ج٣،ص٤٦٦.

جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج فأسكنتهم بين أظهرنا، فأيتمت بهم صبياننا وأرملت بهم نسواننا وقتلت بهم رجالنا، والمعتصم يسمع ذلك كله))[1] .

- ومن أثر ازدياد نفوذ الأتراك أن العرب حقدوا عليهم ، وتآمروا على المعتصم والأفشين وأشناس وغيرهم من قواد الأتراك ، وأغرى عجيف بن عنبسة القائد العربي العباس بن المأمون بالخروج على عمه المعتصم والمطالبة بعرشه .واتفقوا على قتل المعتصم وأشناس إذا تم توزيع الغنائم التي استولى عليها المسلمون من البيزنطيين في موقعة عمورية المشهورة التي وقعت في سنة ٢٢٣ هـ/٨٣٩م.على أن خبر هذه المؤامرة قد تسرب إلى المعتصم ،فقد أسكرت الخمر يوماً العباس وبعض المتآمرين ،فأفضوا بسر المؤامرة إلى المعتصم ،فمنع الماء عن العباس حتى مات وكذلك كان مصير القائد العربي عجيف بن عنبسة .وبذلك قضى المعتصم على هذه المحاولة في مهدها[2] .

بيد أن الأخطار البعيدة التي نجمت عن تقريب الترك ،لم تظهر بوضوح زمن المعتصم (باستثناء مشكلة الإفشين)،فقوة شخصيته حدت من نفوذ الأتراك،وقصرت فعاليتهم على النواحي العسكرية ،ومع هذا فقد كان المعتصم نفسه يشعر بخيبة أمل ، ولو أنه استعان بقواد العرب لأتيح له استعادة سلطان الخلافة . وقد عبر المعتصم عن أسفه لاعتماده على هؤلاء الأتراك في هذه العبارة التي خاطب فيها أحد غلمانه فقال : ((في قلبي أمر أنا مفكر فيه منذ مدة طويلة:نظرت إلى أخي المأمون وقد اصطنع أربعة أنجبوا، واصطنعت أنا أربعة لم يفلح أحد منهم ،قلت : ومن الذين اصطنعهم أخوك ؟ قال : طاهر ابن الحسين فقد رأيت وسمعت ، وعبد الله بن طاهر فهو الرجل الذي لم ير مثله ، وأنت ،فأنت والله الذي لايعتاض السلطان منك أبداً، وأخوك محمد بن إبراهيم وأين مثل .محمد؟ وأما أنا فاصطنعت الأفشين ، فقد رأيت إلى ما صار أمره . وأشناس ففشل رأيه ، وإيتاخ

---

[1]-الطبري،المصدر المتقدم ،ج٥ ،ص١٨٨٤

[2]-الطبري،المصدر المتقدم ،ج٥ ،ص١٩٠٥.

انظر :-ابن الأثير ،المصدر المتقدم،ج٦،ص٤٦.

- البدء والتاريخ ، ،المصدر المتقدم،ج٦،ص١١٤.

- تاريخ ابن خلدون،المصدر المتقدم،ج٣، ص٣٣٠.

-حسن ابراهيم حسن :تاريخ الإسلام ،المرجع المتقدم،ص١٥٩ وما بعد .

فلاشـــيء ،ووصـــيف فـــلا مغنى فيه . فقلت : يا أمير المؤمنين أعزك الله نظر أخوك إلى الأصول فاستعملها فأنجبت فروعها ، واستعمل أمير المؤمنين فروعاً لم تنجب إذ لا أصول لها.قال:يا إسحاق المقاساة ما مر بي في طول هذه. المدة أسهل علي من هذا الجواب))[1] .

كما ذكرنا فإن قوة شكيمة المعتصم قد حدت من نفوذ الأتراك . فلما مات وولي الخلافة بعـــده ابـــنه الواثق ،أخذ هؤلاء يتدخلون في أمور الدولة ، حتى أصبح مكتوف الأيدي مسلوب السلطة .

ومن الواضح أن الأتراك قد شعروا بأهميتهم وخاصة أنهم تفردوا بالساحة السياسية بعد أن كان هناك حزبان قويان متنافسان ،وربما كان هذا التنافس لصالح الخلفاء ،إذ كان كل حـــزب يسعى لكسب تأييد الخليفة ،والخليفة بدوره كان يستعين بأحدهما على الآخر إذا قوي أو تمرد الآخر ،أما الآن فقد خلت الساحة للأتراك ليتحكموا بالأمور كما يشاءون ولما ولي المتوكل الخلافة حاول أن يكف أيديهم ،فقام بعدة إجراءات نذكر منها:

أبعد المتوكل نفسه عن الأتراك . وبحث عن حليف جديد ، فوجد حليفة في أهل العـــراق من أهل بغداد .و أهل بغداد ، عرب أكثرهم سنيون على طريقة أهل السلف ، ولا يقبلون بالاعتزال ، فكان على الخليفة المتوكل أن يحارب الاعتزال ليرضيهم . فضرب الاعتـــزال ضـــربة شديدة ، وحرر المسجونين من أهل السنة الذين كانوا قد أوقفوا لعدم قـــولهم بخلـــق القرآن ،وأطلق سراحهم وقربهم إليه . وأبعد المعتزلة واضطهدهم ،بل كان يشترط فداء الأسرى المحجوزين عند الروم بأن يقر الأسير بأن القرآن غير مخلوق ،وان يقر بمخالفته لأهل العدل والتوحيد . وحارب أفكار المعتزلة بمحاربته المعتزلة ، واضطهد آل علي باضطهاده للمعتزلةحيث كان هناك تشابه بين أراء المعتزلة وأفكار آل علي ، وتشدد وتـــزمت في تعصبه للدين،فاضطهد أهل الذمة اضطهاداً شديداً،وهدم كنائسهم المحدثة، وأبعـــدهم عن دواوينه ، ولم يقبل تعيين أحد منم فيها ، وفرقهم عن الشعب والمسلمين ، فجعلهم لا يركبون إلا البراذين والبغال ، دون الحمير والخيول ،وألزمهم بأن يضعوا على أبـــواب بيوتهم صورا وتماثيل للشياطين ، وألزمهم بأن يقتصروا على السروج الخشبية .

---

[1]- الطبري،المصدر المتقدم ،ج٥ ،ص١٩٢٤.

حسن إبراهيم حسن :تاريخ الإسلام،المرجع المتقدم،ص١٥٩ وما بعد

وهكـــذا ضـــيق عليهم كل الضيق ، وهو في ذلك يحاول أن يتقرب من عامة الناس من الـــذين كانـــوا يضيقون صدرا بأهل الذمة [1]. قرب المتوكل التجار والصناع والفلاحين وأغـــدق عليهم الأموال ،وأراد إصلاح الأرض وإجراء الأقنية،بل تقرب من الناس بشيء عزيز على نفوسهم،هو أنه اجّل أخذ الخراج المفروض على المزروعات إلى ما بعد الثمر، لكن هذا الإصلاح لم يدم ، فقد عاجلته المنية قبل تنفيذه .

فالمتوكل إذا تقرب من الشعب ، وجعل الشعب حليفه ، وحالف أيضا العرب ، بل إنـــه استقدم إلى بغداد من العرب عددا كبيرا ، أدخلهم في جيشه أو بالأحرى في جيش ابنه المعتز،وقصد أن يرجح بهم على كفة الأتراك ...كل هذا ليقف أمام الأتراك وليضربهم حـــاول أيضـــا أن يوقع بين الأتراك أنفسهم ، فجعلهم يتفرقون شيعا وأحزابا ، وضرب بعضـــهم ببعض ، بل ضرب أحدهم ضربة شديدة . بعد أن تمكن من الأمر ، وهو أيتاخ إنه حسّن له أن يذهب إلى الحج ، ولما سار إلى الحج عين بُغا مكانه ، ولما رجع إلى بغداد ألقى القبض عليه ، وسجنه وبقي في السحن إلى أن مات[2] .

ثم إن المتوكل أراد أن يبتعد كل البعد عن الأتراك ، وأن يسيطر عليهم من بعيد ، فـــنقل عاصمته إلى دمشق بين العرب وأقام فيها[3] ، واتخذ حزبه من أهلها.. غير أنه لم يفلح في هذا ، فالأتراك ثاروا عليه في العراق وطالبوا بأرزاقهم ، وكادت تحصل فتنة لولا أن بُغا وقف إلى جانبه ، وأصلح الأمور . ووجد المتوكل أنه أطلق زمام الأمر في العراق إلى الأتـــراك ، ولبث بعيدا عنهم ؟ فعاد إليهم ليراقبهم منها ، لكنه لم يرض بأن يعود إلى ســـامراء ، وأن يكـــون رهينة بين أيدهم ، بل عمر مدينة لنفسه قريبة من سامراء وسماها

---

[1]– الطبري ،المصدر المتقدم،ج٥ ،ص١٩٤٣.
– العش يوسف ،تاريخ الخلافة العباسية ،المصدر المتقدم،ص١٠٥ وما بعد
[2]– تاريخ ابن خلدون ،المصدر المتقدم،ج٣،ص٣٤٢.
– الطبري،المصدر المتقدم ،ج٥،ص١٩٤٢.
[3]–ابن الجوزي ،المصدر المتقدم،ج١١،ص٣٥٤.
– مروج الذهب ومعادن،المصدر المتقدم ،ج٤،ص٣٢.

باسمه المتوكلية ، وأقام فيها جنده وحاشيته .

- أخطاء المتوكل

بكـــل ذلـــك تخيل المتوكل أنه يستطيع القضاء على سلطان الأتراك ، وهذا ما كان لـــيحدث ،لأن الأتـــراك كانـــوا في جدران عاصمته بالذات ، وكانوا أقوياء ، وكانوا ينتظـــرون مـــنه الخطـــأ القليل لينقضوا عليه . أخطأ هو كما أخطأ من سبقه،كالواثق والمعتصـــم فبدد أموال الدولة ببناء القصور وإكمال بناء سامراء وبناء المتوكلية حتى أنه كـــان يعجـــز بعض العجز عن تأدية أعطياتهم . وجد الأتراك عندئذ أن مصلحتهم أن يجـــتمعوا بعد أن يكون المتوكل قد فرقهم ، ويتألبوا عليه بعد أن يكون قد ظن أنه أوقع بهم الخصام .

ثم أخطـــأ خطـــأ كبيرا ، ففعل كما فعل جده الرشيد ، وعهد بولاية العهد من بعده لأبنائه وذلك في سنة خمس وثلاثين ومائتين ،وكانوا ثلاثة محمدا وطلحة وإبراهيم ، وجعل محمـــدا أولهم ولقبه المستنصر وأقطعه إفريقية والمغرب وقنسرين والثغور الشامية والخزرية وديار مضر وديار ربيعة وهيت والموصل وعانة والخابور وكور ودجلة والسواد وحضـــر موت والسند ومكران وقندابيل وكور الأهواز والمستغلات بسامراء و الكوفة و البصرة.وجعل طلحة ثانيهم ولقبه المعتز وأقطعه أعمال خراسان وطبرستان والري وأرمينية وأذربيجان وأعمال فارس ثم أضاف إليه سنة أربعين خزن الأموال ودور الضرب في جميع الآفـــاق وأمـــر أن يرســـم اسمه في السكة ،وجعل الثالث إبراهيم وأقطعه حمص ودمشق وفلسطين وسائر الأعمال الشامية.[1]

وهكـــذا أوقـــع أولاده في الخـــلاف فيما بينهم ، وسار هو بعد ذلك مع ميوله وعاطفته ،فوقف إلى جانب المعتز ، وصار يغدق عليه الأموال ، وأهمل ابنه المنتصر ،وعهد

---

[1]- تاريخ ابن خلدون،المصدر المتقدم،ج٣،ص٣٤٣.
- البدء والتاريخ ،المصدر المتقدم،ج٦،ص١٢٢.
- ابن الجوزي ،المصدر المتقدم،ج١١،ص٢٢٤.
- بغية الطلب ،المصدر المتقدم ،ج٨،ص٣٧٦٢.
- الطبري،المصدر المتقدم ،ج٥ ،ص١٩٥٧.
- الخضري :الدولة العباسة،المرجع المتقدم ، ص٢٢٣.

للمعــتز بخــزن بــيوت الأموال ودور الضرب ، وكان يتهكم على المنتصر ويستبعده ، فاضــطرب المنتصــر لذلك ، ووجد الأتراك بغيتهم فتقربوا إلى المنتصر ، وتحالفوا معه ، وأوغروا صدر ه على والده ، وكان موغرا قبل ذلك : ولما تبين لهم أن المتوكل يريد أن يقــتل وصــيفا وبغا وهما رئيساهم المفضلان ، تجمعوا وأقبلوا على المنتصر يحرضونه على والده ، وساروا إلى المتوكل جميعا ، فوجدوه يشرب ، فقتلوه وهو على مائدة الشراب[1] .

وصــار ابنه المنتصر الذي اشترك معهم في قتله ، طوع بنانهم ، وأصبحت الدولة العباسية مــيداناً للفوضــى والدسائس ، وغدا في أيدي هؤلاء الأتراك أمر تولية الخليفة وعزله أو حبسه وقتله .

على أن ظهور العنصر التركي قد أدى إلى إخماد نار الخصومة بين الفرس والعرب حيناً،وبين العلويين والعباسيين حيناً آخر، لأنه استأثر بالأمر دون الفريقين ،ولم يكن يحفل بأولــئك أوهــؤلاء . ومن هنا بدأ ظهور الدول المستقلة وشبه المستقلة في أطراف الدولة العباســية :كالصــفارية والســامانية والغــزنوية ،والعلوية بطبرستان والأغلبية بتونس ، والطولونية والإخشيدية بمصر، والزيدية باليمن .

[1]-ابن الأثير ، ،المصدر المتقدم،ج٦،ص١٣٦.
- اليعقوبي ،المصدر المتقدم،ج٢،ص٤٩٢
- شذرات الذهب،المصدر المتقدم ،ج٢،ص١١٥،١١٤.
- سمط النجوم العوالي ،المصدر المتقدم،ج٣،ص٤٦٦.
- تاريخ ابن خلدون ، المصدر المتقدم ، ج٣،ص٣٤٩.
- ابن الجوزي ،المصدر المتقدم ،ج١١،ص٣٥٦.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ،المصدر المتقدم ،ج٤، ص٣٦.
- ابن العمراني ،الأنباء ،المصدر المتقدم،ص٨٤ وما بعد .

الخاتمة

ومن خلال ما تقدم نجد أن مشكلة ولاية العهد كانت من المشاكل الكبرى التي أحـــدثت الشقاق في البيت العباسي حيث كان العباسيون كغيرهم لم يضعوا نظاماً محدداً لـــوراثة العـــرش ،فبعد وفاة محمد بن علي الإمام الأول للدعوة العباسية جاء ابنه إبراهيم الإمام خلفاً له ، وبعد معرفة مروان بن محمد بأمره وملاحقته له ،ثم سجنه وقتله ،انتقلت الإمامة إلى أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد.

وبالتالي يمكن القول أن الإمامة أولاً ثم الخلافة بعد ذلك لم تكن تنحصر في الابن الأكبر. وكان بإمكان الخليفة أن يختار لها من يجده مناسباً من أفراد أسرته مفضلاً أبناءه في الغالب، وإن كانوا أقل المرشحين كفاءة ومقدرة .

بـــدأت مشـــكلة ولاية العهد في العصر العباسي الأول مع انتقال الخلافة إلى أبي العـــباس السـفاح والبحث عن ولي للعهد ،وكان من بين المرشحين المنصور وعيسى بن موســـى ويـــبدو أنه تم استبعاد ابنه محمد من القائمة ،ربما لأنه كان لا يحمل صفات تؤهله للخلافـــة في وقت كانت فيه الخلافة العباسية في مرحلة التأسيس وبحاجة لشخصية قوية لكي تستمر تم اختيار المنصور ومن بعده عيسى بن موسى كولي لعهده،وإن اختيار عيسى ابـــن موســـى لم يكـــن محض الصدفة لما تمتعت به هذه الشخصية من مؤهلات عسكرية وسياسية .

ويبدو إن ترتيبات وراثة الحكم التي سنها الخليفة العباسي الأول لم تعمر غير عشرة أعوام فقط ، استمر عيسى بن موسى خلالها يتمتع بلقبه ولياً للعهد دون أن يواجه أي عقبة أو مشـــكلة في ذلك من أي أعضاء الأسرة الآخرين . وفي أثناء ذلك لم يجد أبو جعفر سبباً حقيقـــياً يدفعـــه إلى تغيير هذا الترتيب ، أو وضع نظام آخر يبتدعه هو فيفضي إلى نزاع جديد حول هذه المسألة . وذلك أن ذريته التي كانت تستحق المخاطرة من أجلها لم تكن بعد مهيأة ليخرج منها مرشح لولاية عهد محتمل . فخلال الثلاثينات الأخيرة والأربعينات الأولى من القرن الهجري الثاني لم يكن أي من أبنائه قد وصل السن التي تتيح للخليفة أن يقدمـــه للجمهـــور عامة ، وللمنافسين المحتملين من البيت العباسي خاصة ، على أنه هو الشخص المناسب لتسلم المسؤولية . غير أن هذه الظروف بدأت بالتغير الجذري بعد عام ١٤٥ هـ ، عـــندما بدأ نجم عيسى بن موسى يلمع فجأة بعد أن تمكن في تلك السنة من

هزيمة الأخوين العلويين محمد النفس الزكية و إبراهيم ، والقضاء على ثورتهما المشتركة في الحجـــاز و البصرة[1] ، بعد أن كان عيسى قد رضي حتى ذلك الوقت بنصيبه الوافر من المشـــروع العباســـي : لقب ولاية العهد رفيع الامتيازات ، ومنصب والي الكوفة الذي يضاهيه بالمكاسب . ولاشك أن هذا التطور الجديد في حياة عيسى السياسية عزز مكانته في صفوف العباسيين بعد أن تحولت قيمته من ولي للعهد استحق منصبه بسبب تعيينه فيه من قبل الخليفة السالف إلى بطل متميز حمى وجود البيت العباسي في الحكم في وقت كان المشروع بمجمله على وشك الانهيار .

وغـــني عـــن القول إن هذه المكانة الجديدة التي اكتسبها عيسى كانت تتعارض بحدة مع سياسة أبي جعفر العائلية التي كانت لا تتسامح إطلاقا مع بروز أي من العباسيين منافساً له علـــى تفـــرده المتعالي في الهرم العباسي .وهكذا كان عليه أن يتصرف حيال هذا الوضع الجديد قبل أن تتنامى مكانة عيسى المعنوية إلى الدرجة التي لا يمكن السيطرة عليها. غير أن خطـــة الـــوراثة التي وضعها أبو العباس كانت تشكل قيداً على حركة أبي جعفر في هذا الاتجاه ، وكان من الضروري إعادة بناء الخطة بما يمكن من إزاحة عيسى من هذا المنصب الـــذي وضعه فيه السفاح و بالتالي تجريده من كل الأمجاد التي اكتسبها . وبالطبع يكون هـــذا التغيير لمصلحة أبنائه ،ومن حسن حظ أبي جعفر أن اثنين من أبنائه جعفر ومحمد (المهـــدي) كانـــا قد وصلا إلى السن التي تؤهل أياً منهما ليسميه أبوه ولياً للعهد بديلاً لعيســـى بـــن موسى،وقد حصر أبو جعفر الخلافة في ابنه محمد وابعد عنها ولده الأكبر جعفـــر والمعلومات قليلة عن ابنه جعفر،وقد احتفظ الأصفهاني عن جعفر بمعلومات تشير إلى أنـــه كان فتى لاهٍ ، عاش حياة طائشة ، وكان يقضي معظم أوقاته في الكوفة بصحبة صـــديقه الحميم الشاعر الخليع مطيع بن إياس. ووفقاً للأصفهاني نفسه فقد حاول الخليفة

[1]-الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، المصدر المتقدم ، ج ٤ ، ص ١٥٨٦ وما بعد .
- ابن الأثير:الكامل في التاريخ ،المصدر المتقدم،ج٥،ص١٥٦.
- ابن كثير :البداية والنهاية، المصدر المتقدم،ج١٠،ص٨٧.
- تاريخ بن خلدون، المصدر المتقدم،ج٣،ص٢٤١.
- ابن الجوزي :المنتظم ، المصدر المتقدم،ج٨،ص٦٦.
- ابن العماد :شذرات الذهب، ، المصدر المتقدم،ج١ ، ص٢١٢ .

عبـــثاً إصلاح ولده، وقد استمرت هذه المحاولات المخفقة إلى أن توفي جعفر في تاريخ لم يحدده المؤلف، بعد صراع طويل مع مرض يبدو من وصف أعراضه كما وردت في الأغاني أنه كان من حالات الصرع [1] .

وبالتأكـــيد فإن شخصية بهذه المواصفات لم تكن تستحق المخاطرة من جانب أبي جعفـــر بتقديمها كمرشح محتمل للخلافة إلى جمهور بالغ الحساسية بشأن مسألة كهذه . وبخلاف ذلك ذكرت إحدى الروايات أن أبا جعفر فكر بخطة تضع محمد ولي عهد أول ، علـــى أن يليه جعفر ، إلا أن خوفه من ردة فعل أخيه محمد جعله يتخلى عن هذه الخطة. و روى الطبري عن هذه الخطة أن محمداً نقل رسالة شفهية إلى أبيه الخليفة، بواسطة عمـــارة بن حمزة أحد أبرز ثقات بلاط الخليفة ، قال فيها : ((لقد بلغني أن أبي عزم على أن يـــبايع لجعفر أخي ، وأعطي الله عهداً لئن فعل لأقتلنه)) . وكان رد الخليفة على هذه الرسالة أنه أبلغ الوسيط :((قل له نحن أشفق عليه من أن نعرضه لك)) [2] .

وهكـــذا تم اختيار محمد ولياً أولَ للعهد وعيسى بن موسى ولياً ثانياً ،وتم استبعاد عيسى بن موسى عقب تولي المهدي الخلافة ،وكبرت المشكلة في زمن المهدي حيث عقد البيعة لولديه الهادي والرشيد ،ثم عزم على تقديم الرشيد وفي هذه الحقبة ظهر تدخل الحريم في السياسة ،فظهرت الخيزران زوجة المهدي كشخصية قوية تمتعت بنفوذ كبير في القصر ولا يستبعد أن تكون وراء عزم المهدي تقديم الرشيد على الهادي لكن وفاة المهدي حالت دون ذلك وربما كانت وفاته نتيجة هذه المحاولة .

وتعقـــدت المشـــكلة في زمن الهادي الذي أراد حصر الخلافة في ولده وطلب من الرشـــيد التـــنازل عن ولاية العهد ولكنه لم يفعل وشجعه على ذلك يحيى البرمكي وأمه

---

1 - الأصفهاني : الأغاني . المصدر المتقدم ، جـ١٢ ص ٧٦-٨١-٨٢ .

2 - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، المصدر المتقدم ، جـ٥ ص١٦٤١.

أنظر:- ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، المصدر المتقدم جـ٢ ،١٥٢ .

- الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، المصدر المتقدم جـ٤،ص١٦٢٧ .

- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،المصدر المتقدم، ج٣،ص٣١٨ .

- خليفة ، تاريخ خليفة ، المصدر المتقدم،ص٤٢٣ .

الخيـــزران وعزم الهادي على قتل أخيه ويحيى البرمكي لكن البرامكة كانوا أسرع حيث قتلوا الهادي بالتآمر مع الخيزران .

وازدادت المشكلة تعقيداً في زمن الرشيد حيث لم يتعظ من الأحداث التي سببتها إعطـــاء ولايـــة العهد لأكثر من واحد ، وقام بعقد البيعة لأولاده الثلاثة الأمين والمأمون والمـــؤتمن وهـــنا ظهر تأثير الأحزاب المتنافسة ، فالعرب التفوا حول الأمين لأن أمه عربية وأرادوه خلـــيفة وبالطبع فإن زبيدة حفيدة المنصور وأم الأمين كانت تشجع هذا الاتجاه والـــبرامكة التفوا حول المأمون لأن أمه فارسية وقد كان للبرامكة نفوذ كبير لذلك عقد الرشيد البيعة لولديه وقسم دولته بينهما.

ولعـــل الأرجح أن الرشيد قام بهذا الفعل لإرضاء كلا الحزبين العربي والخراساني واللذان كان لهما نفوذ متقارب فيما يبدو ،ولا يمكن أن نتجاهل دور زبيدة زوج الرشيد في تقديم الأمين على المأمون.

ولم يكـــتفِ الرشـــيد بعقد البيعة للأمين والمأمون بل عقد لابنه القاسم أيضاً سنة ١٨٩ هـ/٨٠٤م ،ولقبه المؤتمن ،ثم ولاه الجزيرة والثغور والعواصم ،وكان لا يزال صغيراً في حجر مربيه عبد الملك بن صالح.

وذكـــر الطـــبري أن الرشيد عقد للقاسم بتأثير عبد الملك بن صالح العباسي الذي كتب للرشيد :

يا أيها الملك الذي　　　لو كان نجما كان سعدا
اعقد لقاسم بيعة　　　واقدح له في الملك زندا
الله فرد واحدا　　　فاجعل ولاة العهد فردا

((فكان ذلك أول ما حض الرشيد على البيعة للقاسم)) ،كما قال الطبري[1] .

أما الدوافع الحقيقة فقد تكون ناجمة عن ظهور حزب من بني العباس لا يميل لا إلى الأمين ولا إلى المأمون ويخشى عواقب الصراع بينهما .

---

[1] --الطبري :تاريخ الرسل والملوك ،المصدر المتقدم ،ج٥،ص١٧٢٢.
أنظر:- اليعقوبي ،تاريخه،المصدر المتقدم ،ج٢،ص٤٢٥.
- ابن كثير ،البداية والنهاية ،المصدر المتقدم ،١٠،ص١٨٧.

ولا يستبعد أن يكون عبد الملك بن صالح قد أراد من وراء عقد البيعة للقاسم التمكين لنفسه لاسيما إذا علمنا كما روى الطبري ((.. أنه كان يطلب الخلافة ويطمع فيها .وان الرشيد غضب عليه وحبسه ..))[1] .

وهكذا قسم الرشيد الدولة بين أبنائه الثلاثة ،وهيأ بذلك عوامل المنافسة والحسد بينهم ،وألقى بذور الفتنة التي قامت بين الأمين والمأمون،وأضعفت الحزب العباسي .

وما أن انتقلت الخلافة إلى الأمين حتى قام بعزل أخيه عن ولاية العهد وعقد البيعة لابنه موسى الصغير الذي لم يتجاوز الخامسة وشجعه على ذلك الفضل بن الربيع ،ولكن المأمون رفض التنازل عن حقه بالخلافة فخلع الأمين وأعلن نفسه خليفة وشجعه على ذلك الفضل بن سهل وكانت الحرب بين الأخوين .

قتل الأمين في النهاية وهزم الحزب الأميني وانتصر الحزب الخراساني مرة ثانية وازداد نفوذه مع هذا الانتصار . ولما كان أغلب الحزب الأميني من العرب فقد أدى ذلك إلى اختلال التوازن بين القوى العربية والإيرانية في الدولة زمن المأمون ...مما مهد للجوء المعتصم من بعد إلى عنصر جد يد هو العنصر التركي .

فهل انتهت بانتهاء الخلاف الأخوي مشكلة ولاية العهد ؟

لقد حاول المأمون محاولة غريبة في ذلك إذ حول، لفترة قصيرة ،ولاية العهد إلى العلويين ممثلين في شخص علي الرضا العلوي (الإمام الثامن للشيعة الاثنى عشرية)ولبس المأمون الخضرة بدل السواد وأشخص إليه ذلك الإمام من المدينة إلى مرو وقربه وزوجه ابنته في رمضان سنة ٢٠١ هـ ،آذار سنة ٨١٨ م ثم ما لبث أن توفي ذلك الإمام .

ومن المستبعد أن تكون دوافع المأمون في جعل الإمام (عليه السلام) ولياً لعهده نابعة من ولائه لأهل البيت (عليهم السلام)؛ لأن مغريات السلطة والرئاسة متغلبة على جميع الولاءات والميول، و لم يكن المأمون صادقاً في ولائه، وكان ميله للعلويين اصطناعاً كما ذكر ابن العماد[2]، ولا يمكن التصديق بعمق الولاء حتى يكون دافعاً للتنازل عن الحكم

---

[1]- الطبري :تاريخ الرسل والملوك ،المصدر المتقدم ،ج٥،ص١٧٣٢.

[2]-ابن العماد :شذرات الذهب ،المصدر المتقدم ،ج٢،ص٢.

وتسـليمه إلى الإمـام الرضـا (عليه السلام) أو توليته للعهد من بعده، فهل يُعقل أن يضـحّي المأمـون بالحكم الذي قتل من أجله الآلاف من الجنود والقادة، وقتل أخاه وبعض أهل بيته، ثم يسلّمه إلى غيره ؟!

فلا يستبعد أنه قصد من هذا الفعل تهدئة الأوضاع المضطربة في البلاد ،كسب تأييد أهل خراسان المتشيعين والذين كان لهم دور كبير في انتصاره على أخيه الأمين وعلى رأسهم كان الفضل بن سهل ،لكن هذا الفعل كان مؤقتاً إذ سرعان ما انقلب المأمون على الحزب الخراساني وقتل قائده الفضل بن سهل ،ثم كانت وفاة الرضا المفاجئة ،وربما كان للمأمون يد في هذه الوفاة خاصة أن أهل بغداد رفضوا ما فعله المأمون ،وخلعوه وعينوا عمه إبراهيم بن المهدي بدلاً منه ، لكن بعد وفاة الرضا وعودة المأمون إلى بغداد عادت الأمور إلى طبيعتها ودخل العباسيون في طاعة المأمون .

أما المأمون فإنه نقل الخلافة من بيته إلى بيت أبيه ،حيث أسند الخلافة إلى أخيه المعتصم متجاوزاً ابنه العباس رغم محبة الجيش له ،وربما فعل ذلك لأن المعتصم يتمتع بمؤهلات عسكرية كبيرة ،وكانت الدولة في حالة حرب مع البيزنطيين فكان المعتصم الشخصية التي تستطيع قيادة الجيش في المعارك المقبلة .

أما المعتصم فقد حصر الخلافة في ولده حيث عقد البيعة لابنه الواثق ،ومن المفيد ذكره هنا أن المعتصم انقلب على الحزب الخراساني والعربي باعتماده على عنصر جديد هو العنصر التركي وبذلك أحدث خللاً في ميزان القوى حيث ازدادت سلطة الأتراك وأصبحت بيدهم مقاليد الأمور .

وتأزمت مشكلة ولاية العهد في زمن المتوكل حيث قام بعقد البيعة لأبنائه وذلك في سنة خمس وثلاثين ومائتين ،وكانوا ثلاثة محمدا وطلحة وإبراهيم ر وجعل محمدا أولهم ولقبه المستنصر وأقطعه أفريقية والمغرب وقنسرين والثغور الشامية والجزرية وديار مضر وديار ربيعة وهيت والموصل والخابور وكور ودجلة والسواد وحضر موت والحرمين والسند ومكران وقندابيل وكور الأهواز والمستغلات بسامراء وماه الكوفة وماه البصرة،وجعل طلحة ثانيهم ولقبه المعتز وأقطعه أعمال خراسان وطبرستان والري وأرمينية وأذربيجان وأعمال فارس ثم أضاف إليه سنة أربعين خزن الأموال ودور الضرب في جميع

الآفاق وأمر أن يرسم اسمه في السكة ،وجعل الثالث إبراهيم وأقطعه حمص ودمشق وفلسطين وسائر الأعمال الشامية[1] .

وهكـــذا أوقـــع أولاده في الخـــلاف فيما بينهم ، وسار هو بعد ذلك مع ميوله وعاطفته ،فوقف إلى جانب المعتز ، وصار يغدق عليه الأموال ، وأهمل ابنه المنتصر ،وعهد للمعـــتز بخـــزن بـــيوت الأموال ودور الضرب ، وكان يتهكم على المنتصر ويستبعده ، فاضـــطرب المنتصـــر لذلك ، ووجد الأتراك بغيتهم فتقربوا إلى المنتصر ، وتحالفوا معه ، وأوغروا صدر ه على والده ، وكان موغراً قبل ذلك : ولما تبين لهم أن المتوكل يريد أن يقـــتل وصـــيفا وبغا وهما رئيساهم المفضلان ، تجمعوا وأقبلوا على المنتصر يحرضونه على والده ، وساروا إلى المتوكل جميعا ، فوجدوه يشرب ، فقتلوه وهو على مائدة الشراب[2] . فقـــتلوه ،وصار ابنه المنتصر الذي اشترك معهم في قتله ، طوع بنانهم ، وأصبحت الدولة العباســـية ميداناً للفوضى والدسائس وغدا في أيدي هؤلاء الأتراك أمر تولية الخليفة وعزله أو حبسه وقتله .

وهكـــذا تســـببت مشـــكلة ولاية العهد في قتل الخلفاء حيث قتل الأمين ثم قتل المتوكل ، واستغلت الأحزاب المتنافسة هذه المشكلة لصالحها حيث قام كل حزب بدعم مرشحه لولاية العهد ،مما أسهم في ضعف الدولة وانقسامها إلى دويلات مستقلة .

---

[1]- تاريخ ابن خلدون،المصدر المتقدم ،ج٣،ص٣٤٣.
- البدء والتاريخ ،المصدر المتقدم ،ج٦،ص١٢٢.
- الطبري، تاريخ الرسل والملوك ،المصدر المتقدم ،ج٥ ،ص١٩٥٧.
- الخضري ،الدولة العباسة ،المرجع المتقدم ،ص٢٢٣.

[2]- ابن الأثير ،الكامل ،المصدر،المتقدم ،ج٦،ص١٣٦.
- اليعقوبي ،تاريخه ،المصدر المتقدم ،ج٢،ص٤٩٢
- ابن العماد ،شذرات الذهب ،المصدر المتقدم،ج٢،ص١١٥،١١٤.
- عبد الملك المكي ،سمط النجوم العوالي ،ج٣،ص٤٦٦.
- تاريخ ابن خلدون ،المصدر المتقدم ،ج٣،ص٣٤٩.
- ابن الجوزي ،المنتظم ،المصدر المتقدم ،ج١١،ص٣٥٦.
- المسعودي ،مروج الذهب ،المصدر المتقدم ،ج٤، ص٣٦.
- ابن العمراني ،الأنباء ،المصدر المتقدم ،ص٨٤ ومابعد .

المصادر العربية :

- ابن الأثير (عزّ الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني٥٥٥هـ-٦٣٠هـ /١١٦٠-١٢٢٣م): الكامل في التاريخ تحقيق عبد الله القاضي،دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٥هـ .
- أحمد بن حنبل:مسند الإمام أحمد ،دار المعارف،مصر،١٩٤٩/١٩٨٠.
- الأربلي : الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، صححه السيد جاسم مكي، بغداد د. ت .
- الأزدي: تاريخ الموصل تحقيق د.على حبيبة، القاهرة،١٩٦٧.
- الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ، تحقيق السيد أحمد صقر ، بيروت، د.ت .
الأغاني ، بيروت ،د.ت .
أخبار النساء في كتاب الأغاني ،بيروت،ط٢، ١٩٩٣.
- البلاذري(الإمام أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ /٨٩٢م) : أنساب الأشراف،تحقيق د.سهيل زكار،رياض الزركلي،دار الفكر،بيروت١٩٩٦م .
- البلخي :البدء والتاريخ ،بورسعيد ،د.ت .
- الترمزي : الجامع او سنن الترمذي ، دار الكتب العلمية،د.ت .
- الترمزي:سنن الترمذي،كتاب الفتن ،باب ماجاء في المهدي،دار **الكتب** العلمية،د،ت.
- ابن تغري بردي (جمال الدين الأتابكي) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،١٦ جزء، وزارة الثقافة مصر، د .ت .
- الجاحظ : رسائل الجاحظ ،مناقب الترك،المجموعة الوطنية للتقنية ٢٠٠٣م مكتبة الإيمان .
- الجهشـــياري : (أبو عبد الله بن محمد بن عبدوس الكوفي ت ٣٣٢هـ/٩٤٣م): كتاب الوزراء والكتاب ، ط١ ، مصر١٩٣٨.
- ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج ٥٠٨-٥٩٧هـ/١١٤-١٢٠١م) ، المنتظم،دار صادر،بيروت، ١٣٥٨هـ.
- ابن حماد :كتاب الفتن ،تحقيق د.سهيل زكار ،دار الفكر،١٩٩٣.

- ابـن الخطـيب البغدادي(الخطيب أحمد بن علي ٣٩٢-٤٦٣هـ/١٠٠٢-١٠٧٢م): تاريخ بغداد ومدينة السلام . بيروت د.ت .
- الخطيب العمري:الروضة الفيحاء في تارخ النساء،ط١،بيروت،٢٠٠٠.
- ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء الزمان،تحقيق إحسان عباس ،بيروت١٩٦٨م،ج٢. (وسيرد ابن خلكان) .
- ابن خياط(خليفة): تاريخ خليفة ،تحقيق أكرم ضياء العمري،دار القلم،بيروت ١٩٧٧م.
- أبو داود الأزدي:سنن أبي داود،المهدي،مكتبة العصرية،بيروت.
- الديـنوري(أحمـد بـن أبي داؤود ت ٢٨٢هـ):الأخـبار الطوال،تحقيق عبد المنعم عامر،مراجعة جمال الشيال،ط١،القاهرة،١٩٦٠م.
- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان٦٧٣-٧٤٨هـ) العبر في خبر من غبر ، تحقيق ، صلاح الدين المنجد ،٥ج،الكويت ،١٩٨٤م.
- الـذهبي شمس الدين أحمد بن محمد : تاريخ الإسلام وفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري ،دار الكتاب العربي ،بيروت ١٩٨٨م.
- ابن زيد القزويني:سنن ابن ماجه،كتاب الفتن،احياء التراث العرب ،د.ت.
- ابن سعد (محمد بن سعد أبو عبد الله البصري ١٦٨-٢٣٠هـ):الطبقات ،دار صادر ، بيروت ،د.ت .
- السـمعاني أبو سعد عبد الكريم : الأنساب ، تحقيق عبد الله البارودي ، دار الجنات، بيروت ١٩٨٨م .
- السيوطي(الحافظ جلال الدين) : تاريخ الخلفاء ، دار السعادة، مصر ١٣٧١هـ .
- الشهرسـتاني أبوالفتح محمد بن عبد الكريم : الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلان، بيروت ١٩٦١م.
- الصـفدي (صلاح الدين بن ايبك)الوافي بالوفيات ،٢٩جزء،تحقيق أحمد الأرناؤوط ، بيروت ،٢٠٠٠م.
- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ٢٢٤-٣١٠هـ /٨٢٧-٩١٠م) : تاريخ الرسل والملوك ، تقديم نواف الجراح، دار صادر، بيروت ٢٠٠٣م.

- ابن الطقطقى(محمد بن علي بن طباطبا): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، بيروت،١٩٨٠ .

- ابن طيفور :تاريخ بغداد، بغداد ، ١٩٦٨ .

- عـــبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي المكي : سمط النجوم العوالي دار الكتب العلمية ، بيروت١٤١٩هـــ١٩٩٨م .

- ابن عبد ربه: العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين،دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٣.

- ابن العبري:تاريخ مختصر الدول ، بيروت ،١٩٨٠ .

- ابن العديم :بغية الطلب في تاريخ حلب ،١٢ج،تحقيق د.سهيل زكار، دار الفكر ١٩٨٨م.

- ابن عساكر (علي بن الحسن بن هبة الله ٤٩٩-٥٧١م) :

-تاريخ دمشق ،تحقيق محي الدين ابن غرامة العمري ،٧٠ ج،دار الفكر ،بيروت ١٩٩٥م.

-تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، تهذيب عبد القادر بدران ، بيروت١٩٧٩.

- ابن العماد عبد الحي بن أحمد الحنبلي(١٠٣٢-١٠٨٩هـ):شذرات الذهب،تحقيق عبد القادر الأرناؤوط،دار بن كثير ،دمشق ،١٤٠٦هـ.

- ابن عمراني : الانباء في تاريخ الخلفاء ، المصدر المتقدم،إيران١٣٦٣هـــ .

-أبو الفداء : تاريخ أبي الفداء ، طبعة دارالمعرفة وبيروت ١٢٨٦هـــ .

مختصر تاريخ البشر ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ١٩٥٦م.

- ابن قتيبة (محمدعبد الله بن مسلم ٢١٣-٢٧٦هـ):

-المعارف ،تحقيق ثروت عكاشة،دار المعارف ، القاهرة.

-الإمامة والسياسية ، تحقيق طه الزيني ، بيروت د ت .

- القمي (محمد علي الحسين أبي جعفر الصّدُق):عيون أخبار الرضا ،جزأين، بيروت ،د.ت.

- القنوجي (صديق بن حسن) :أبجد العلوم ،تحقيق عبد الجبار زكار ،عدد الأجزاء ٣،دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٧٨.

- ابن كثير(إسماعيل بن كثيرالقرشي ت ٧٧٤هـ/١٣٨٥):البداية والنهاية مكتبة المعارف ، بيروت د.ت .

- الكوفي (أحمدبن أعثم) : كتاب الفتوح ، تحقيق محمد عبد الحميد ، بيروت ،د .ت .
- مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري:أخبار الدولة العباسيةوفيه أخبار العباس وولده تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي ، بيروت ،دار الطليعة للنشر ،١٩٧١م.
- مؤلف مجهول:تأريخ الخلفاء من القرن الحادي عشر،كتابة المقدمة بطرس غريازنيويج ، موسكو ،١٩٦٧.
- المرعشي(محمدبن الحسين):غرر السير،حققه د،سهيل زكار،دار الفكر،بيروت،١٩٩٦م.
- المسعودي(علي بن الحسين بن علي المكنى بأبي الحسن ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،بيروت،دار الفكر، ١٩٧٣ .
- المقريزي (أحمد بن علي تقي الدين المقريزي٧٦٦ هـ -٨٤٥هـ/١٣٦٥-١٤٤١م) :
المقفى الكبير،تحقيق محمد اليعلاوي،بيروت ١٩٩١.
المقفى الكبيرفي تاريخ مصر و الواردين إليها،نسخة مصورة عن مجلدة باريس في مكتبة د .سهيل زكار .
- النعمان بن محمد التميمي المغربي :شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، ج١١، مؤسسة النشر الإسلامي ،د.ت.
- ابن وادران: تاريخ العباسين،تحقيق د.المنجي الكعبي ،بيروت،١٩٩٣.
- ياقوت الحموي :معجم البلدان ، القاهرة ،١٣٢٤هـ.
- اليعقوبي(أحمد بن أبي جعفر بن وهب بن واضح ت بعد٢٩٢هـ/٩٠٥م):تاريخ اليعقوبي ، دار صادر، بيروت،د.ت .

المراجع العربية :

- إبراهيم سلمان الكروي : نظام الوزارة في العصر العباسي الأول ،الكويت،١٩٨٣.
- أحمد شلبي ،في قصور الخلفاء الخلفاء العباسين،القاهرة ١٩٦٦.
- أحمد فريد الرفاعي : عصر المأمون ، دار الكتب المصرية ١٣٤٦هـ.
- أرنولد (توماس) : الخلافة ، ترجمة جميل معلى ، دمشق ، دار اليقظة العربية ، د.ت .
- برانق (محمد أحمد):البرامكة في ظلال الخلفاء،دار المعارف ،مصر ،١٩٦٥.
- بروكلمان (كارل):تاريخ الشوب الإسلامية ،ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين،ط٥بيروت،١٩٦٨.
- جواد (مصطفى):سيدات في البلاط العباسي،دار الفكر ،بيروت د.ت.
- الجومرد(عبد الجبار):ـ داهية العرب أبو جعفر المنصور، ط١،بيروت١٩٦٣م .
ـ هارون الرشيد ،بيرروت ١٩٩٩.
- حسن (ابرهيم حسن):أبومسلم الخراساني،القاهرة ١٩٥٨.
- الخضري بك(محمد): الدولة العباسية ،ط٢بيروت٢٠٠٠.
- دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الجديدة ،مادة (ابراهيم الإمام)كتبهافاروق عمر.
- الدوري (عبد العزيز): العصر العباسي الأول : دار الطليعة، بيروت١٩٧٩.
مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، بغداد،١٩٨٤، .
ضوء جديد على الثورة العباسية ، مجلة كلية الآداب،بغداد١٩٦١م.
النظم الإسلامية، بغداد ١٩٥٠م.
الجذور التاريخية للشعوبية ،بغداد ،د.ت.
- رستم (عبد السلام) : الخليفة العباسة أبو جعفر المنصور،دار المعارف بمصر،١٩٦٥،
- زيدان (جورجي): أبومسلم الخراساني ، ١٩٣٣ .
- سرور (محمد جمال الدين):
الدولة العربية الإسلامية ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،٢٠٠١م .
تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الاتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري ،ط٣ ، القاهرة ١٩٦٧.

- شاكر(مصطفى) :- التاريخ العربي والمؤرخون ، دار العلم للملايين ،بيروت١٩٨٢.

المراجع الأجنبية :

- dennett, D.C:marwan abn muhammad, ph .d . thesis harvard university . 1939.

- moscati,studi-su-Abu -muslim,R.L.III,IV,V1945,1950.

- Idem,II Testament di Au Hasim,R.S.O.1952.pp.28

- rye,The role of Abu Muslim,M.W.1947.

- M.A-Shaan, Revolulion. Cambridge University Press,1979 P185.

- Jacob Lassner,the shaping of the abbasidrule,university press,1980 .

-M.A.Shaban,islamic-history:Anewinterpretation-A.D750-1055/A.H132-6-44-811cambridge:cambridge universitypress,1978,p

الفهرس

SUMMARY IN ENGLISH

Crown – princedom is considered one of the major question which caused troubles in the Abbassid court be cause Abbassid ,like othere ,did not set fixed system to the throne,After death of mohammad Ibn Ali.the first imam of Abbassid caliphate ,his son Ibrahimthe imam,succeeded him. After marwan ,Ibn mohammad, had nown about him he chased him, imprisoned him and hilled him ,and Imam ship moved to his brther AL –Abbass, Abdullah Ibn mohammad.

We can say that imamship and the caliphate was not confined in the elderson ,the caliph could choose one who was fitted frr fromhis family he often breferd his son although they were less competent nomminees .

Furthermore ,the caliph used to appoint more than one crown – prince,and when the latter came to the throne ,he dismissed the other crwon- princes and limited caliphate to his son .this coused many problems in ,some of which reached to carry arms ,among Abbaissed family membres naturally this led to the disperse of the nation and to waste many powers in vain . My plan in this survey is that I began after introduction with an approach of a study of the most important early resources which I depended on . Idevided the suvey into five chapters.

In the first chapter I stuied the beg-inming of the Abbasid ambitin, which began when Ali Ibn abdulla Ibn Al-Abbass,and then his son Mohammad Ibn Ali who was realy considered the first organ izer of the secret movement of the Abbassid call. The movement moved to Mohammad,s son ImamAbraheem andthen to Asaffah It appeared that Al- Saffah,s choicedid not happen by chance , moreorer,there were several causes which nominated Al- Saffah to the crown-princedom.

When the caliphate moved to Abu Jafar Al-Mansour ,the struggle for the government started to appear among the Abbassid family members. The wwill of Al- Saffah to his brother Al0 Mansour had agreat effect to creat asplit among his family members, his and Abdull Ibn Ali split and proclaimed his rebellion. The people of Syria gathered round him but Al-Masour could beat him.

In the secend chapter,Imoved to talk about the changing of crown – pricedom from Issa Ibn Mussa Into Al- Mahdi.
He forced his cron-prince Issa Ibn Mussa to resign for the the of his son Al- Mahdi,using all methods of temptation and threat when he got rid of AbuMuslem Al-Khurassani,the strong subborter of Issa Ibn Mussa .

Al- Mahdi used the same methed until he forced Issa Ibn Mussa to resign himself and to nominate caiphate to his two sons al-Hadi and Al-Rasheed against mony and ttowns .

I moved on to talk about the conflict between Al- Hadi and Al-Rasheed.

In the third chapter Imoved to talk conflict between Al-Ameen and Al Mamoun ,trying to seek what was behind the roots of this conflict and the role of the parties and the struggling powers who tried to activate it.

Then I moved on to talk aboutAl- Mamoun and nominated Al-Alrida to the crown – pricedom in order to gain the Khurassanis party ,and to gain the support of the Khurassanis, the shiites and the shiites supporters in addition ,then he killed his leaderAl-Fadle Ibn Sahle who had not informed him of the incidents of Baghdad and also killed crown – pricedom Al-Alrida,the main obstacle.

In the last andfifth chapterIstudied the cawes which drove Al-Mutassem that Al-Mutassem turned over the Khurassanis party and its head depending on a new rase ,the Turkish rase, through tempting them .

Ihave seen ched in the increasing influence of the Turks in the state ,Ashnassand Itakh were most hamous among them .the Turks had such a big influence in the state that drve Ojeif Ibn Anbassa to urge Al-Abass Ibn Al- Mamoun to get rid of his uncle and his Turks. Al-Mutassem kenw about the olat he get rid Of both of them .

Iwent on tolking about Al- Mutawakel and his attitude towords the Turks, when he tried to get ridof the Turksinfluence.

He moved capital to Damascus but his trial failed when the Turks foced him to return . they utilized the conflict between him and his son Al-Muntasser and conspired with the son and killed the caliph .now the Turks had power in the government affairs ,and they could appoent the caliph or dismiss him.

Iconcluded my research trying to give a clear bicture of the consequences of these events .
In Ihave clarified the philosphy of this research , and the aims and dimentions which I sought.